كتابي



حلمي مراد

صدقة رمضان من يد الخليفة

لوحة للفنان «ديكامب» بمتحف الفن الحديث بالقاهرة

١٠ قروش



السيدة حرم ا ٠ ق للفنان سند بسطا

(من معروضات صالون القاهرة الثانى والثلاثين)



« من بنات الليل » للفنان صبرى حلمى راغب
(من معروضات صالون القاهرة الثانى والثلاثين)

كتابى

كتاب شهرى لتلخيص الكتب العالمية

يصدر أول كل شهر

صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

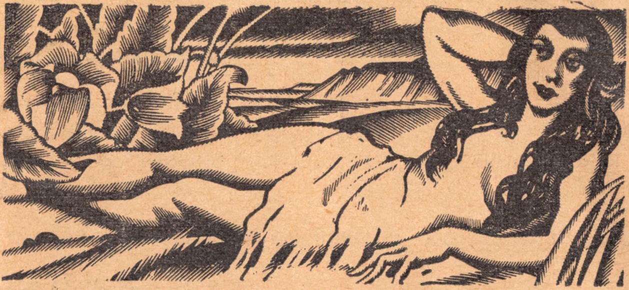
شعار « كتابى »

مصباح الفكر عند الاغريق

الكتاب الخمسون (السنة الخامسة) : مايو ١٩٥٦
الاشتراكات ومجموعة الأعداد السابقة : اقرأ التفصيلات بالداخل

الادارة : عمارة الجندول ـ ١٤ شارع ٢٦ يوليو ـ بالقاهرة
تليفون : ٥٩٥٥٦

محتويات الكتاب



كيد النساء .. فى «ألف ليلة» الايطالية !

عزيزى القارىء ..

• منذ قدمت اليك فى العدد الأول من «كتابى» أقصوصة بوكاشيو الطريفة : «كيد النساء» ، وأنا أتوق الى أن أمتعك ببقية أقاصيص هذا الأديب الايطالى القديم ، التى ضمنها سفره الخالد «ديكاميرون» .. الذى لاأرى له ترجمة أو تسمية أصح من «ألف ليلة وليلة الايطالية» ـ وان كانت الترجمة الحرفية للعنوان هى « الأيام العشرة» ، لا الليالى الألف !

والأيام العشرة التى عناها بوكاشيو ، هى الأيام التى لاذ خلالها مع سبع من صديقاته واثنين من أصدقائه ، بمأوى آمن فى الريف الايطالى ، فرارا من الطاعون الذى اجتاح موطنه «فلورنسا» فى عام ١٣٤٨ .. وخلال تلك الأيام العشرة لم يكن للأصدقاء العشرة من سلوى غير تبادل سرد القصص ، كل بدوره . ومن هذه القصص صنف «بوكاشيو» مؤلفه هذا الكلاسيكى الخالد ، الذى يعد من أشهر كتب عصر النهضة ، والذى ترجم منذ مئات السنين الى جميع لغات العالم الحية .. ماعدا العربية طبعا ! ـ فيما عدا قصة من هنا أو قصة من هناك كانت تترجم بين الحين والحين فى احدى الصحف أو المجلات

ولئن كانت قصص الكتاب تتميز بطابع جنسى صارخ فى بعضها ، فان أسلوب «بوكاشيو» الرقيق الساخر يضفى عليها طابع التجارب التى تصور حياة المجتمع - برجاله ونسائه - فى شتى بقاع العالم ، لا فى ايطاليا وحدها .. وفى مختلف العصور ، لا فى عصره فحسب !

وليس أدل على المكانة التى احتلها هذا الكتاب فى الأدب العالمى ، من اعتراف كل من : شكسبير ، وشوسر ، وموليير ، ودرايدن ، وغيرهم من الأدباء الخالدين، بأنهم تأثروا بهذا الكتاب تأثرا بالغا ، وانه كان «خميرة» ثقافتهم القصصية التى ألهمتهم الكتابة

فالى اللقاء على صفحات «ديكاميرون» الخالد ، فى منتصف هذا الشهر باذن الله

والله ولى التوفيق

حلمى مراد

كتابى

أعداد نفدت

الكتب الستة الأولى ، والادارة مستعدة لشرائها .

كتابى السابع « **عشيقة نابليون** » ، والثامن « **مذكرات كيوبيد** » ، والتاسع « **صنم تحطم** » ، والعاشر « **حديقة الله** » ، والحادى عشر « **عندما تحقد المرأة** » ، والثانى عشر « **لعبة الحب والموت** » ، والثالث عشر « **توبة خاطئة** » ، والرابع عشر « **أيها الربيـــع ترفق** » ، والخامس عشر « **الشيـطان على الأرض** » ، والسادس عشر « **ليدى هاملتون** » ، والسابع عشر « **الارملة المرحة** » ، والثامن عشر « **حياة جورج صـــاند** » ، والتاسع عشر « **حياة سارة برنار** » ، والعشرون « **رباعيات عمر الخيام** » ، والحـــادى والعشرون « **حياة بيتهــوفن** » ، والثانى والعشرون « **حياة موســولينى** » ، والثالث والعشرون « **كــوخ العم توم** » ، والرابع والعشرون « **الزوج والعشيق** » ، والخامس والعشرون « **البوهيمية** » ، والسادس والعشرون « **فتاة لها ماض** » ، والسابع والعشرون «**ترويض النمرة**» ، والثامن والعشرون «**فن الحب**» ، والتاسع والعشرون «**الجريمة والعقاب**» ، والثلاثون « **المنافق** » (**طرطوف**) ، والحادى والثلاثون « **أميرة مصر** » ، والثانى والثلاثون « **الأمطار** » ، والثالث والثلاثون « **أفروديت** » ، والرابع والثلاثون « **أقنعة الحب السبعة** » ، والخامس والثلاثون « **ســالومى** » ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩

◆ **وتطلب** من ادارة «**كتابى**» : ١٤ شارع ٢٦ يوليو بالقاهرة (عمارة الجندول وثمن كل عدد (من العدد ٧ الى ٢٤) ١٠ قروش خالصا أجرة البريد (المسجل) ما عدا العددين ١٣ ، ١٦ ، وثمن كل منهما ١٢ قرشا ، والعدد العاشر ، والعدد العشرون ، وثمن كل منهما عشرون قرشا ٠٠ وابتداء من العـــدد ٢٥ ثمن كل نسخة بالبريد المسجل ١٢ قرشا

◆ **ملاحظة : ترسل القيمة فى مصر والسودان باذن بريد عادى ، وفى الخارج بشيك على أحد بنوك القاهرة ، ولا تقبل العملة الاجنبية أو أذون البريد الخارجية . وتحرر الأذون والشيكات باسم صاحب المجلة شخصيا**

مطبوعات « كتابى »

صدر منها حتى الآن :

١ ـ قصة مدينتين	**٢ ـ ذات الثوب الابيض**
٣ ـ الخالدون	**٤ ـ الخــاطئة**
٥ ـ حياة امرأة (الجزء الأول)	**٦ ـ حياة امرأة (الجزء الثانى)**
٧ ـ الخطيئة الأولى وفتاة من الأقاليم	**٨ ـ أوديب**
٩ ـ مدام بوفارى (الجزء الأول)	**١٠ ـ مدام بوفارى (الجزء الثانى)**
١١ ـ عاشقات فى الخريف	**١٢ ـ قلوب ضالة**

وثمن كل من الأول والرابع والسابع ، عشرون قرشا خالصــا أجرة البريد المسجل (نظرا لوشــك نفادها) ، والثانى والتاســع والعاشر والحادى عشر ١٢ قرشا ، والثالث والخامس والسادس ١٠ قروش ، والثانى عشر ١٤ قرشا

« كتابى » يشترى الأعداد الستة الأولى من القراء

نظرا لالحاح الكثيرين من القراء فى طلب الأعداد الستة الأولى من « كتابى » ، ولتعذر اعادة طبعها فى الوقت الحاضر ، ولما كان لا يبعد أن يكون لدى البعض أكثر من نسخة من الأعداد المذكورة .. **فقد رأت ادارة « كتابى » أن تعلن عن استعدادها لشراء أى عدد من نسخ الأعداد الستة الأولى تمهيدا لتمكين من تنقصه الأعداد المذكورة من اقتنائها بعد ذلك من الادارة . فالرجا الاتصال بالمجلة فى هذا الشأن ، على أن يكون تسليم النسخ اليها حضوريا أو بالبريد المسجل .**

الاشتراك فى « كتابى »

◆ ترسل جميع الأعداد الى المشتركين : بالبريد المسجل . وقيمة الاشتراك فى مصر والسودان : عن سنة (١٢ عددا) : ١٢٠ قرشا وعن نصف سنة (٦ أعداد) : ٦٥ قرشا ـ فى الخارج (العراق وسوريا ولبنان والاردن والحجاز الخ ..) ترسل القيمة بشيك أو بحوالة بريدية نقدية Money Order عن طريق مكاتب البريد وتحتسب القيمة بما يوازى ١٤٠ قرشا (عن سنة) و ٧٥ قرشا (عن نصف سنة) . وفى الكويت وعدن وحضرموت واليمن وقبرص وانجلترا وأمريكا وفرنسا وألمانيا واستراليا الخ . قيمة الاشتراك ١٦٠ قرشا (عن سنة) و ٨٥ قرشا (عن نصف سنة) خالصة أجر البريد المسجل بخلاف أجر البريد الجوى

المطبعة العالمية
١٦ ، ١٧ شارع ضريح سعد بالقاهرة
تليفون ٢٩٣١٧



نافذة "كتابي" تطل على العالم:

رأيت وسمعت لك في أوربا

للمحرر

معجزة الهندسة ٠٠ ومعجزة الفن والمعمار !

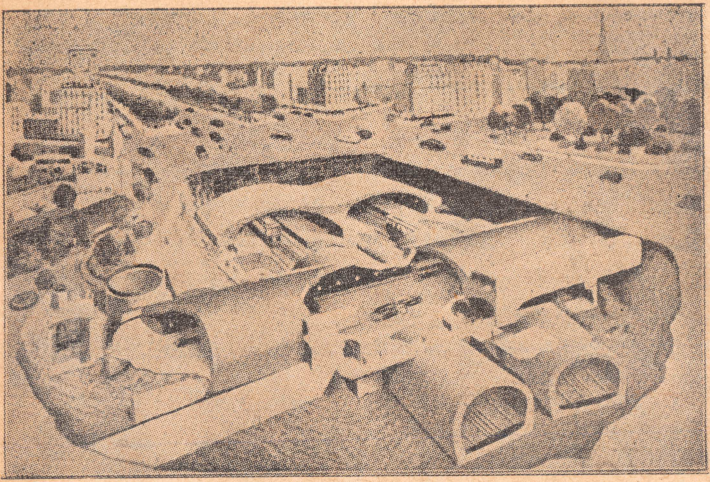
◆ واصلنا فى الفصل السابق طوافنا بأحياء باريس ، فزرنا « مونمارتر » ، و « مونبارناس » ، ثم دار الاوبرا ، فميدان الباستيل ، ومقبرة بير لاشيز ، وانتهينا الى قصر « شايو » المشهور ٠٠

وفيما يلى نستأنف جولتنا من قصر شايو الى ضاحية (فرساى) العريقة ، ذات الشهرة التاريخية الخالدة ٠٠ وفى الطريق ، أحدثك عن معجزة باريس الهندسية الكبرى : المتروبوليتان !

كيف يكرمون شعراءهم !

◆ **حدثتك** عن طرف من ماضى قصر شايو ، منذ شيدته الملكة « مارى دى مدسيس » على منحدر تل « شايو » ، الى أن آلت ملكيته الى « هنريتا » ملكة انجلترا المنحدرة من أصل فرنسى ، فحولته الى دير للراهبات ، اعتكفت فيه كثيرات من الاميرات وسيدات المجتمع القانطات ، وبينهن « مدموزيل دى لافاليير » ، التى هجرها الملك لويس الرابع عشر ليعشق مدام دى مونتسبان !

ثم جاء نابليون بونابرت ، فاختار تلك البقعة ليشيد عليها قصرا لابنه وولى عهده « ملك روما » ، ومن ثم هدم الدير ، وأزال التل ٠٠ لكن سقوط الامبراطور أوقف العمل فى مشروع القصر ٠ وفى سنة ١٨٢٧ سمى المكان باسم « تروكاديرو » ، نسبة الى قلعة فى (قادش) استولى عليها الفرنسيون خلال حرب شنت لتوطيد سلطان الملكية المطلقة فى أسبانيا ٠ ثم نظم استعراض كبير فى تلك البقعة للاحتفال بذكرى النصر المذكور ، مثل فيه هجوم القوات الفرنسية على قلعة تروكاديرو الاسبانية تمثيلا كاد يحاكى الحقيقة !



قطاع مجسم لمحطة « بوابة مايو » الجديدة بباريس ، وترى فى طابقه الأسفل خط المترو ، وفى الطابق الذى يعلوه طريق للسيارات تحت الارض ، كى يخفف الضغط عن الطريق العلوى

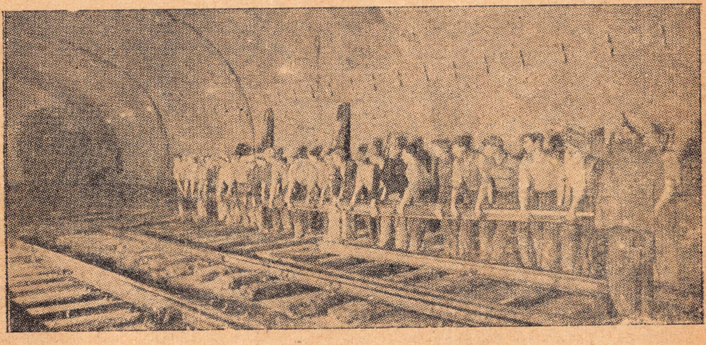
وفى سنة ١٨٧٨ ـ لمناسبة معرض باريس الذى أقيم وقتئذ ـ تم تشييد القصر الذى طال انتظاره ، على طراز مراكشى ، وأطلق عليه « قصر التروكاديرو » ٠٠ ثم استبدل به أخيرا ـ لمناسبة معرض باريس الأخير فى عام ١٩٣٧ ـ المبنى العصرى الفاخر الذى تراه الآن، والذى أقيم فيه المعرض العالمى يومئذ ، كما عقدت فيه دورة الأمم المتحدة وغيرها من المؤتمرات الدولية فى شتى المناسبات ، عقب انتهاء الحرب الاخيرة ٠٠

والقصر مكسو من الخارج بحجر الجير المذهب ٠ ومقدمة كل

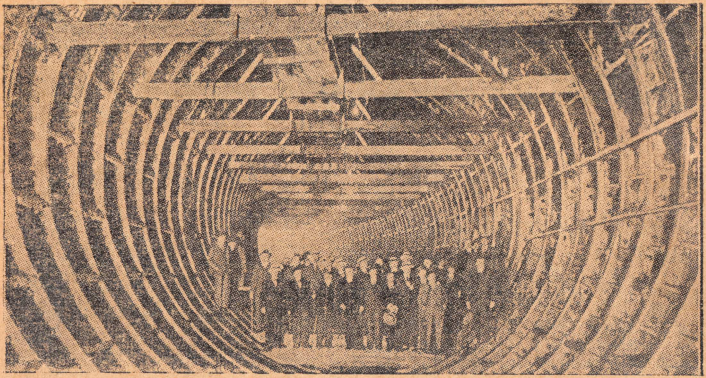
جناح محلاة بالأحرف الذهبية التى تتألف منها بضعة أبيات من شعر الشاعر الفرنسى المعاصر « بول فاليرى » ، الذى أقيم حفل تأبين رسمى لجثمانه فى شرفة القصر الضخمة ، فى ليلة ٢٤ يوليو سنة ١٩٤٥ .

وتحت الشرفة المذكورة يوجد مسرح هائل ، يتسع لثلاثة آلاف متفرج ، وقد أعد تصميمه الرائع بحيث يصلح لكافة أنواع الاستعراضات والتمثيليات والحفلات . وفي قاعة هذا المسرح القى الجنرال دى جول فى ١٢ سبتمبر سنة ١٩٤٤ أول خطاب سياسى له بعد تحرير باريس . وفيها أيضا عقدت اجتماعات الدورة الثانية للأمم المتحدة فى عام ١٩٤٨

وفى الجناح المقابل للمسرح يوجد « متحف البحرية » ، وبه كل ما يتصل بحياة البحرية وعلومها منذ أقدم العصور الى اليوم . وفى جناح آخر ، « متحف الانسان » ، الذى يرى زائره



فريق من العمال اثناء اشتغالهم فى نفق المترو ، والصورة تعطيك فكرة عن اتساع النفق



نفق المترو فى جزء منه يمر تحت نهر السين ، وترى « الكمرات » الحديدية التى وضعت كدعامات له اثناء انشائه

كل ما يمت الى تاريخ البشرية ، وفنونها ، وتقاليدها الزائلة والباقية ..

وقبل أن نغادر هذا القصر الرائع ، الذى يعد نموذجا فريدا لتطور فنون المعمار ، تعال نلقى من شرفته الدائرية الهائلة ، نظرة أخيرة على برج « ايفل » المجاور ، وعلى قبة « الانفاليد » حيث يرقد نابليون ..

المعجزة الهندسية : المتروبوليتان

◆ **والآن** ، قبل أن ننطلق من باريس الى ضاحيتها العريقة « فرساى » ، أود أن أحدثك عن معجزة باريس الهندسية الكبرى « المتروبوليتان » ، أو المترو الذى يسير تحت الارض.

وقد يخيل اليك اننى أغالى فى تسمية هذا المشروع بأنه

« معجزة » هندسية ، أو تعتبر هذا الوصف من قبيل التحية التى مبعثها الاعجاب ٠٠ لكنك لو وقفت على مدى ضخامة المشروع ، و « الأهوال » التى خاضها منفذوه فى سبيل تحقيقه، والنفقات الفادحة التى أنفقت عليه ، لقدرت أن وصفه بالمعجزة انما ينطوى على كثير من « الغبن » !

والواقع اننى حين رأيت المنافع الكبرى التى حققها المشروع لأهل باريس وزائريها ، ومدى ما ذاده عن شوارع العاصمة الكبرى من ضغط هائل فى حركة المرور ، تحول بقدرة قادر الى باطن الأرض – ولولاه لاستحال المرور فى شوارع باريس، رغم اتساعها ، استحالة تامة ! – أقول اننى حين لمست ذلك كله ورأيت بعينى عشرات الألوف من البشر الذين يستوعبهم هذا المشروع الجبار وينقلهم كالبرق الخاطف بين أطراف المدينة المترامية ، دون أن يظهر لهم أثر على سطح الأرض ٠٠ **أقول**



رصيف احدى محطات المترو « تحت الارض » ، فى احد الخطوط المؤدية الى ميدان الكونكورد ٠ وقد ازدحم السقف بالمصابيح الكهربائية

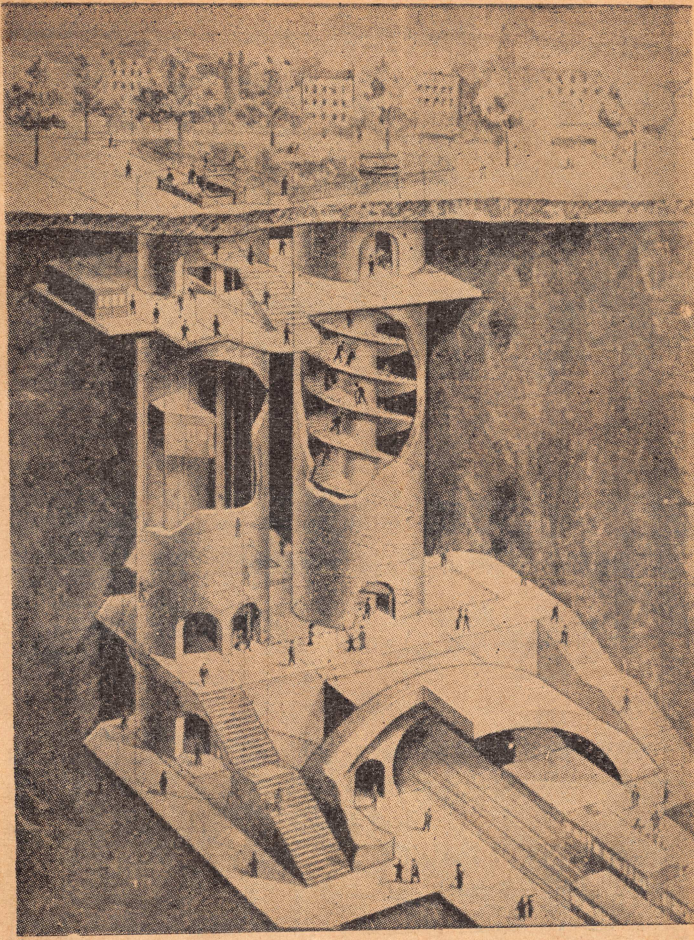


منظر لعربة مترو من الداخل ، ويبين ازدحامها بالركاب مدى عرضها واتساعها .. كما ترى فى أعلاها رفوفا توضع عليها حاجيات الركاب ، مثل قطارات السكة الحديد وترام رمل الاسكندرية

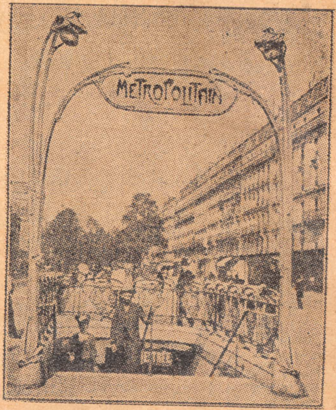
انني حين لمست ذلك كله بنفسى ، أدركتنى الحسرة على عاصمتنا المظلومة « القاهرة » ، التى تحرمها تربة أرضها الطينية الرخوة من امكان تنفيذ مثل هذا المشروع فيها !

وقد تتساءل : «وكيف تمنع تربة القاهرة الرخوة تنفيذ مثل هذا المشروع فيها ؟ وهل لا توجد فى القاهرة « أنفاق » تحت الأرض ؟ » .. والجواب أن الأنفـاق القليلة الموجـودة فى القاهرة حاليا لا تقاس بحال الى ما يقتضيه مشروع المترو تحت الأرض ، من عدة جهات :

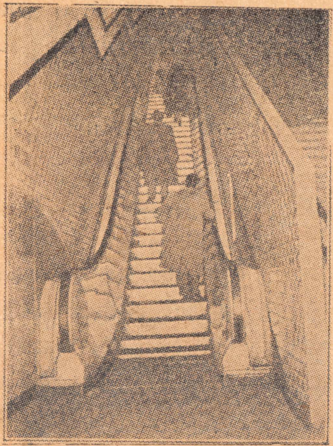
فأولا ، ان الانفاق التى تراها فى بعض مناطق القاهرة انما



قطـــاع مجسم من الخط ١٢ من خطوط مترو باريس ، يبين بوضـــوح مدى عمق نفق المترو ، البالغ فى تلك المنطقة ٣١ مترا ، ويرى فى أعلى الصورة الشارع ، ومنه يهبط الراكب الى رصيف المترو (فى أقصى قاع الصـــورة) ، سواء عن طريق السلم (الى اليمين) ، او طـريق المصعد (الى اليسار)



فتحة أحد السلالم المؤدية الى
محطات المترو تحت الارض ٠
ولا تشغل الفتحة حيزا يذكر
من الشارع

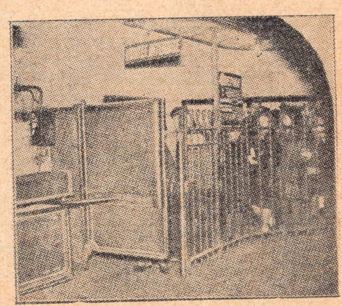


سلم آلى ينتهى أعلاه الى الشارع،
أو الى رصيف آخر فى طابق ثان٠
تقف على احدى درجات السلم
فتصعد بك دون ان تحرك ساكنا

تسمى هكذا «تجاوزا» ، فهى مجرد طرقات «منخفضةقليلا» عن سطح الأرض ، الا فى جزئها الأوسط الذى قد يمر فوقه شريط سكة الحديد (كما فى نفق شبرا مثلا) ، وهذا الجزء لا يتجاوز عرضه عشرة أمتار على الاكثر ، هى عرض جسر الخط الحديدى الذى يمر فوقه ٠ وفيما عدا ذلك فبقية النفق مكشوف، غير مسقوف ، لايتجاوز عمقه فى أعمق أجزائه بضعة أمتار ، وفى مستهله ونهايته لا يتجاوز مترا أو مترين ٠٠ ثم انه عبارة عن « توصيلة » قصيرة لا يزيد طولها كلها عن بضع عشرات من الأمتار ٠٠ فأين هو من شبكة أنفاق مترو باريس ، التى تمتد

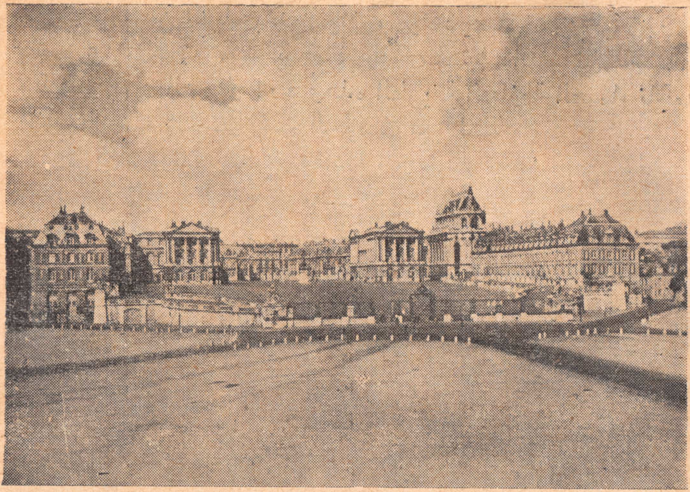
مئات « الكيلو مترات » ، والمحجوبة كلها عن سطح الأرض الى عمق عشرات الأمتار ، بحيث ينزل اليها المرء مئات السلالم من قمة السلم الموجودة على رصيف الشارع وسط « درابزين » صغير ، فى كل محطة من محطات المترو المنتشرة فى شوارع باريس وميادينها ؟ !

بل قد لا تصدق أنه فى كثير من مناطق العاصمة الفرنسية يوجد طابقان أو ثلاثة طوابق من خطوط المترو بعضها فوق بعض ، وكلها تحت الأرض ! بل ان بين كل طابق منها والطابق الآخر سمكا من الأرض الصخرية لا يقل عن عدة أمتار ، بحيث لايتصور ركاب أى خط منها أن فوقه وتحته خطين آخرين للمترو يسيران نحو اتجاهات أخرى . ولا يحس الراكب بوجود هذين الخطين الآخرين الا فى المحطة التى يركب منها أو يهبط فيها ، حين ينتقل من طابق الى طابق - كى يغير الخط ليستقل مترو آخر يمضى به الى وجهة أخرى ، أو ليصعد مباشرة الى الشارع ، الى سطح الأرض أو «وجه الدنيا» !



وصلوا متأخرين ، بعد دخول المترو الى الرصيف ، فحجزتهم « المصيدة » الآلية .. منعا للحوادث !

وهذا الانتقال من طابق الى آخر تحت الأرض ، لايكلف الصاعد أو الهابط أية مشقة - فى أكثر المحطات - بفضل السلالم الآلية التى تنقل الركاب صعودا وهبوطا بقوة الكهرباء) وقد حدثتك عنها فى العدد الماضى فى معرض الكلام عن متجر «لافاييت») .. بل ان فى بعض المحطات مصعدا



قصور فرساى بمختلف اجنحتها ، كما يراها المشرف عليها

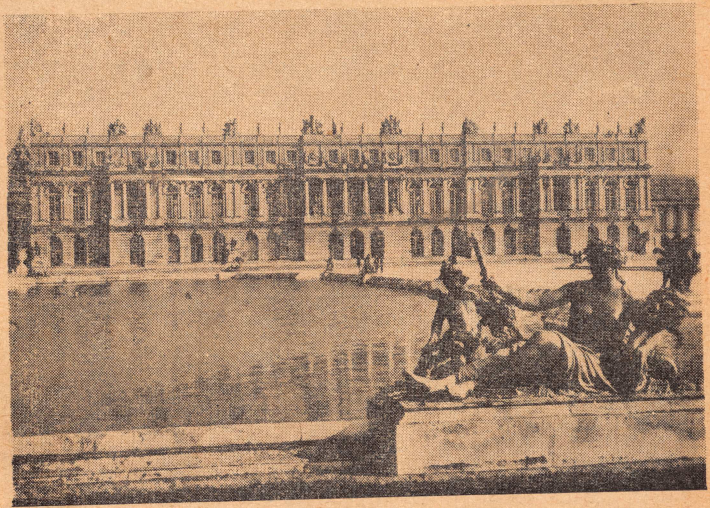
كهربائيا كبيرا ، كما فى الرسم المنشور فى غير هذا المكان .

طريقة صارمة ، لمنع الحوادث .. ومنع التأخير !

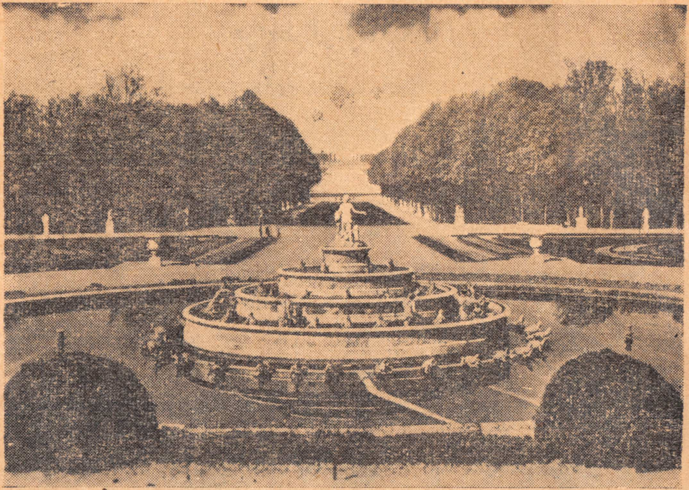
• **والآن** ، تعال نهبط الى النفق لنستقل المترو . هانحن قد بلغنا الطابق الذى به الخط المؤدى الى وجهتنا . لكننا لا نكاد نبلغه ونقطع التذكرة من الكشك المختص ، ثم نهم بدفع الباب الحديدى الذى يقودنا الى الرصيف المقصود ، حتى نجد الباب مستعصيا على الفتح ، فقد دخل المترو الى الرصيف فى تلك اللحظة ، فأغلق الباب من تلقاء نفسه بطريقة آلية ، كى يمنع القادمين فى آخر لحظة من اللحاق بالمترو فى آخر لحظة ، والتسبب

فى تعطيله عن القيام بضع ثوان ، ريثما يصلون ويركبون .. فضلا عن الاخطار التى يعرضهم لها هـذا القفز الى العربات والقطار يهم بالتحرك !.. وهذه الطريقة الحازمة الصماء ناجعة النفع فى منع التأخير ومنع الحوادث على السواء !

ولا يكاد المترو يتحرك مغادرا الرصيف ، حتى تعود الحياة فتدب فى الباب الحديدى ، فاذا هو ينفتح فى وجهنا من تلقاء نفسه ، فندخل الى الرصيف ـ أو نخرج من « المصيدة » ! ـ مع سوانا من المحجوزين !.. وأرصفة متروباريس «عالم» فسيح مترامى الأطراف ، بحيث يتعذر عليك أن تصدق أنه قد حفر كله فى باطن الأرض !.. عالم ، طوله لايحده البصر ، وعرضه



قصر فرساى الرئيسى ، وامامه البحيرة الخلابة التى تحف بها التماثيل البرونزية الرائعة



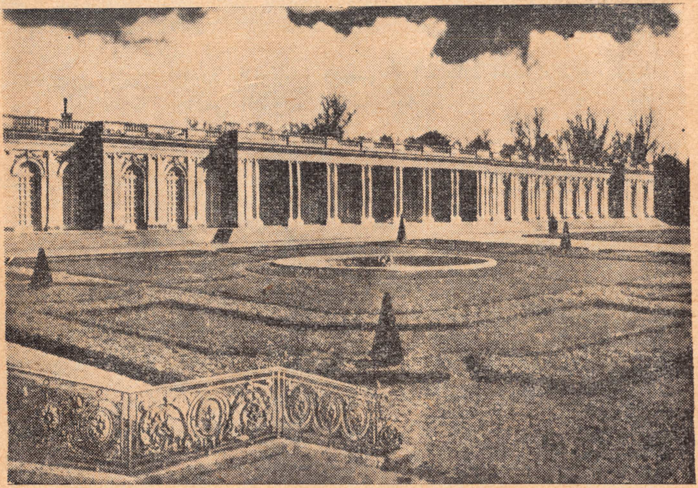
حدائق فرساى : نافورة «لاتونا» ، وممشى « السجادة الخضراء » ٠٠ وفى أقصى الصورة « القناة الكبيرة »

عشرات الأمتار ، وارتفاعه مثلها ٠٠ وسقفه وجدرانه ، كلهـا مغطاة «بالقيشانى» المزجج ، كجدران الحمامات !

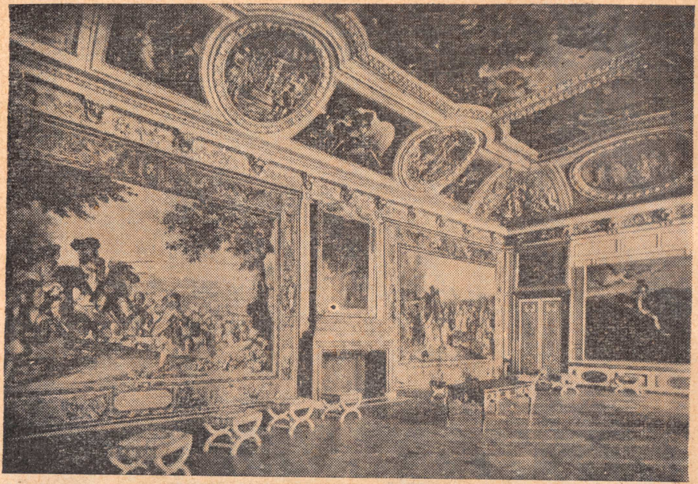
٠٠ ثم يصل المترو ، بعد ثلاث دقائق على الأكثر ، فاذا هو يتألف من نحو خمس عربات كبرى ، فسيحة ، نظيفة ٠ وبعد أن يقف على الرصيف ثوانى معدودة ريثما يركب المنتظرون من قبل ـ فقد أغلق الباب الآلى من جديد ، فعاق الوافدين الجدد عن اعاقته ! ـ يبدأ فى التحرك بسرعة ، فتغلق جميــع أبوابه آليا ، هو الآخر ، ثم ينطلق كالسهم الخاطف ، فى طريقه الى المحطة التالية التى تبعد بضعة كيلومترات ، فيبلغها فى دقيقتين أو ثلاث ، وهكذا ٠٠

خرائط أوتوماتيكية !

◆ **على** أن أعجب وأدق ما يكفله مشروع مترو باريس لراحة ركابه ، ولا سيما الغرباء عن باريس ، تلك الطريقة الآلية الفذة التى يرشدهم بها الى «الخط» الذى يتعين عليهم ان يسلكوه كى يبلغوا غايتهم ، دون ان يضطروا الى سؤال أحد من أهل المدينة ، بل قد تعجب اذا علمت أن أهل باريس أنفسهم يعجزون عن حفظ «جغرافية» ومعالم كل خط من خطوط المترو المتعددة ، وانما أقصى ماتصل اليه ذاكرة الأذكياء منهم أن تستطيع الالمام بمحطات الخط الواحد الذى يسلكونه كل يوم ، بين منازلهم ومقر اعمالهم .. **ذلك أن تعدد خطوط المترو المذكور الى عشرات الخطوط ، وعشرات المحطات فى كل خط ، واضطرارك فى أكثر**



قصر « الجران تريانون » بفرساي



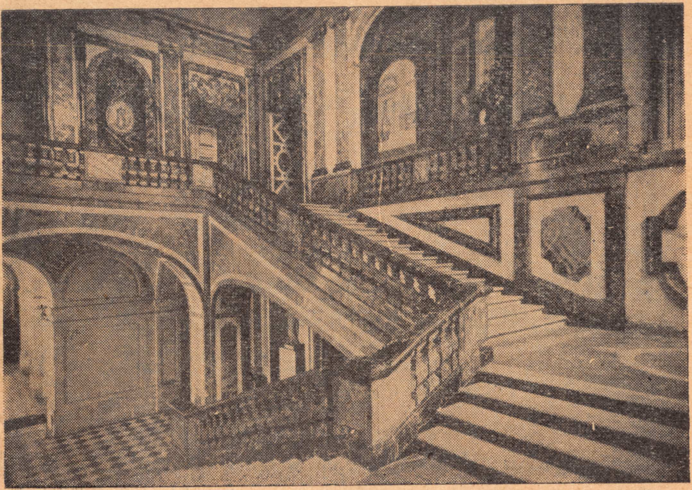
صالون « مارس » بفرساى : صورة تغنى عن التعليق

الأحيان الى أن تنزل فى محطة معينة كى تصعد أو تهبط الى طابق آخر ، تستقل منه قطارا آخر ، من رصيف معين ، الى وجهتك النهائية .. كل ذلك يجعل من المستحيل عليك - ولو كنت مقيما فى باريس منذ سنوات - أن تعرف طريقك الى جهة لم تألفها ، مالم تلجأ الى استشارة احدى خرائط المتروالتفصيلية الموجودة فى كل محطة ، وكل رصيف ..

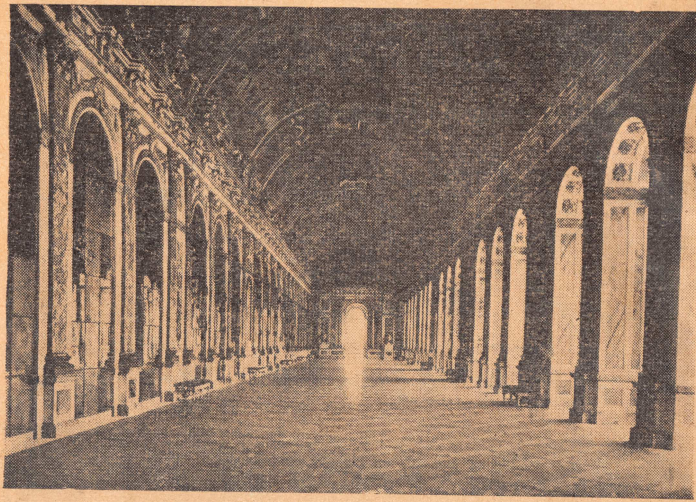
على أنك ينبغى أن تستشير الخريطة بمجرد نزولك الى المحطة ، وقبل أن تيمم شطر رصيف معين من أرصفتها ، كى ترشدك الى الرصيف الصواب ، فلا تضيع تذكرتك التى قطعتها هباء (لأن التذكرة تؤخذ منك عند باب كل رصيف ، ولا توجد تذاكر تقطع فى مركبات المترو ذاتها .. ويترتب على ذلك أنك تستطيع

بالتذكرة الواحدة ان تركب المترو أى عدد من المرات فى الخط الواحد ، دون أن تطلب منك تذكرة أخرى مادمت لم تصعد الى الشارع !)

واستشارة الخريطة مهمة طريفة وشائقة ، تدل على هندسة دقيقة فذة : فانك تجد أمامك خريطة ضخمة - ملونة - لجميع خطوط مترو العاصمة ، وقد لون كل خط منها بلون معين ، وسجلت عليها أسماء جميع المحطات التى تتخلل كل خط . فاذا أردت أن تعرف مثلا أى خط يتعين عليك أن تسلكه كى تصل الى محطة «الدمرداش» (مثلا ، فى القاهرة) ، وكنت أنت فى محطة كوبرى الليمون مثلا ، فما عليك الا ان تقف امام خريطة



سلم المرمر ، بقصر فرساى



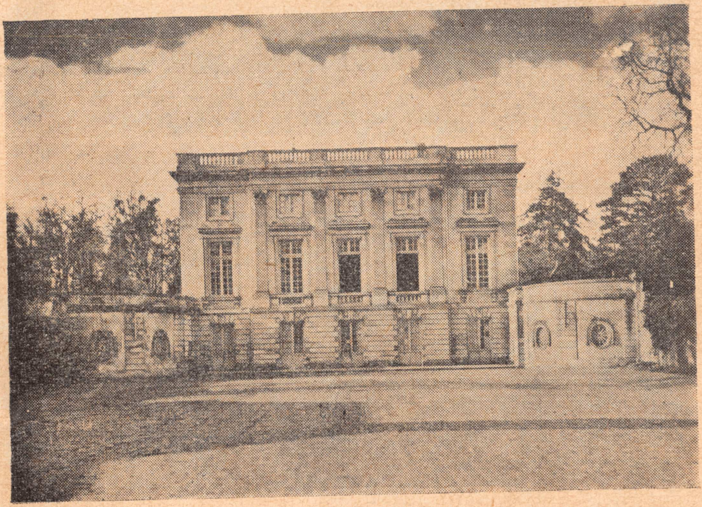
بهو المرايا ، آية من آيات البذخ الجنونى ، بقصر فرساى

المحطة التى أنت فيها ، فتجد فى ركن منها فهرسا لجميع المحطات، وأمام اسم كل محطة منها «زرا» ، **فتضغط على زر محطة الدمرداش التى تقصدها ، فاذا بمصباح صغير ملون يضيء موقع محطة الدمرداش فى مكانها من خريطة القاهرة ٠ وعندئذ تتتبع الخط الملون الذى يمر بالمحطة المذكورة ، فتجده ينتهى فى طرفيه الى (مصر الجديدة ـ شارع الجلاء) مثلا ، فتعرف ان هذا هو الخط الذى عليك أن تتخذه كى تصل الى غايتك** ٠ واذ ذاك تتلفت حولك فى المحطة باحثا عن السهم الذى كتب عليه اسم الخط المذكور ، ثم تسير وراء السهم من بهو الى بهو ، ومن طابق الى طابق ، ومن ممر الى ممر ، ومن سلم الى سلم ، وكأنك فى مدينة فسيحة لا أول لها ولا آخر ٠٠ حتى تجد نفسك أمام باب

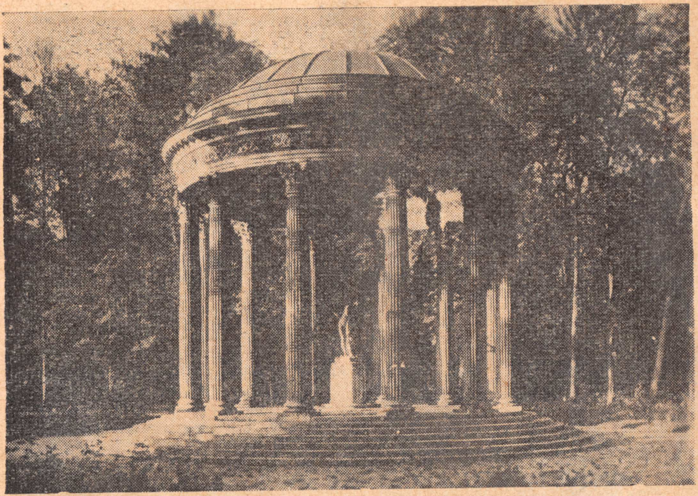
الرصيف المطلوب ، فتؤخذ منـــك تذكرتك ، وتدلف الى حيث تجلس على أريكة نظيفة ، فى انتظار وصول المترو المطلوب !

٢٣٠ كيلومترا ٠٠ و٢٨٤ محطة !

◆ **بقى** أن تعرف شيئا عن تاريخ انشاء هـــذا المشروع الجبار : فقد نبتت فكرته الأولى فى أذهان المســئولين فى عام ١٨٥٥ ، ثم أرجئت ، وعادت الى الظهور فى عام ١٨٧١ ، ثم فى أعوام ١٨٧٥ ، ١٨٨٠ ، ١٨٨٣ ٠٠ وفى كل مرة كان الخلاف ينشب بشأنها بين بلدية باريس ووزارة الأشغال، فينام المشروع ٠٠حتى يوقظه الرأى العام بعد أعوام، وتشجعه الصحف ،فيثار من جديد ، وهكذا ٠٠ الى أن جاء وزير الأشغال «لويس بارتو»



قصر « البتى تريانون » من الخارج



معبد الحب ، بقصر « البتى تريانون » ، أحد قصور (فرساى)

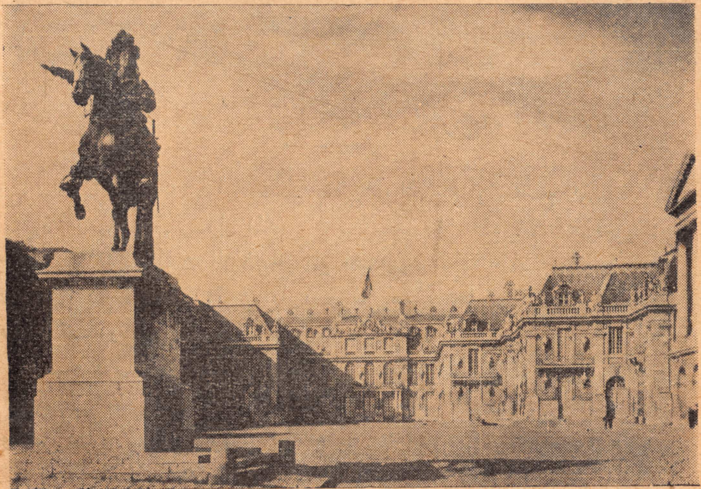
فى نوفمبر عام ١٨٩٥ ، فشرع فى دراسة فكرة منح البلدية امتياز انشاء واستغلال المشروع ، سيما وان اقتراب معرض عام ١٩٠٠ كان قد لفت الأذهان الى قصور وسائل المواصلات القديمة عن مواجهة ضغط زائرى باريس فى مدة المعرض ، بعد أن ظهر هذا القصور فى المعرض السابق عام ١٨٨٩

وفى ٣٠ مارس سنة ١٨٩٨ أقر البرلمان مشروع قانون باستغلال الخطوط الستة الأولى من المشروع ، فبدأ العمل فى التنفيذ فى أواخر ذلك العام . **وفى ١٩ يوليو سنة ١٩٠٠ افتتح الخط الأول ، ثم تلاه بعد شهور خطان آخران، وبذلك اختصر الوقت الذى كان يستغرقه راكب الترام القديم بين ضاحيتى بوابة «فانسين» وبوابة «مايو» من ساعة ونصف ساعة الى ٢٥ دقيقة**

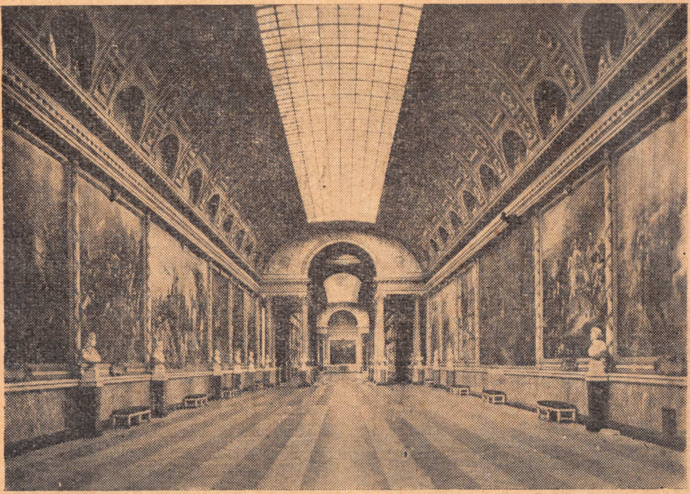
فقط بالمترو الجديد ! ٠٠ وأغرى الفارق الكبير السلطات بتوسيع المشروع ، فعهدت البلدية فى عام ١٩٠٣ الى احدى الشركات بحفر خط جديد يربط «مونمارتر» بـ «مونبارناس» ٠٠ ثم استمرت الخطوط فى الانتشار والازدياد حتى بلغ طولها فى الوقت الحاضر نحو ٢٣٠ كيلو مترا تتخللها ٢٨٤ محطة ، بعد أن بدأ المشروع بمسافة طولها عشرة كيلومترات ، وثمانية عشرة محطة !

الملك الذى هوى الصيد !

◆ **فاذا** فرغنا من حديث المترو «تحت الأرض» ، فتعال نستقله الى نهاية احد خطوطه ، ثم نستقل الترام العادى أو



فناء الشرف بقصر فرساى ، والى اليسار تمثال لويس الرابع عشر



بهو المعارك ، بقصر فرساى : تحفة خالدة من تحف المعمار والزخرفة

الأوتوبيس من هناك الى ضاحية باريس العريقة المشهورة : «فرساى» !

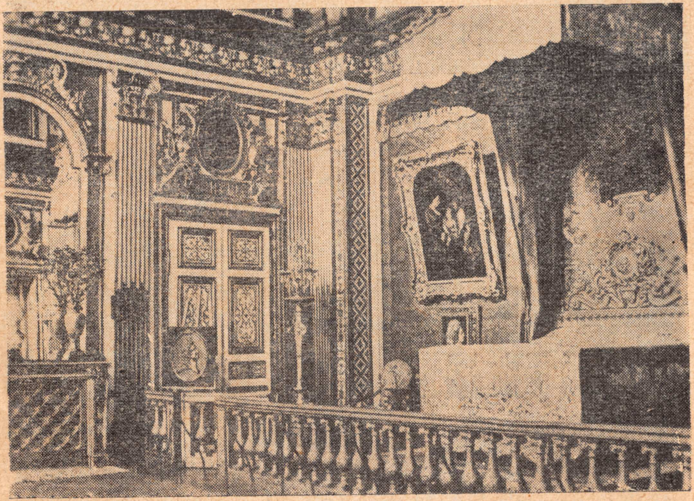
«فرساى» التى كانت بمثابة الاطار الباهر لمجد «لويس الرابع عشر» .. والتى كانت العاصمة الحقيقية لفرنسا فى القرن السابع عشر .. والتى أعطت اسمها لمعاهدة الصلح التى أنهت الحرب العالمية الأولى !

« فرساى » هذه، لم تكن فى القرن السادس عشر سوى قرية صغيرة ضائعة وسط الأحراش والغابات .. قرية تنحصر أهميتها الوحيدة فى كونها تقع على الطريق الموصل بين (نورماندى) و (باريس) ، وهو الطريق الذى كان معروفا باسم « طريق الأبقار » ، من كثرة الأبقار والماشية التى كانت تمر به فى

طريقها الى «مذابح» باريس !

ثم جاء الملك لويس الثالث عشر ، (أشهر ملك فى التاريخ هوى رياضة الصيد !) ، فأعجبه موقع فرساى كبقعة ملائمة للصيد ، وصار يكثر من التردد عليها لهذا الغرض ، بل لقد بلغ من اعجابه بالبقعة انه شيد لنفسه قصرا فيها ، رغم الروائح غير الطيبة التى كانت تنبعث من احراشها

وفى عام ١٦٥١ جاء الملك الجديد « لويس الرابع عشر» الى فرساى ، لأول مرة ، ليمارس الصيد فى غاباتها ، وكان فى الثانية عشرة من عمره ٠٠ فأعجب بها مثل اعجاب أبيه من قبله . ولم يمض زمن حتى أعد الملك الشاب ذو النشاط البالغ عدته لاقامة قصر له هناك ٠ وقد بدأ ، فى عام ١٦٦١ باصلاح وتزيين



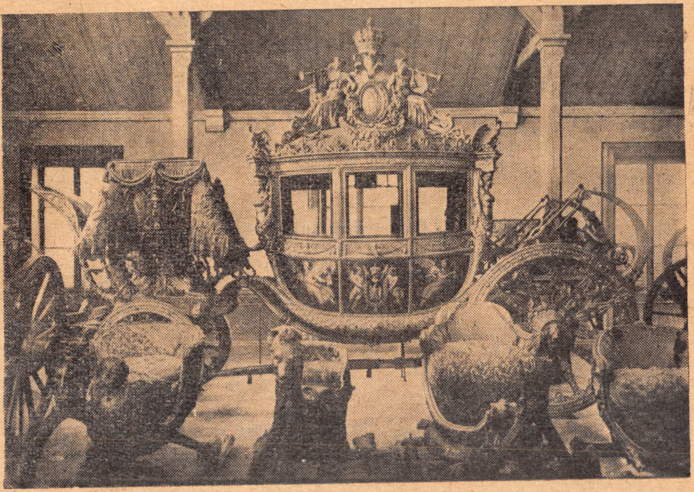
مخدع لويس الرابع عشر ، وفى اقصى اليمين سريره العتيق ذو السقف

القصر الذى أقامه ابوه فى تلك الضاحية، فنقش سقوفه بالذهب، ونحت الأعمدة والتماثيل النصفية لجدرانه، ثم أضاف الى القصر جناحا من الناحية الشرقيـــة ٠٠ (وان لم يبق اليوم من ذلك القصر الكبير الذى شيده لويس الثالث عشر وزينه ابنه لويس الرابع عشر ، سوى «فناء المرمر»)

قصر فرساى ٠٠ وحدائقه العالمية

• **على أن** القصر ، بعد تلك الاصلاحات الكبيرة ، لم يصـل من الرواء الى الدرجة التى ترضى أطماع الملك الشاب الطموح ، الذى كان ينشد نموذجا حيا يرمز للقوة والمجد ، فكان أن عهد الى أحد أساطين المعمار فى عصره بأن يحيط القصر القديم بقصر حجرى هائل ثلاثى الاضــلاع ـ هو الذى يؤلف اليوم المبنى الرئيسى لقصر فرساى ـ فبدأ العمل فى تشييد القصر الجديد فى عام ١٦٦٨ ، وانتهى بعد ستة أعــوام ٠٠ وفى عام ١٦٧٩ أضاف الملك الى القصر الجديد جناحين آخرين ، فبلغ طول أضلاع القصر ستمائة متر ٠ وبعد عشرة أعوام أخرى بدأ العمـــل فى تشييد مبنى كنيسة القصر ، وان لم يتم الا بعد عشرين عاما ٠٠ وفى تلك الأثناء كان بستانيو القصر يتولون تنسيق حـدائق القصر ذات الرواء الخلاب، حتى بلغت الحد الذى أكسبها شهرتها العظمى العالمية (التى دفعت أباطرة النمسا الى تقليدها فى حدائق قصرهم الصيفى «شونبرون» ، بفيينا)

والى جانب عنصر الابتكار فى تنسيق حدائق فرساى ، كان الأمر ينطــوى على مواجهة مشـــكلات ضخمة غـــير عادية ، منها نقل أشجار عتيقة من الغابات الى ممرات الحدائق، بجذورها المتشعبة مسافات كبيرة ، **الأمر الذى كان يستلزم أن تنقل مع الشجرة كتلة هائلة من الطمى المحيط بجذورها ، بحيث كانت زنة الشجرة الواحدة وملحقاتها تبلغ فى بعض الأحيان ٢٥ أو**



عربة ملكية كالحلية ، بمتحف العربات بقصر فرساى

٣٠ طنا !! .. بل لقد بلغ النشاط والحماس بكبير بستانيى الحديقة ذات مرة أن انتهز فرصة تغيب الملك عن القصر أياما معدودة ، فغرس صفا كاملا من هذه الأشجار الضخمة ، جعل منها بمثابة هدية فاجأ بها الملك عند عودته !

وكانت المرحلة التالية فى تزيين حدائق القصر ، اقامة بحيرات صناعية فى أنحائها ، تحيط بها تماثيل برونزية ثمينة تصور بعض أساطير الاغريق . ولكى تتيسر اقامة نافورات تقذف الماء فى وسط هذه البحيرات ، أقيمت بالقرب من الحدائق آلة هيدرولية تجلب اليها الماء من نهر السين ، وقد بلغ ارتفاع قمة ماء بعض هذه النافورات حدا ظل زمنا طويلا يعد أعلى مستوى بلغته مياه نافورة فى العالم ! .. وفى كل صيف يقام الآن مهرجان ليلى هائل فى حدائق فرساى ، تدار فيه هذه النافورات

تحت أضواء ملونة جميلة ، بينما تعزف جوقة موسيقيةمشهورة أعذب الألحان ، وتعرض أجمل رقصات الباليه على مسرح عائم فى البحيرة ٠٠ ثم تطلق الصواريخ الملونة والألعاب النارية الى ارتفاع هائل ، فترسم على صفحة السماء رسوما وتجمعات رائعة الجمال لم أر لها مثيلا فى أى بلد آخر حتى الآن ٠ ولا أغالى اذا قدرت عدد الذين حضروا ذلك المهرجان الذى شهدته فى الصيف الأسبق فى حدائق فرساى ، بنحو عشرة آلاف نسمة !

خمسون عاما مجيدة !

◆ **والى جانب** عناية لويس الرابع عشر بتنسيق حدائق قصره الجديد ، فقد أسلم «داخل» القصر الى عدد من أشهر الرسامين والمثالين فى عصره ، فجعلوا منه يومئذ اجمل قصر فى العالم غير منازع !

وقد أقام الملك وحاشيته فى القصر نحو نصف قرن ، لعبوا خلاله دورهم الخالد فى السياسة الأوربية فى ذلك العصر ٠ وهناك مثلت أعظم مسرحيات كورنى وراسين وموليير ٠ ومن هذا القصر الرائع صدرت من الملك الذى حكم ٧٢ عاما ، الأوامر الى جيوشه ، ووزرائه ، وسائر مرؤوسيه ٠٠ تلك الأوامر التى جعلت ذلك القرن السابع عشر يسمى بـ «القرن العظيم» !

٠٠ وفى أول سبتمبر عام ١٧١٥ مات لويس الرابع عشر ، فى قصر فرساى ، فى المخدع والفراش اللذين يراهما زائر القصر اليوم فى الطابق الثانى من « الجناح المرمرى »

(وفى العدد القادم ، نجوس معا خلال أجنحة قصر فرساى وجوانبه الفخمة)

أخيرا ..

يتاح لقارىء العربية
أن يقرأ تحفة الأدب الايطالى فى عصر النهضة

ديكا ميرون

ألف ليلة وليلة الايطالية



النص الكامل لأكثر من عشرين قصة قصيرة خالدة ترجمت منذ قرون الى جميع لغات العالم الحية ، ماعدا العربية!

والآن ، تتحفك بها فى منتصف مايو

مطبوعات كتابى

فلا تنس «شقيقات» أقصوصة «كيد النساء» ، التى قدمها لك العدد الأول من «كتابى» ونالت اعجابك ورضاءك!



« من الدير »　　للفنان صبرى حلمى راغب

(من معروضات صالون القاهرة الثانى والثلاثين)



« السيدة س » للفنان محمود ثابت

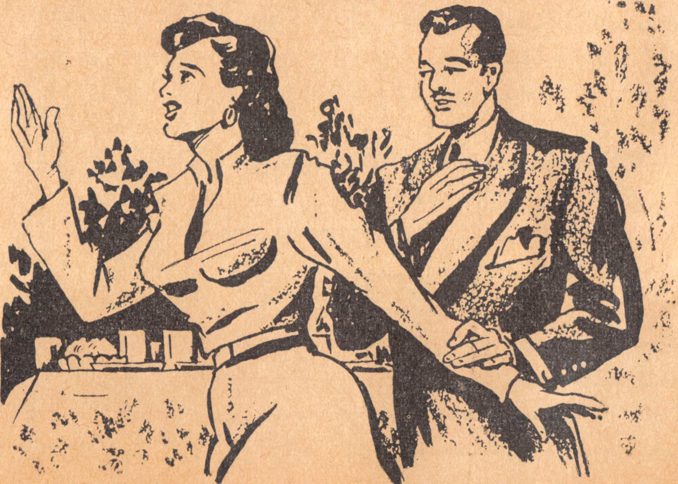
(من معروضات صالون القاهرة الثانى والثلاثين)



حدث ذات رمضان

قصة مصرية

بقلم: ابراهيم المصري



كان « عم مدبولى » المسحراتى واقفا بباب منزل « الأستاذ مصطفى » حاملا بيده فانوسه الصغير ، وسلطانية من الصاج شدت عليها قطعة من الجلد ، ينقر بها على السلطانية نقرا متواصلا ، ويصيح وهو ينشد : « اصحى يا مصطفى بك ربنا يزيدك مقام ٠٠ وتزور الكعبة والبيت الحرام ٠٠ بأسأل الهى الكريم الودود ٠٠ يحييكم المولى الى كل عام ٠٠ »

وكان الفقيه الشيخ «عبد الصبور» متربعا فى السلاملك على كنبة يرتل آى الذكر الحكيم ، والخادمة «حفيظة» تحوم حواليه ، وتهيىء له على الصينية النحاسية الكبيرة طعام السحور ٠٠

أما صاحب الدار الأستاذ مصطفى ، الذى لم يكن من عادته أن يصوم شهر رمضان ، فقد كان مع ذلك ساهرا ، يروح ويغدو فى حجرة مكتبه ٠٠ ثم يتوقف لحظة ، ثم يتجه صوب النافذة المفتوحة ، ويسرح ببصره فى الأفق البعيد ، مستغرقا فى تأملاته ، تائها فى شبه غيبوبة ٠٠

وانقضت فترة طويلة ٠٠ ولبث مصطفى ينظر الى السماء تتلامح فى صفحتها النجوم ، وتنحل غيومها الخفيفة وتتبدد كأن لم تكن ٠ ثم كر راجعا الى مكتبه ، وهوى على مقعد ، واعتمد رأسه بين راحتيه وأطلق لفكره العنان ٠٠

ذكر الأيام الأولى التى تعرف فيها الى «زينب» ، وكيف كانت فتاة رقيقة وديعة تشتغل معلمة أطفال فى احدى المدارس الأهلية ، فأحبها حبا عنيفا واقترن بها معترضا مشيئة أهله ٠ وأنقذها من مخالب الفاقة ، وفتح لها أبواب الثروة والنعيم ٠ كانت زينب اذ ذاك عذراء خفرة ، لينة الجانب ، طلقة النفس ، حلوة المعاشرة ، تبرق فى عينيها تلك البراءة الناصعة التى يقف حيالها الرجل خاشعا مفتونا ، وتترقرق من حديثها تلك السذاجة الساحرة التى تلهب الخيال ، وتشعل العواطف ، وتملأ النفس بأروع الآمال والاحلام ٠ أولع بها مصطفى لفرط ما وجد

فيها من فضائل تناقض أشد المناقضة ما اصطلحت عليه بيئته من حياة ٠ كانت هذه البيئة مترفة لاهية ، غليظة القلب ، قاسية المشاعر ، وضيعة الميول والاهواء ، مسممة بضرب من الكبرياء الوقحة المشوبة بالأنانية وحب الذات ٠ وكان مصطفى يمثل بيئته أبلغ تمثيل ، ويعتبر منصبه الحكومى الكبير مظهرا للوجاهة فقط ، ويحيا حياة الكسالى العاطلين ، لا هم له الا السهر واللهو وتبذير المال ، والتقلب من ذراعى غانية الى أحضان أخرى ٠٠

فلما التقى بزينب ، المدرسة الفقيرة المعدمة التى تعمل سحابة نهارها لتعول أما عجوزا وثلاث اخوات صغار ، تكشفت له الطبيعة البشرية عن جانب كان يجهله : فأدرك معنى البساطة ، وقدر حياة الكد والكفاح ، وأوشك أن يحتقر نفسه ويبغضها ، ويفهم تفوق وعظمة الفقراء ٠٠ وساعد جمال الفتاة على انماء هذه الأفكار فى ذهنه ، واضرام شعلة الحب فى صدره ٠ فعافت نفسه تقاليد بيئته ، واستعذب من أجل زينب فضائل التواضع والاحسان والرحمة ، وتاق الى تبديل جو حياته فى صحبة هذا المخلوق المشرق الناضر الذى لم تقع عيناه الا على كل ما هو طاهر وبرىء وشريف ٠٠

وعرض عليها الزواج ، فاستهولت الفارق الذى يفصل بينهما ، وخيل اليها انها مكيدة يدبرها كالآخرين ٠ ولكن مصطفى كان صادقا ونزيها ، فلم يغرر بالفتاة ، ولم يخدعها ، بل استقدم شابين من رفاقه ذات صباح ، وذهب الى المأذون فعقد عليها !

وكانت حياة زوجية شائقة لم تخطر لمصطفى ببال ٠ حياة هادئة ناعمة مستقرة ، تنطلق فى مجرى لامع صاف ، أشبه بحلم عذب طويل ، لا تكاد تعقبه اليقظة حتى يعود فيتجدد ، ويزهر ، ويتألق ، فى عالم شعرى فاتن ساحر ، مفعم بالثقة والتفاهم والوفاق ٠ وأحس مصطفى أن جو الخيال والسحر الذى

طالما نزعت اليه نفسه أصبح حقيقة تكلأه ، وترعاه ، وتفيض على وجدانه وبيته وتغمر قلبه وعقله ، ولا تنفك تنبثق من عينى هذه المرأة المثلى ، وتبدل شيئا فشيئا أخلاقه وعاداته ونظرته الى الحياة !

وقابلت زينب هذه النعمة بكل ما فى فطرتها السليمة من وفاء واخلاص ٠ ثم اشتد اخلاصها على مر الزمن وتضاعف ، واستحال عرفانها بجميل زوجها الى حب صادق غامر صحيح ٠٠ هو ذاك ! ٠٠ كانت تحب زوجها بكل صراحتها ، وكل براءتها ، وكل قواها ٠٠ فأين ٠٠ أين هو الآن ذلك الحب ؟! ٠٠ أما يزال له فى قلب زينب وجود ؟!

★ ★ ★

وأرسل مصطفى نفسا مستطيلا وهم بالامعان فى التأمل والتفكير ٠ ولكن صيحات «عم مدبولى» المسحراتى تعالت فجأة ، فاستيقظ أهل الدار وماج البيت كله ، وأضيئت أنواره ، وانبعث من حجراته صوت الست الكبيرة « جلشان هانم » — والدة مصطفى — تزجر الخدم وتنهرهم ، وتسألهم عما اذا كانوا قد أكرموا الفقيه « الشيخ عبد الصبور » ، وأعطوه نصيبا وافيا من جميع ألوان الطعام ، ولا سيما من الكنافة ، ومنقوع « قمر الدين » !

وامتعض مصطفى وأحنقته الجلبة المحتدمة ، ولكنه عاد فانطوى على نفسه ، وهتف وهو يسترسل فى التفكير : **لقد تغيرت ! ٠٠ انها لم تعد تحبنى ! ٠٠ انها تبتعد عنى ! ٠٠ تتملص منى ! ٠٠ تكرهنى ! ٠٠ ومع ذلك فأنا ما أزال أشعر انها تميل الى ، وان كنت أشعر فى الوقت نفسه انها مضطربة وقلقة ، تود أن تخلص بين ذراعى من هم عميق يعذبها ويضنيها ! ٠٠ ولكن لماذا تتعذب ؟ وهل هى تتعذب لأنها تكرهنى ؟ ٠٠ تكرهنى ؟ ٠٠ كلا ٠٠ أحس انها ما تزال تحبنى ٠٠ والا فما معنى تلك النظرات التي تقابلني بها ، والتي يشع منها حنان مذيب يأسر مني القلب**



والروح ؟٠٠ولكن النظرات شيء، وحرارة الهبة شيء آخر ٠٠ ولقد فترت حرارة زينب وابترد شوقها ، واستحالت الى امرأة أخرى! ٠٠ ياالخيبة الأمل المروعة بعد خمس سنوات خالسنا فيها النعيم! ٠٠لم نعقب أطفالا ولكننا كنا سعيدين ! كنت مكتفيا بها وكانت مكتفية بى ! ٠٠ لم أرها أبدا تتحرق على الأمومة، لفرط ماكانت مستغرقة فى حبى ، وواثقة من سلامة صحتها وصحتى ، ومتأكدة من أن الله لابد أن يمن عليها يوما بمولود ! ٠٠ أجل كانت سعيدة وكذلك كنت أنا ٠ ولكنى فقدت اليوم كل راحة وكل سعادة ! ٠٠ وها هو ذا اندماجى الكامل فى امرأتى يوشك أن يتقلص ويتبدد ويموت أمام عينى ! ٠٠ ولكن كيف حدث هذا ؟ وأية قوة بدلتها وحولتها وأشاعت الفتور فى بدنها الناضر ، وفى تلك الاستجابة الملهوفة التى كنت أعبدها ؟ ٠٠ انها وفية !٠٠ وفية ونزيهة ، وأنا أثق في شرفها ثقتي فى وجودى ! ٠٠ واذن فلماذا تغيرت ، ولماذا هى قريبة وبعيدة ٠٠ حارة وباردة ٠٠ متأججة وخامدة ٠٠ لا يكاد جسمها يلتصق بى حتى تغيب روحها عنى ، ولا أكاد أضمها الى صدرى حتى يخونها الحب فجأة ، ويفر منها،ويخلفها بين ذراعى أشبه بجثة هامدة ؟! ٠٠ لقد تغيرت ! ٠٠ تغيرت ! ٠٠ ومن المحال ، من المحال أن أتصل بها ! ٠٠ لن أنام بجوارها ! ٠٠ لن أنام فى مخدعنا الزوجى بعد اليوم !

وجاشت حسرة مصطفي ، وأوشكت الدموع أن تنفجر من

عينيه . ولكنه لم يستطع أن يبكى . كانت حيرته المستهولة أقوى من أعصابه المتداعية ، فطفق يغدو ويروح فى الحجرة كمخبول . ثم كر راجعا الى مكتبه ، ومضى يحدق فى صورة صغيرة لزينب ، ماثلة فى اطار جميل ، ومنبثقة كالزهرة من بين أوراق المكتب ، ثم راح يتأملها ، ويمعن النظر فى تقاطيعها ، ويحاول أن يفكر ويتروى ويفهم .. لا شىء ! .. لم يفطن الى شىء ! .. لم يفهم شيئا ! .. فدب فى قلبه اليأس ، وسئم عقله التفكير ، وزهدت نفسه فى الدنيا . فخارت أعصابه فجأة وسقط رأسه على ذراعيه ثم غلبه النعاس ، فلم يفكر فى التمدد على المقعد المستطيل ، ونام على المكتب وهو لا يدرى ..

★ ★ ★

وكان من عادة أهل الدار الا يزعجوه كلما أراد أن يخلو الى نفسه فى مكتبه . فلما تنبه واستفاق ، كانت الساعة قد بلغت التاسعة ، فتحامل على نفسه ثم خرج ليغتسل ، ويتناول فى البهو الصغير وجبة الصباح ، ويتهيأ للذهاب الى عمله فى الوزارة ..

وفجأة فتح باب مخدعه ، وبرزت منه زينب فى ثوب أبيض ناصع ، شاحبة اللون ، مشعثة الشعر ، زائغة العينين ، متقرحة الجفنين ، منهوكة وشبه تائهة . فتطلع اليها مصطفى ، وما كاد يبصر أمامه ، وفى منطلق اللهفة منه ، هذا الهيكل الناصع البياض ، المتقد نضارة وشبابا وحياة ، حتى اختلج ، وعض على شفتيه .. ثم لوى وجهه ، وأطرق ولم يتكلم ..

وساد الصمت لحظة ، وهب النسيم من النافذة المفتوحة ، فداعب الأستار ، فترنحت ، وسمع لها صوت أجش عميق كوسوسة الضمائر الحائرة .. **وبغتة ، وفى هدوء لين ، وبخطى وئيدة خرساء ، تقدمت زينب من زوجها ، وارتمت عليه وطوقت رأسه بذراعيها ثم قبلته قبلات حاولت عبثا أن تجعلها ملتهبة**

ومحمومة . ثم مدت يدها الصغيرة الرخصة ، ومضت تمسح بها خده الغائر ، وصدره المقوس ، ومنكبيه الضيقين ، وذراعيه الضامرتين ، وتضمه فى رفق كما تضم الأم الرؤوم وليدها ..

وارتعش مصطفى واستسلم فترة ، ولكنه لم يكد يشعر باندفاقات هذا الحنان الغامر ، حتى أحس مرة أخرى ، أحس فى قوة ويقين يخالطهما الدهش والذهول ، ان حنان زينب ملتهب وصادق وعميق ، وانه يشبه الهوى المبرح المشبوب شبها عجيبا . ولكنه مع ذلك « حنان » فقط ، حنان مجرد ، حنان قد استؤصل من فروعه ، واجتث من أصله ، وسلخ من تربته . حنان هو فى الواقع حنان أم أو أخت ، لا أثر فيه من تلك العصارة المسكرة الخالصة ، عصارة العشاق ، التى لا تنفك تنبض ، ولا تنفك تغلى فى الدم والحواس والاعصاب !

أحس مصطفى كل هذا ، فازداد قلبه انقباضا ، وصدره وحشة ، ونفسه اختناقا . فأسرع واجترع كوبا من اللبن ، ثم اعتذر بأنه قد تأخر عن موعد عمله ، فقبل امرأته قبلة عارضة ، وقال انه لن يعود الا فى ساعة الافطار .. وخرج لا يلوى على شىء !

واتبعته زينب النظر وهو خارج . وبعد أن أوصد الباب ، أحست كأن قلبها ينتزع منها انتزاعا . فلم تستطع كبح عواطفها ، فعادت الى مخدعها ، وارتمت على فراشها ، وانفجرت من عينيها الدموع ..

وطافت بها جميع صور حياتها : ذكرت هى أيضا ماضيها وحاضرها ، ومبلغ السعادة التى أشرقت عليها فى هذه السنوات الخمس ، وما انتهت اليه هذه السعادة التى كانت تعتقد زينب اعتقادا راسخا انها لن تموت ! .. ذكرت فقرها وبؤسها ، وحب زوجها العميق لها ، واعتزازه السمح الكريم بها ، والنعمة التى أسبغها عليها ، والترف الذى حباها به .. ذكرت كل هذا

ثم نظرت الى نفسها ، وهبطت الى قلبها ، ونفذت الى عمق أعماق ضميرها ، فسرت فيها قشعريرة متقدة مستهولة ‥ كيف ؟‥ كيف تتنكر هكذا لحبها ، وكيف تتحول هكذا عن اخلاصها ، وكيف تحنث هكذا بيمينها ، وكيف تخون بالفكر والحس والضمير ذلك الرجل الذى لم يكترث لبيئتها ، ولم يعيرها بأصلها ، واستعدى عليه أهله من أجلها ‥ وانتشلها من وهدة الفقر ، ورفعها الى مرتبة لم تكن لتحلم بها ؟!

وتمثلت صورته ، فتحسست أعضاءها مكمدة حانقة وأنشبت فيها أظافرها ، وكأنها تود أن تهزها من سباتها ، وتنعشها وتحييها ، وتبعث فيها تلك الحرارة التى ينشدها مصطفى ‥ ولكنها عجزت ‥ عجزت ويئست وروعت ‥ روعت اذ تمثلت لها صورة أخرى ‥ فاختلجت اختلاجا عنيفا ، وحاولت جهدها أن تطردها ‥ بيد أن الصورة لازمتها ، واستبدت بها ، واستغرقت فى فسحة خيالها • فخشيت على نفسها وطأة الوحدة ، وخرجت لفورها من المخدع ، وانطلقت تجوب غرف البيت ، وتشترك مع جلشان هانم والخدم فى اعداد الافطار ‥

وكان كل من فى البيت صائما ما خلا زينب • والحق أنها كانت قد نشأت فى بيئتها الفقيرة مؤمنة تقية ، شديدة الاستمساك بشعائر الدين • ولكنها لم تكد تتزوج حتى شغلتها سعادتها ، وألهتها حياة الترف ، واستغرقتها أوضاع مجتمعها الجديد ، ورأت زوجها كمعظم الاثرياء لا يصلى ولا يصوم ، فاقتدت به ، ففتر ايمانها ، ولم تعد تحفل هى أيضا لابالصوم ولا بالصلاة ، مما أغضب عليها زمنا طويلا حماتها المؤمنة المحافظة « جلشان هانم »

على أن زينب كانت تتمنى فى ذلك اليوم لو أن فى وسعها أن تصوم وتصلى ‥ كانت قلقة ومذعورة ، وحيدة تائهة • كانت تقف بمفردها أمام التجربة ولا ايمان يحميها ، ولا ارادة تعصمها ، ولا طفل يملأ فراغ حياتها ‥ الطفل ! ‥ طفلها؟

لقد انتظرته عبثا منذ خمسة أعوام ! جميع الأطباء قالوا انها سليمة البدن ، وجميعهم زعموا أن زوجها سليم البدن أيضا ٠٠ واذن فلماذا أبى الله الا أن يغدق عليها كل المتع ويحرمها من نعمة الأمومة ؟ ٠٠ انها لا تكاد تعتقد أنها حامل حتى تغدر بها الطبيعة ، وتهمس فى اذنها أنها قد تظل امرأة عقيما ، يتبرم بها أهل زوجها ويرمقها الناس بعين الشـــفقة والرثاء ! ٠٠ أجل ٠ انها امرأة عقيم ! ٠٠ امرأة عقيم ؟ ٠٠ ولا عبرة ألبتة بما قد طرأ عليها وما قد بدأت تشعر به منذ أيام : ان ثدييها ثقيلان ، وصدرها ملئ ، وجسمها متلبد رخو ، **ولكن هذه الأعراض بدت عليها مائة مرة ، وفى كل مرة كانت تسخر منها الطبيعة ، ويغدر بها الامل ، ويخلف فى نفســها اليأس والحسرات ! ٠٠ كلا ٠٠ كلا ٠٠ انها لن تحمل أبدا ولن تلد ! ٠٠ ما أحوجها الى الصوم والصلاة ! ٠٠ ما أحوجها الى قــوة علوية تنقذها ! ٠٠ هو ذا قرينها قد بدأ يرتاب فيها ويهجر مخدعها ٠٠ وها هى ذى التجربة ، التجربة المروعة ، توشك أن تقبل عليها ، وتقتحمها ، وتنذرها بالويل العـاجل والشر المستطير !**

وتدافعت كل هذه الخواطر والانفعالات فى ذهن زينب ، وهى ماضية فى مشاركة أهل الدار فى اعداد ألوان الطعام ، وعينها ترمق حماتها جلشان هانم التى ما كادت تسمع اذان الظهر حتى أسرعت الى مخدعها ، وبسطت بنفسها سجادتها الصغيرة وجثت فى هدوء ، وشرعت تصلى ٠٠

وحدقت اليها زينب وأرادت هى أيضا أن تصـــلى ٠٠ ولكن سرعان ما ذكرت أنها قد نسيت كل شىء ، وأنها لم تعد تعرف ماذا ينبغى أن تقول ، وأية آيات وابتهالات ودعـوات يجب أن تنطق بها كى تتخلص من حمل نفسها وتستريح ! ولما أبصرت حماتها تطوى سجادتها وتنهض،همت بأن تفزع اليها، وتلتمس منها أن تعلمها كيف تصلى ٠ ولــكن حــركة عنيفة منبعثة من

الشارع دوت فجأة • فتلفتت زينب والـذعر يمـلأ قلبها ، فأبصرت أحد أبواب شرفات البيت المجاور لبيتهم ، يفتح على مصراعيه ، ويطل منه رجل •• وكان هذا الرجل هو الوجيـه « احسان » ابن عم زوجها وجاره وأحب أصدقائه اليه

ورمت زينب الرجل بنظرة وارتجفت ••أرادت بالرغم منها أن تسرع الى شرفة مخدعها وتحييه •• ولكن الرعب عاد فجثم على صدرها • فتراجعت وتماسكت ، وظلت فى البهو الصغير ثم أغلقت أبوابه عليها ، وحبست نفسها بين جدرانه ، ولبثت واقفة بجوار النافذة المطلة على حديقة بيتهـا ، تزفر وتتأوه وتتلوى ، وتسرح ببصرها الزائغ فى الاشجار التى اعتصرها القيظ ، فبدت رازخة ساخنة جامدة ، كأنها رسوم أشـجار لا روح فيها ولا حياة ••

ومكثت زينب فى البهو الصغير ساعات والجـوع يمزقها ، وشعورها بالأمن فى عزلتها يحول بينها وبين اسـتدعاء أحد الخدم وطلب شيء من الطعام

وكان الخدم قد بدأوا يمدون فى حديقة البيت مائدة الافطار ، ويكسونها بمفرش أبيض ناصـع ، بينما كان البعض منهم يفتحون باب الحديقة الخلفى ويشرعون فى توزيع أرغفة العيش المحشوة بقطع اللحم وقبضات الارزعلى الفقراء وأبناء السبيل••

وكانت زينب تنظر اليهم من النافـذة وهى سـاهمة •• ذكرت أن مصطفى كان بالامس قد دعا ابن عمه احسان وزوجته وولديه وشقيقته لتناول الافطار هنا مساء اليوم • **فاختلجت ، وقام فى نفسها أن تفر الى مخدعها ، وتلزم فراشها ، وتصطنع المرض • ولكنها ظلت حيث هى •• كانت بالرغم منها تريد أن ترى احسان ، وتريد أن يراها هو ، وتريد أن تجلس اليـه ، وتتأمله ، وتحادثه وتملأ منه بصرها ، وخيـالها ، وحسـها المتحرق الملهوف !**

وعيل صبرها ، وتمنت لو أن فى وسعها أن تطـوع حركة

الزمن وتستعجل مدفع الافطار . فجعلت تلوى منديلها ، وتتلهى بالنظر الى جموع الفقراء والمساكين وهم يتصايحون ويتضاربون ، ويتسابقون لاختطاف أرغفة العيش ..

وانها لمستغرقة فى غمرة شرودها ، واذا بها تسمع طرقا خفيفا على الباب ، فأجفلت واستدارت ، فرأت الباب يصر ثم يتحرك ثم ينفتح ، ويدخل منه .. احسان !

ما كادت تراه مقبلا بمفرده ولما يحن موعد الافطار ، حتى بهتت ، وهمت بالاندفاع نحوه . ولكنها تراجعت وظلت تحملق فيه وهى جامدة ! .. وأوصد الرجل خلفه الباب ، وتقدم على مهل وهو يبتسم ، ومد يدا يصافح بها زينب ، وأخرى يحاول بها أن يطوقها ويضمها الى صدره .. فارتعدت فرائص المرأة ، وهمست اليه بالانصراف ، وجعلت تنبهه وتحذره مشيرة الى الخارج ، وهى تلوح بذراعها تلويحا متعاقبا ملؤه الذعر !

ولكن احسان لم يحفل ، وجذبها من ذراعها ، وأقصاها عن النافذة ثم طوقها ، وانحنى عليها ، وهم بأن يختلس منها قبلة . فازداد رعبها وتملصت منه ، وعدت نحو الباب تريد أن تفتحه . فأسرع وقطع عليها الطريق ،ودفعها الى الداخل دفعا ثم أمسك بكتفيها وشدها اليه فى حنق . فأحست كأن حيوية بدنها تنطلق منها وتندفق برمتها عليه، فأوشكت أن تتراخى وتترنح . فانتهز فرصة ضعفها ، وأدنى شفتيه اللاهثتين منها . فأرسلت صرخة مخنوقة ، ودفعته عنها ، ودارت لفورها حول المنضدة القائمة فى وسط الغرفة، واحتمت بها،وظلت تحدق الى احسان تحديقا آسفا عميقا ممزقا ، كأنها تشهده على حبها وضعفها وتلتمس اليه أن يعفو عنها ويرحمها !

ونظر اليها الرجل نظرة عتاب مرة . فتأملته وتفطرت بغتة كل حواسها ! .. تأملت وجهه الأسمر الجميل ، ومنكبيه الوثيقين العريضين،وعضلاته القوية المفتولة، وعينيه السوداوين الحادتين اللتين يخطف بريقهما الأبصار ، وقارنت بينه وبين

زوجها الرقيق الضعيف . **فهفا قلبها الى زوجها ، وهفا بدنها في الوقت نفسه الى احسان ! فشعرت وهي مختبلة أنها تحب مصطفى وتحب احسان ! .. وان وحدة كيانها البشرى تنفصم، وان شيئا أقوى منها يشطرها شطرين ، ويدفعها بالشطر الحسى الملتهب منها الى الارتماء بين ذراعى احسان !**

واستنكرت هذا التوزع العجيب فى شخصيتها ، واستهولت هذه الجاذبية الحسية العنيفة التى طالما عذبتها ، وطالما حيرتها ، وطالما فكرت فيها فلم تعرف أبدا سرها.. استهولت هذه الجاذبية وهى تستعذبها ! استهولتها وهى تنشدها ! استهولتها وهى ظمأى اليها ! فتاه فكرها ، وخار عزمها .. فغافلها احسان ، وأمسك بها ، وأقصاها عن المنضدة . فاصطدمت بالنافذة المفتوحة ، فوقعت عيناها على حديقة البيت .. الحديقة الواسعة .. الحديقة الزاخرة بالحركة .. الحديقة المنبسطة على أرضها الخضراء مائدة الافطار الطاهرة الناصعة البياض .. فروعت زينب وذكرت كل شىء : ذكرت أنها فى شهر رمضان ، فجن جنونها ، وهالها الحرام فى شهر رمضان .. كبر عليها أن تكون مفطرة وغادرة .. كبر عليها أن ترى الناس يصومون ويصلون ويكفرون عن آثامهم ثم ترتكب هى لأول مرة فى هذا الشهر الفضيل أخس وأفظع وأقبح الآثام ! .. فدب فيها عزم طارىء، واستجمعت قواها ، وتملصت من الرجل واندفعت نحو الباب تأبى الا أن تفتحه . **فانقض عليها احسان** ، واحتواها بين ذراعيه ، وجاهد جهاد المستيئس ليقبلها ، ولكنها استنهضت فى نفسها **أقصى الارادة وأقصى العزم** ، ودفعته عنها فى عنف وفتحت الباب ..

وتقهقر احسان وقد أمضته الخيبة .. ثم قطب حاجبيه ، ونصب قامته ، وخرج من الغرفة دون أن يلقى على زينب نظرة! .. فروعت ، وانخلع فؤادها ، وخشيت أن تفقده الى الأبد . **فكر عليها شيطانها ، وعاودتها الجاذبية الخبيثة الغاشمة وتمكنت**

منها ! فأجالت الطرف حولها ملتاعة ، فألفت الدار ساكنة ، وأهلها كلهم قد هبطوا الحديقة. فعدت خلف احسان ، وأمسكت به ، وطفقت تستعطفه وتسترحمه ، وتتوسل اليه ألا يحقد عليها ، وأن يقدر عذابها ويصفح عنها . ولكنه أعرض ولم يجبها !.. فتشبثت به ، فأفلت منها متسخطا ، ومضى فى طريقه . فتبعته ثم تبعته أيضا .. ثم فغرت فاها فجأة كبلهاء، وبهتت ، وتوقفت .. توقفت وهى مستغربة .. توقفت وهى متشككة .. ومست بطنها فى ذهول ، فأحست شيئا عجيبا .. شيئا خارقا .. شيئا خفيا وساحرا ، يتحرك فيه، ويدب دبيب الامل المرموق فى صميم أحشائها ! .. فتحسست أيضا بطنها كمعتوهة ، وملكها فرح لا يوصف .. اختنقت .. جمدت . أصابها شبه شلل فاتر ولذيذ ، سبحت فيه وهى تائهة ، ولم تتحرك .. أجل . لم تتحرك ، لم تتقدم ، لم تلحق باحسان ، لم تحفل بغضبه ، أو تكترث لسخطه ، أو تفكر فى مجرد النظر اليه . شعرت شعورا غريبا ، شعورا باغتها وأذهلها وحيرها ، ان احسان قد انفصل عنها ، وسلخ من جسمها ، وبتر من حواسها ، وتقلص فى مثل لمح الطرف وتبدد كأنه طيف خيال !

وارتمت على مقعد وهى تلهث ، ويدها المرتعشة الرفيقة تحضن بطنها المبارك حيث يتحرك جنينها المنشود .. ومن هذه الحركة الوئيدة الهامسة ، وعلى وقع هذا النبض المتقطع المختلج الوهاج ، انجابت السحب عن ذهن زينب ، وأشرق عقلها بغتة، ووضح أمامها سر نفسها ، وفهمت ، ووعت ، وأدركت كل شىء !

أدركت أن توزع ميولها كان ثورة على الطبيعة ، وانفصام كيانها كان تحرقا على الامومة ، وتصدع شخصيتها كان تلهفا على الطفل !

أدركت أن « احسان » لم يكن فى نظرها غاية بل وسيلة !

أدركت أنها لم تحب احسان أبدا !

أدركت أنها لم تنجذب بحواسها نحو احسان القوى الا لتعقب منه الطفل الذى كانت قد يئست بعد خمس سنوات طويلة من أن تعقبه من زوجها الضعيف مصطفى .. ولكن مصطفى لم يكن ضعيفا . هى التى كانت واهمة ومتبطرة وثائرة .. وها هو ذا الطفل .. ولده .. ثمرة حبها الخالص له ، يمرح فى أحشائها ، ويباركه ويقدسه كفاحها المرير دفاعا عن كرامتها وذودا عن عرضها !

وتنفست ونهضت ، ثم اندفعت نحو البهو الصغير ، ونظرت من النافذة وملء نفسها اللهفة الى أن ترى زوجها ، فأبصرته واقفا بباب الحديقة وفى صحبته أمه وابن عمه وبعض الخدم ، يستقبلون حرم احسان وشقيقته وولديه ، ويتجهون بهم نحو مائدة الافطار المستديرة المنبعثة من بين الحشائش الخضراء كأنها زنبقة كبيرة ناصعة . فأطرقت زينب برأسها لحظة ، وتأملت المائدة الطاهرة ، وذكرت فضل رمضان عليها . فوثب قلبها فى صدرها أمنا وفرحا وتلهفا .. فأسرعت الى مخدعها ، وألقت على كتفيها وشاحها الازرق ، وهبطت الحديقة وهى تتخطر وتتهادى وتحرص على نفسها ، وتزن خطواتها وتتئد فى مشيتها كأنها توشك أن تتعثر تعثر العز والدلال ..

★ ★ ★

ولما أقبلت على المدعوين ، حيتهم دون أن تنظر مواجهة الى احسان .. ثم تركتهم فى صحبة حماتها ، واتجهت صوب زوجها ، فتأبطت ذراعيه، ومشت به الى وسط الحديقة، وأسرت اليه النبأ العظيم ، وهى تلتمس منه والفرح يكاد يخنقها ، أن يكتم السر ما استطاع ، خشية أن تصيبها قولة مرتاب أو عين حسود ..

وتطلع اليها مصطفى مذهولا ، فأقسمت له أنها صادقة .. ثم التصقت به ، وغمرته بعطر بدنها ، وبنشوة الفرح الشاكر المتألق فى عينيها . فارتجف وأيقن من صدقها ، وخفق فؤاده



طربا وكبرا ، ونسب على الفور كل ما قاساه منها الى التحول الجثمانى الذى طرأ عليها ٠٠ فضم ذراعها الى صدره فى حنان، فمالت برأسها الى كتفه وغمغمت : « أنا لازم أصوم رمضان من بكره يامصطفى ٠٠»

فقال وهو يلاطف خدها بأنامله : « لا دا يبقى حرام ! ٠٠ أنا اللى حاصوم مش انت يا زينب ! »

فالتصقت به أيضا كأنها تريد أن تفنى فيه ٠ فأحس لأول مرة منذ أسابيع بل منذ أشهر أن السعادة لم تفر منه الا لترتد متدفقة عليه ، وانه لا يحلم الآن بل يعيش ٠٠ وان امرأته العزيزة الحبيبة قد عادت اليه من تلقاء نفسها ، ومنحته عن طواعية واختيار هبة القلب والجسد كاملة !

وطوقها بذراعه وهو نشوان وتقدم بها صوب المائدة ٠٠

وقصف مدفع الافطار ، وجلجل فى السلاملك صوت الشيخ عبد الصبور : « الله أكبر ! » ٠٠ وشرع القوم يجرعون الماء ويأكلون ويسمرون ٠٠

وارتمت الظلال على الارض ، وعلى وجه احسان ٠٠ وتعالت ضحكات زينب ، رنانة مطمئنة صافية ، بينما كان أطفال الحى قد بدأوا يتقاطرون على أبواب الحديقة حاملين فوانيسهم الملونة المضاءة ، يلوحون بها ، وهم يرددون :

« وحوى وحوى أيوحة ٠٠ بنت السلطان لابسة قفطان ٠٠ أيوحة »

الحياة قصة



روائع القصص العالمى

عزيزى القارىء :

قرات معى فى الاعداد الماضية قصص: • اموك : لستيفان زفايج • قلب عذراء : جون جالزورثى • مرتفعات وذرنج : أميلى برونتى • التلميذ : بول بورجيه • أحدب نوتردام : فيكتور هوجو • جريمة حب : بول بورجيه • جين اير : شارلوت برونتى • أيام بومباى الأخيرة : لورد ليتون • مانون ليسكو : الاب بريفو • حديقة الله : روبرت هتشنز • عندما تحقد المرأة : جورج أونيه • آسيا : ايفان تورجنيف • الشيطان على الارض : برتراند رسل • رسالة من مجهولة : ستيفان زفايج • الحب الاول : تورجنيف • تاييس : اناتول فرانس • بلاد العميان : هـ.ج. ويلز • نادى الانتحار : روبرت لويس ستيفنسون • كوخ العم توم : هارييت بيتشر ستو • الزوج والعشيق : سومرست موم • البوهيمية : هنرى مرجيه • فتاة لها ماض : بول بورجيه • شيرى : كوليت • الجريمة والعقاب : دستويفسكى • لحن كرويتزر : تولستوى • اميرة مصر : جورج ايبرز • الامطار : سومرست موم • افروديت : بيير لويس • جيجى : كوليت • الشيطان فى الجسد : ريموند راديجيه • ليبوريللا : ستيفان زفايج • كانديد : فولتير • اشجان فرتر : جيته • فرانتسسكا : موباسان • لوريت • المعطف • يوميات زوجة • الافق المفقود • النار الخالدة • الوحل • أبناء وعشاق • « اليهودى التائه » • « صباح الخير أيها الحزن » • وهاك اليوم : « علاج الحب ! »


THE CURE
FOR LOVE
By
H.G. WELLS
علاج الحب!
قصة العالم سنة ٢٠٠٠
للمفكر الانجليزى "هـ. ج. ويلز"

الحب .. سنة ۲۰۰۰ !

◆ فى عدد نوفمبر الماضى قدمت لك قصة « النار الخالدة » ، للأديب الانجليزى – العالمى – « ه . ج . ويلز » ، الذى اشتهر باتساع أفق تفكيره ، حتى لقد استطاع التعمق فى دراسة مستقبل الحضارة البشرية، ورسم له صورا دقيقة واضحة قدمها باسلوب العالم الساخر ! .. ومن قبل ذلك قدمت لك فى العدد ۲۱ قصة أخرى من قصصه هى « بلاد العميان » . على انه اذا كان « ويلز » قد نحا فى تينك القصتين نحـوا فلسفيا جافا بعض الشىء ، فانه فى هذه القصة الثالثة التى أقدمها لك فيما يلى ، يخلط الفلسفة بالخيال الفكه ، والجد بالهزل ، فيتخيل العلاج الذى سوف يهتدى اليه انسان سنة ۲۰۰۰ ، لشفاء مرض من أشـد أمراض الانسانية استعصاء .. هو مرض « الحب » !

فتعال نجرب معه علاج الحب .. ونرتاد مجاهل عالم سنة ۲۰۰۰ !

– ۱ –

◆ **يقولون** ان العالم قد تغير فى المدة بين سنة ۱۸۰۰ وسنة ۱۹۰۰ تغيرا يفوق ما طرأ عليه فى الخمسمائة عام التى سبقت ذلك التاريخ . وان القرن التاسع عشر يعد بداية عصر جـديد فى تاريخ البشرية ، هو عصر المدن الكبيرة الضخمة ، الذى بدأ من حيث انتهى نظام الحياة « الريفية » العتيقة !

ويبدو أنهم على حق ، ففى بداية القـــرن التاسع عشر كانت أكثرية الجنس البشرى لا تزال تعيش فى المدن الصغيرة وقرى الريف ، كما عاشت خلال قرون عديدة خلت منذ فجر التاريخ، مشتغلة بالزراعة ، أو الصناعات الزراعيـــــة . وكان الناس يحرصون على أن يسكنوا بالقـــرب من مراكز أعمالهم ، ولا يسافرون أو يتنقلون الا نادرا ، لأن وسائل المواصـــلات السريعة المريحة لم تكن قد اخترعت بعد ، وكان الانتقال من مكان الى مكان يتم اما سيراً على الاقدام ، أو فى مراكب شراعية

بطيئة السرعة ، أو على ظهور الجياد •• أى بسرعة ستين ميلا فى اليوم على أكثر تقدير !

وفى ذلك العصر « البدائى » كانت المدن التى يزيد تعداد سكان كل منها على مائة ألف نسمة تعد على أصابع اليدين ، وكانت مقصورة على الموانىء المهمة ومراكز الحكومات •• فلما جاءت نهاية القرن التاسع عشر ، كان اختراع السكك الحديدية والتلغراف والسفن البخارية والآلات المعقدة ، قد بدل تلك الأوضاع القديمة وقضى عليها الى غير رجعة • فتيسر انشاء المدن الكبيرة مشتملة على شتى المرافق المريحة ، والمخازن التجارية الضخمة ، ودور اللهو المتعددة • واذ ذاك بدأت المنافسة والشد والجذب بين هذه المظاهر التى جاءت بها المدنية الحديثة وبين الموارد المحلية للمراكز الريفية البدائية السابقة •• **وسرعان ما هاجر الناس الى المدن الكبرى ، متأثرين بجاذبيتها القوية التى لا تقاوم •• ثم كان ازدياد التقدم الصناعى ، فقلت الحاجة الى الأيدى العاملة وزادت البطالة ، فشلت الأسواق المحلية ونمت المراكز الصناعية الكبرى نموا سريعا على حساب الريف المهجور !**

وقد كانت هذه الظاهرة الشغل الشاغل لكتاب ذلك العصر ـ عصر الملكة فيكتوريا ـ فى كل من بريطانيا وأمريكا والهند والصين • ففى كل مكان كانت المدن الكبيرة تحتل مكان البلدان الصغيرة القديمة، ولم تدرك الا أقلية ضئيلة من أولى الأمر أن ذلك التطور ليس الا نتيجة حتمية لتطور سبل المواصلات والنقل • بينما عمد الباقون الى رسم الخطط الكفيلة فى حسبانهم بصد ذلك التيار الجارف ومقاومة الجاذبية المغناطيسية الغامضة للمدن الكبرى ، أملا فى اقناع الناس بالبقاء فى أقاليمهم •• !

★★★

◆ **لكن** تطورات القرن التاسع عشر هذه لم تكن الا بمثابة «فجر» العصر الجديد ، بل ان المدن العظمى التى نشأت فى أواخر ذلك

القرن كانت لها مساوئها الفظيعة التى تعكر صفو سكانها وراحتهم ، ومنها ضباب الدخان المضر بالصحة ، والضجيج المرهق للأعصاب ٠٠ ثم عولج هذا باستنباط وسائل جديدة للبناء وادارة المصانع بغير وقود ٠ فتضاعفت سرعة تطور المدنية والاختراع بين سنة ١٩٠٠ وسنة ٢٠٠٠ ولم يبق من ذلك العصر الفيكتورى الا ذكرى ، تضرب مثلا على التقاعد والخمول !

ولم يكن اختراع السكك الحديدية غير الخطوة الأولى فى تطور سبل المواصلات ، الذى أدى فيما بعد الى احداث ثورة فى الحياة البشرية ٠ **فلم تحل سنة ٢٠٠٠ حتى تلاشت السكك الحديدية والطرق الأرضية القديمة المصنوعة من التراب والأحجار ، والملأى بالحفر والاخاديد والقاذورات ٠ وحلت مكانها طرقات ملساء مصنوعة من مادة كالمطاط تدعى « ايدهاميت » ، نسبة الى مخترعها « ايدهام » ٠ وكان اختراعها ـ شأن اختراع الطباعة والبخار ـ من أخطر الاختراعات أثرا فى تاريخ العالم ، ولا سيما أن نفقاتها صارت زهيدة ، لا يزيد ثمن الطن منها على شلنات معدودات !**

وقد روعى فى انشاء هذه الطرق الجديدة الطويلة العريضة ، أن يشتمل كل منها على فروع عدة ، خصص الفرعان الجانبيان منها لراكبى الدراجات وأدوات النقل التى تقل سرعتها عن خمسة وعشرين ميلا فى الساعة ٠ وخصص الفرعان التاليان لهما للسيارات التى تصل سرعتها الى مائة ميل فى الساعة ٠ أما الجزء الأوسط من الطريق فخصص للمركبات التى تزيد سرعتها على هذه النسبة !

وقد ظل هذا الجزء الأوسط من الطرقات الجديدة غير مطروق نحو عشر سنوات ، فى انتظار المركبات التى تسير بهذه السرعة ٠ ثم أصبح بعد ذلك أكثر الأجزاء ازدحاما ، وراحت تذرعه مركبات خفيفة تصل سرعتها الى المائتى ميل ، ويتراوح قطر عجلاتها بين العشرين والثلاثين قدما ٠٠

وفى الوقت الذى تم فيه هذا التطـــور ، بل هـــذه الثورة الصناعية ، حدثت ثورة أخرى مماثلة بدلت الأوضاع فى المدن الكبرى المتضخمة تدريجا : فقد اختفى دخان المصانع وضبابها وقاذوراتها ، وحلت الكهرباء مكان الوقود فى ادارتها واضاءتها .. **ثم غطيت طرقات المدن وميادينها بسقوف من مادة تشبه الزجاج، لتحمى المارة من تقلبات الطقس ! .. ثم ألغيت جميع التشريعات السخيفة التى تمنع زيادة ارتفاع الأبنية عن حد معين ، فتحولت لندن من مساحة شبه مسطحة من المبانى الحقيرة المنخفضة ، الى مدينة تطاول أبنيتها السماء وتناطح السحاب . ثم أضيفت الى مسئوليات البلديات عن توريد الماء والنـــور وازالة القمـــامة والمخلفات ، مسئولية أخرى جديدة، هى توريد الهواء الى المساكن وتجديده وتكييفه .. !**

أصبحت الطائرة وسيلة المواصلات الرئيسية ، وتطـــورت أماكن السكنى من المساكن الصغيرة الخاصة الى الفنادق الفسيحة التى تتكفل بايواء الناس جميعا وتقدم لهم الطعام والشراب ! . وانتقلت الفئة القليلة الباقية من الزراع الى المـــدن الكبرى ، وصارت تذهب الى مزارعها كل يوم وتعود بالطائرة ! . وهكذا اختفت البيوت من القرى وتحولت انجلترا الى أربع مدن كبرى فقط تضم كل منها عشرات الملايين من البشر .. !

والآن ، لنتعرف الى بطل قصتنا ، وهو مستر « مووريس » .. والى جده الأعلى مستر « موريس » !

- ٢ -

◆ **كان** مستر موريس - الجد - يعيش فى عصر الملكة الطيبة « فيكتوريا » . وكان رجلا ميسور الرزق موفور المـــال راجح العقل ، يقرأ « التيمس » ويذهب الى الكنيســـة يوم الأحد ، ويحتقر كل من ليس على شاكلته . فقد كان من طـــراز الناس الذين يفعلون كل ما هو صائب وواجب ومفروض ، بانتظام لا يحيد عنه قط ! فهو دائما يرتدى الثياب اللائقة ، ويتصـــدق

بالصدقة المناسبة ٠ ولا يخطىء أبدا فى قص شعر رأسه الى الحد الذى يتفق مع العرف السائد ٠٠ !

كل ما كان خليقا برجل فى مركزه أن يقتنيه، كان يقتنيه ٠٠ وكل ما كان خليقا بمن فى مركزه أن ينبذه ، كان ينبذه ! ٠٠ وبين مقتنياته العديدة الصائبة كانت له زوجة وأولاد ، هم طبعا نعم الزوجة ، ونعم الطراز والعدد المناسب من الأولاد ! ٠٠ يرتدون الثياب اللائقة ، ويعيشون فى بيت لائق مبنى على الطراز الفيكتورى ، ومؤثث على طراز عصر « الملكة آن » ٠ وهم يذهبون الى المدرسة التى تصلح لهم ، وحين يكبرون يوظفون فى الأعمال التى تناسبهم ! ٠٠ أما بناته فقد زوجهن جميعا ـ رغم احتجاجاتهن السخيفة أحيانا ـ من رجال ذوى مستقبل مرموق وخلق قويم !

وفى الوقت المناسب ، حين صار خليقا بمستر موريس أن يموت ، مات الرجل ! ٠ ودفن في قبر من الرخام ، كما يليق بأمثاله من الناس أن يدفنوا ٠٠ ثم مرت جثته بأطوار الانحلال المعهودة ٠ ولعل عظامه صارت ترابا تبعثر فى أركان السماء الأربعة قبل بداية قصتنا هذه بزمان طويل ! ٠٠ بل انه حين بدأت هذه القصة كان أبناؤه وأحفاده وأبناء أحفاده وأحفادهم قد صاروا بدورهم ترابا ، الأمر الذى لم يكن هو يستطيع أن يتصوره ، ولو تنبأ له به أحد لكذبه وسفه رأيه ، فقد كان صاحبنا من ذلك الطراز من البشر الذى لا يعبأ أفراده المبجلون بمستقبل الانسانية على الاطلاق ، بل لعله كان يشك جديا فى أن يبقى للانسانية مستقبل بعد أن يموت هو ٠٠ !

وهكذا كان من المستحيل عليه ، أو غير جدير بأى اهتمام منه، أن يتصور شيئا قد يحدث بعد وفاته ! ٠ لكن هذا ما حدث بالفعل ، فانه بعد أن تحللت فى القبور عظام أحفاد أحفاده ، ونسى أصحابها ٠٠ وبعد أن هدم المنزل الذى كان يقطنه وبنيت مكانه مبان أخرى ٠ وبعد أن توقفت جريدة « التيمس » عن

الصدور ونسى أمرها ٠٠ وبعد أن صارت القبعة الحريرية زيا عتيقا عفا عليه الدهر ٠٠ وبعد أن يبس ومات كل ما كان حقيقة حية مهمة فى نظر مستر موريس المذكور ٠٠ بعد هذا كله كانت الدنيا ما تزال بخير ، سائرة فى طريقها المرسوم ، والناس ما زالوا يعيشون على ظهرها غير مكترثين بغير ذواتهم وأملاكهم ، كما كان مستر موريس ومعاصروه !

وأغرب من ذلك ، أنه كان هنـــاك فى شتى أركان الأرض معاصرون لمستر موريس ، تجرى فى عروقهم دماء مثل دمائه ، تماما كما سوف تجرى دماء قارىء هذه القصة فى أجسام كل من هب ودب من نسله ومن سوف ينحدرون من صـــلبه فى شتى البقاع والأمصار ، وتختلط بألف سلالة غريبة وسلالة ، مما لا سبيل الى تتبعه بحال !

★ ★ ★

◆ **وبين** جميع من تنحدر حياتهم من دم مستر موريس ذاك ، عاش شخص قريب الشبه من جده الأعلى فى طبـــاعه وعاداته التى تحدثنا عنها ٠٠ له مثل الجسد البدين القصير الذى كان لسلفه فى القرن التاسع عشر ، ويحمل الاسم نفسه ، وان حرفه قليلا فنطقه « مووريس » ٠٠ بل كان مثله حتى فى تعبير الوجه! ٠٠ وكان صاحبنا هذا رجلا موسرا أيضا ، لا يهتم بالمستقبل ولا بالطبقات الفقيرة أكثر من اهتمام سلفه بها ٠ ولم يكن بالطبـع يقرأ جريدة « التيمس » ، بل لم يكن يعلم أنه قد كانت هنـاك يوما جريدة اسمها « التيمس » ٠٠ فان الصحف قد اندثرت قبل مولده بدهر طويل فى أحد خلجان الزمن المتعددة ، وحل محلها جهاز الأنباء الناطق الذى يسرد أنباء العالم على من يقتنيه وهو يرتدى ثيابه فى الصباح ! ٠ وكان ذلك الجهاز فى حجمه وشكله يشبه ساعة الحائط (١) ، وعلى واجهته مؤشرات كهربائية وساعة

---

(١) ملاحظة : وضع « ويلز » هذه القصة قبل اختراع الراديو ٠٠ وقد تحقق به جزء من نبوءاته

كهربائية وتقويم للأيام ، فضلا عن مفكرة آلية للمواعيد ، وفى مكان جهاز الساعة يوجد بوق يصيح كالديك حين تكون لدى الجهاز أنباء يريد الافضاء بها ٠٠ ثم يفضى بما عنده بعد هـذا التنبيه ، فيسرد بصوت واضح مسموع كصوت الانسان آخر أنباء الحوادث التى وقعت فى الليلة السابقة فى شتى بقاع العالم ، كما يسرد تنقلات الطائرات الضخمة التى تطوف بقارات الأرض ، وأسماء الزائرين الذين هبطوا المصحات الفاخرة المتناثرة فوق هضبة بلاد التبت ، وقرارات جمعيات الاحتكار الكبرى فى اجتماعاتها الأخيرة ٠٠ كل ذلك بينما صاحبه يرتدى ثيابه تأهبا للخروج ! ٠٠ فاذا لم يشأ مستر مووريس أن يستمع لكل ذلك فما عليه الا أن يلمس زرا صغيرا فيهتز الجهاز قليلا ثم يتحدث عن أمور أخرى !

على أن أسلوب التزين الذى يتخذه مستر مووريس كان يختلف عن أساليب زينة جده الأعلى فى القرن التاسع عشر ، ومن يدرى من منهما الذى كان يسوؤه أن يرى نفسه فى هيئة الآخر ! ٠٠ وان يكن المؤكد أن مووريس يؤثر أن يخرج الى الشارع عاريا من الثياب تماما على أن يرتدى القبعة الحريرية والسترة الرسمية السوداء والبنطلون الرمادى والساعة ذات السلسلة ، كما كان جده يصنع فى الماضى ليظهر بمظهره المحترم !

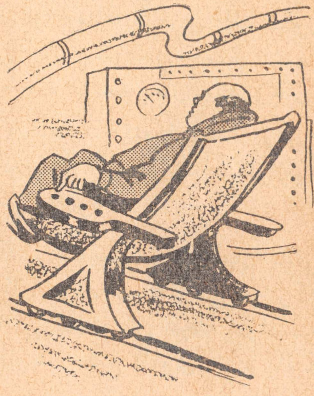
٠٠ أما حلاقة الذقن فقد استراح منها الخلف الصالح ، فان جراحا بارعا قد اجتث من لحيته منذ زمن بعيد جميع جذور الشعر التى كانت تنبت فيها ! ٠٠ وأما ساقاه فقد غلفهما بكساء بلون اللحم مصنوع من مادة تنفخ بمضخة خاصة فتعطى مظهر عضلات الساق المفتولة ٠ وفوق هذا كان يرتدى ثيابا من المطاط الشفاف المكسو بالحرير فى لون الجسم ، وهـذه الثياب بمثابة

مكيف للهواء يحميه من تقلبات الطقس الشديدة ، المفاجئة ، الباردة أو الحارة ! ٠٠ ثم يرتدى فوقها معطفا قرمزى اللــــون معقوف الحافة ٠٠ ويغطى رأسه ، الذى استؤصل جميع الشعر منه ، بغطاء قرمزى لطيف ضئيل الحجم، منتفخ بغازالهيدروجين، أشبه فى شكله بعرف الديك ! ٠٠ فاذا ما انتهت زينته وفرغ من ارتداء ثيابه على هذا النحو ، خرج الى الطريق متأهبالمواجهة الناس فى اطمئنان الواثق من حسن مظهره

ولم يكن مووريس هذا يحمل لقب « مستر » ، الذى اندثر بمضى الزمن ٠٠ أما عن عمله فقد كان موظفا رسميا فى « شركة مساقط المياه والهواء » الكبرى ، التى تملك كل عجلة هوائيــة ومسقط للمياه فى العالم ، والتى تولد جميع القوى الكهربائية فى شتى البلاد !

وكان يسكن فى فندق متسع فى حى « الطــريق السابع » بلندن ، يحتل منه جناحا كبيرا مريحا فى الطـــابق السابع والعشرين ، فان المنازل الصغيرة والحياة العائلية المنعزلة كانت قد انقرضت من العالم مع تقدم وسائل الرفاهية ، بسببعوامل عدة منها : الارتفاع المتواصل فى قيمة الايجار وقيمة الاراضى ، واختفاء طبقة الخدم ، وتطور وسائل طهى الطعام ٠٠ وغيرها من العوامل التى جعلت نظام المساكن الصغيرة المنفصلة التى كانت سائدة فى الماضى مستحيلا ، حتى لو رغب أحد فيما ينطوى عليه ذلك النظام العتيق من عزلة فظيعة ٠٠

فاذا ما فرغ مووريس من اتخاذ أهبته للخروج ، اتجه الى أحد بابى جناحه المتقابلين ، اللذين يؤدى كل منهما الى شارع ، فضغط زرا يفتح الباب وعندئذ يجد نفسه فى ممر عريض زود القسم الأوسط منه بمقاعد تتحرك بمن عليها فى حــركة متزنة الى اليسار ، وكانت دائما تحفل بطائفة من الرجال والنساء فى ثياب



ذات ألوان بهيجـة . فاذا رأى بينهم شخصا يعرفه أومأ اليـه برأسه دون أن ينطق بحرف ـ . فانه لم يكن من اللائق فى هذا العصر أن يتكلم الانسان قبل أن يتناول طعام الافطـــار ! ـ ثم يجلس مووريس على المقعد الذى يجده خاليا ، فلا تمضى ثــوان حتى ينتقل به المقعـــد الى باب مصعد كبير يهبط به الى القاعة الفسيحة الفاخرة التى يقدم له فيها افطاره بطريقة آلية

★★★

◆ ووجبة الافطار فى العصر الذى نتحدث عنــه تختلف عن مثلها فى العصور السابقة . فان الشطائر الضـــخمة من الخبز التى لابد أن تدهن بدهن الحيوان قبل أن تؤكل ، وشرائح لحم الحيوانات المقتولة حديثا ، التى تشوى أو تقلى .. والبيض الذى ينتزع عنوة واقتدارا من تحت دجاجة تصيح احتجاجا واستغاثة .. **كل هذه الأطعمة وأمثالها مما اعتاد الناس أن يأكلوه فى العصر « الفيكتورى » خليقـة بأن تثير الرعب والاشمئزاز فى نفـوس الجيل المهذب الذى يعيش فى هذا العصر الذى نتحدث عنه ، والذى يفطر أفراده على الكعك وأنواع « المعجون » المختلفة التى لا ينم مظهرها أو لونها عن نوع الحيوان التعس الذى أخذت منه مادتها أو عصيرها !** .. وهذه الأطعمة توضع فى أطباق صغيرة تنزلق على قضيب معدنى ممتد من صندوق صغير موضوع فوق أحد أطراف المائدة . أما سطح هذه المائدة فلو وقعت عليه عين

انسان القرن التاسع عشر لحسبه من الدمقس أو الحرير الأبيض الأنيق ، فى حين أنه مصنوع من معدن خاص لا تلصق به الأوساخ ويمكن غسله بعد كل وجبة فى ثوان معدودات ! .. وفى قاعة الطعام مئات من هذه الموائد الصغيرة يجلس حول أكثرها أناس ، فرادى أو جماعات

ولم يكد مووريس يجلس الى احدى تلك الموائد الأنيقة ،حتى استأنفت جوقة الموسيقى غير المنظورة ـ التى كانت فى فترة استراحة ـ عزف مقطوعاتها الطروب ، فملأت الهواء بالأنغام ! .. لكن مووريس لم يلق بالا الى طعامه أو الى الموسيقى ، وانما راح بصره يطوف أرجاء القاعة كمن يبحث عن شخص معين .. وأخيرا نهض فى اشتياق ولوح بيده الى رجل فى أقصى القاعة طويل القامة أسمر البشرة يرتدى سترة من اللونين الأصفر والأخضر الزيتونى .. فلما رآه هذا أقبل عليه يسعى بين الموائد بخطوات واسعة ، وحين اقترب استطاع مووريس أن يرى على وجهه طابع الجد وفى عينيه نظرة الحدة غير المألوفة . ثم جلس مووريس وأشار لضيفه إلى مقعد خال بجواره ، وبادره بقوله : « لقد خشيت ألا تحضر »

ورغم مضى الزمن ، فقد كانت لغة مووريس الانجليزية هى بعينها لغة الانجليز فى عصر فيكتوريا .. **فان اختراع « الفونوغراف » وأشرطة تسجيل الأصوات ، والاستعاضة بها تدريجا عن الكتب ، لم تقتصر فائدتها على حفظ العين البشرية من الضعف والبلى أو الذبول ، وانما تعدت ذلك الى ايقاف التطور والتبدل فى اللغات واللهجات !**

وأجاب الرجل ذو السترة الصفراء الخضراء : « لقد عاقتنى عن الحضور فى موعدى حالة طريفة : سياسى مشهور يشكو من الارهاق الناتج عن الافراط فى العمل ! » .. ثم ألقى الضيف نظرة الى ألوان الطعام واستطرد : « لم يغمض لى جفن منذ أربعين ساعة ! »

فقال مووريس معلقا : « الى هذا الحد ؟٠٠ اذن فأعمالكم فى رواج أنتم معشر المنومين المغناطيسيين ؟ »

فتناول المنوم شيئا من المربى الكهرمانية اللون ، وأردف فى تواضع : « اننى فى الواقع أحظى باقبال الكثيرين من الناس »

فقال مووريس : « الله وحده يعلم ماذا كنا نصنع لولاكم ! »

فأجاب المنوم وهو يستمرىء نكهة المربى : « أوه ، لسنا على هذه الدرجة من الأهمية ، فقد سارت الدنيا على ما يرام بغيرنا طيلة آلاف من السنين ، بل الى ما قبل مائتى سنة فقط ! كان الأطباء يعدون بالآلاف ، أكثرهم قساة مخيفون كالوحوش ، يقلد بعضهم بعضا كالأغنام ٠٠ أما أطباء الأمراض العقلية فلم يكن يوجد منهم غير نفر من الدجالين المتخبطين ! »

وركز المنوم انتباهه فى المربى، بينما قال مووريس : «ولكن هل كان الناس فى الماضى عقلاء اذن ؟ » ٠٠ فهز المنوم رأسه وقال : « لم يكن يهم كثيرا وقتئذ لو كانوا على شىء من الحمق أو الشذوذ ، فقد كانت الحياة سهلة فى الماضى ، تكاد تكون خالية من التنافس والضغط ٠ وكان يجب أن يكون الانسان فاقد العقل تماما كى يفكر المجتمع فى علاجه ، ولهذا لم يكن عندهم ما يفعلونه غير أن يسجنوه فيما كانوا يسمونه « مستشفى المجاذيب »

فقاطعه مووريس : « أعرف ذلك ، ففى الروايات التاريخية الغرامية التى نسمعها ، كثيرا ما يعمد البطل الى انقاذ حبيبته الجميلة من مصحة للأمراض العقلية أو شىء من هذا القبيل ٠ ولست أدرى اذا كنت تصغى لمثل هذه الروايات التافهة أم لا ؟ »

ــ أعترف بأنى كثيرا ما أفعل ٠٠ فانها تشغل الانسان عن نفسه ومتاعبه ، وتحمله الى تلك الأيام الحافلة بالمغامرات الغريبة ، أيام القرن التاسع عشر ، نصف المتمدين ٠٠ وأنا شغوف بالقصص الشائقة الجذابة أكثر من أى شىء آخر ٠٠ ياله من عصر متأخر ذلك العصر ، بقضبانه الحديدية القذرة ،

وقاطراته التى تنفث الدخان فى الجو ، ومنازله الصغيرة المتواضعة ، ومركباته التى تجرها الجياد .. أحسب انك لاتقرأ الكتب ؟

– أوه ، كلا .. لقد تعلمت فى مدرسة حديثة لم نستخدم فيها تلك السخافة العتيقة .. وانما تلقيت جميع علومى بواسطة الفونوغراف !

– بلا شك ، بلا شك .. أتعلم ؟ فى تلك الأيام لم تكن مهنتنا تبشر بمستقبل مرموق ، أو يعبأ بها أحد . ولو قال أحد لأهل ذلك العصر انه لن تمر مائتا سنة حتى تنشأ طبقة من الرجال مهمتهم الوحيدة ان يوحوا للذاكرة بأشياء ، ويمحوا منها الأفكار غير المرغوب فيها ، ويسيطروا على الغرائز الضارة ويتغلبوا على النزعات الخبيثة ، وما الى ذلك ، بوساطة التنويم المغناطيسى ، لأبوا أن يصدقوا من ذلك حرفا !.. لم يكن هناك غير أفراد قليلين يدركون امكان التأثير فى الانسان أثناء فترة السبات المغناطيسى والايحاء له بأن ينسى أو يرغب فى شىء معين ، بحيث يطيع ذلك الايحاء بعد انتهاء فترة السبات

– اذن كانوا يعرفون التنويم المغناطيسى ؟

– نعم ، بل كانوا يستخدمونه أيضا ، كمخدر يمنع آلام الأسنان مثلا !

– على ذكر الروايات الغرامية التى حدثتك عنها . انها تقربنى من الموضوع الذى أبغى التحدث اليك فيه ..

واطرق مووريس قليلا وجرع نفسا عميقا من الهواء ، بينما رمقه المنوم بعين متنبهة ، واستأنف أكل شطائر المربى الشهية .. ثم أردف مووريس :

– الواقع انى ... أن لى ابنة .. علمتها أحسن تعليم ، بمحاضرات الأساتذة العالميين المسجلة على اسطوانات ، فدرست الفن .. والنقد .. والفلسفة .. وآداب السلوك .. والرقص .. الخ . واعتزمت أن أزوجها لصديق لى من خيرة

الرجال يعمل فى شركة النور ويدعى « بندون » ٠٠

ــ كم عمر ابنتك ؟

ــ فى الثامنة عشرة ٠٠٠

ــ انها السن الخطرة !٠٠ وبعد ؟

ــ يظهر انها افرطت فى الاستماع لتلك القصص الغرامية الى درجة انها أهملت دروس الفلسفة ٠٠ وامتلأ رأسها بالخيالات السخيفة عن الفرسان المصريين الذين كانوا يغامرون ويحاربون بالسيوف ، والأسبان الذين يصارعون الثيران ٠٠ وغير ذلك من ألوان المغامرات التى تحفل بها قصص التاريخ وروايات الغرام ٠٠ وكان أن ركبت الحمقاء رأسها وصممت ألا تتزوج الا زواج حب ، وأن ترفض « بندون » المسكين الطيب !

فقاطعه المنوم بقوله : « لقد مرت بى حالات كثيرة من هذا القبيل ٠٠ ومن الشاب الآخر فى القصة ؟ »

فاتخذ مووريس مظهر الأب الذى يخجل من تصرفات ابنته ، وقال فى صوت يتعثر حياء : « انه ليس أكثر من مراقب فى المطار الذى تهبط فيه الطائرات القادمة من باريس ! وهو جذاب النظرات كما يقولون فى الروايات ، وما يزال فى شبابه الباكر ، لكنه شاذ غريب الأطوار ٠ فضلا عن تعلقه بالتقاليد البالية ، أتصدق أنه يقرأ ويكتب ؟٠٠ وقد تعلمت هى منه ذلك ، فصارا بدلا من الاتصال بالتليفون ــ مثل العقلاء ــ يكتبان ويتبادلان الـ ٠٠ ؟٠٠ ماذا ؟ ماذا يسمونها ؟

ــ الخطابات ؟

ــ كلا بل ٠٠ آه ، الأشعار !

واذ ذاك رفع المنوم حاجبيه متسائلا :

ــ وكيف التقت به فى البداية ؟

ــ كانت قادمة من باريس بالطائرة ، فلما هبطت منها أعانها على النزول ٠ وهكذا سقطت بين ذراعيه ، وقضى الأمر !

ــ ثم ماذا ؟

– هذا كل ما فى الأمر .. لكنه يجب ان يوقف ، وهذا ما أردت أن أستشيرك فى شأنه .. ماذا تقترح ان أفعل ؟.. ماذا يمكن ان أفعل ؟.. أنا بالطبع لست منوما مغناطيسيا ، ومعلوماتى محدودة .. ولكن أنت ؟

فقال المنوم وهو يضع كلتا يديه فوق المائدة :

– التنويم ليس سحرا على أى حال !

– أعلم ذلك ، ولكن فى وسعك ..

– ان الشخص لا يمكن أن ينوم مغناطيسيا بغير رضاه .. فاذا كانت ابنتك قد استطاعت الصمود فى موقفها من مسألة الزواج من بندون ، فأغلب الظن أنها سوف ترفض أن تنوم مغناطيسيا .. ولكن اذا أمكن ذلك مرة واحدة ، ولو بوساطة شخص آخر ، فقد سهلت المهمة !

– هل يمكنك ذلك ؟

– أوه ، بالتأكيد .. فمتى توصلنا الى تنويمها وأدخلناها فى مرحلة الاذعان والطاعة ، استطعنا ان نوحى لها بالزواج من بندون هذا .. نقول لها : ان هذا قدرها ، وان الشاب الآخر كريه ثقيل المعشر ، وانها حين تراه بعد ذلك سوف تشمئز وتنفر منه .. الى غير ذلك من ضروب الايحاء .. أو لو أننا استطعنا ادخالها فى مرحلة السبات العميق الكافى ، لأمكننا أن نوحى اليها بأن تنسى ذلك الشاب نسيانا تاما !

– هذا أحسن !

– لكن المشكلة ، كما ذكرت لك ، هى : كيف نستطيع تنويمها ؟.. يجب ألا تبدر منك أية اشارة الى ذلك أو اغراء به ، فانها ولا شك ترتاب فى نواياك بصدد هذه المسألة ..

وأسند المنوم رأسه على ذراعه واستغرق فى التفكير ، فقال له مووريس فى غيظ : « انه لفظيع أن يعجز المرء عن تقرير مصير ابنته ! »

– اعطنى اسم الفتاة وعنوانها وكل معلوماتك عن هذا

الموضوع ٠٠ ولهذه المناسبة ، هل للمال أى دخل فى الأمر ؟

فتردد مووريس برهة ، ثم قال : « هناك فى الواقع مبلغ ٠٠ مبلغ كبير من المال ٠٠ مستثمر فى شركة رصف الطرق ٠ وقد ورثته عن أمها ٠٠ وهذا ما يعقد الأمور بعض الشيء ٠٠ »

ـ تماما ٠٠

وواصل المنوم استجواب والد الفتاة عن كل ما تهمه معرفته فيما يختص بهذه المسألة كلها ٠٠

وطال بينهما الحديث ٠٠

- ٣ -

◆ وفى الوقت نفسه كانت « اليزابيث مووريس » تجلس فى أحد أماكن الانتظار الهادئة بالمطار ، تحت المنصة الضخمة التى تهبط عليها الطائرات القادمة من العاصمة الفرنسية ٠٠ والى جانبها جلس الشاب الرشيق الأنيق الذى تحبه ، يقرأ لها القصيدة التى نظمها فيها أثناء ساعات عمله فى ذلك الصباح ٠٠ فلما فرغ من تلاوتها لاذ كلاهما بالصمت برهة ، قطعها دوى الطائرة الضخمة العظيمة التى أقبلت تشق الفضاء قادمة من أمريكا ، واندفاعها من كبد السماء نحو منصة المطار !

كانت الطائرة فى البداية نقطة ضئيلة ضائعة فى صفحة السماء ، بين أطباق الغمام ، ثم كبرت بالتدريج واتسعت رقعتها البيضاء وسط الزرقة المحيطة بها ٠ وظلت تكبر وتزداد بياضا ٠٠ حتى أمكن تمييز أجنحتها المنفصلة التى يبلغ طول كل منها بضع مئات من الأقدام ، وجسدها الأوسط الذى تحمله تلك الاجنحة ٠٠ وأخيرا بدت صفوف مقاعد المسافرين المتأرجحة المتراصة ٠٠ ورغم أن الطائرة كانت هابطة ، فقد بدت لهما وكأنها صاعدة ، ثم زحف ظلها فوق أسطح المبانى الشاهقة ، وبدأ صوت محركاتها وأزيزها يسمع فى طبقات الهواء القريبة ، حتى استقرت فوق منصتها وخلا الجو منها ، فاستطاعت « اليزابيث » ان تدير عينيها الجميلتين من جديد الى الشاب الذى يجلس بجوارها

وانتهت فترة الصمت بينهما ، فأخذ « دنتون » يمنى الفتاة باليوم القريب الذى يفران فيه من وجه جميع العقبات والصعاب التى تعترضهما ، فيستقلان طائرة تحملهما الى احدى مدن الشمس المشرقة فى اليابان ، حيث البهجة والحرية تنتظرانهما ٠٠

وراقها الحلم ، لكنها خشيت الوثبة ٠٠ فأسكتته قائلة : « نعم ٠٠ ذات يوم أيها الحبيب ٠٠ ذات يوم ! » ٠٠ وقطعت عليهما أحلامهما صفارات المطار ، وقد

انطلقت تدعو موظفيه الى أعمالهم .. فافترقا ، كما يفترق المحبون منذ آلاف السنين .. وسارت هى الى مصعد هبط بها الى أحد شوارع لندن الحديثة فى ذلك العصر الذى نصفه ، وكلها مغطاة بأسقف من الزجاج تحمى مرتاديها من حدة الطقس ، ومزودة بالأرصفة المتحركة التى تتجه الى جميع أركان المدينة .. وعن طريق رصيف من هذه الأرصفة عادت اليزابيث الى الجناح الذى تقطنه فى « فندق النساء » ، وهو الجناح الذى يتصل تليفونيا بأعظم محاضرى العالم، الذين تتلقى الفتاة عليهم علومها وثقافتها .. لكن الحكمة التى تنطوى عليها محاضرات أعظم أساتذة الأرض ، بدت لها فى تلك الساعة حماقة سخيفة ، على ضوء الشمس التى كانت تغمر وتضىء قلبها، منعكسة عليه من منصة المطار!

وقضت اليزابيث الساعات الوسطى من ذلك النهار فى الملعب الرياضى .. ثم تناولت غداءها مع اثنتين من زميلاتها و « مراقبتهن » - فقد كانت عادات العصر ما تزال تفرض أن تكون لفتيات الطبقات المثرية اللواتى ماتت أمهاتهن « مراقبة » تتولى الاشراف على تهذيبهن والسهر على سلوكهن

وفى ذلك اليوم استقبلت المراقبة ضيفا ، يرتدى سترة باللونين الأصفر والأخضر ، وله وجه أبيض وعينان حادتان . وكان مما تحدث فيه الضيف امتداح قصة غرامية جديدة أصدرها أخيرا أحد كبار القصاصين المحبوبين ، وكانت تتناول عصر الملكة فيكتوريا . وقد نحا فيها نحو المؤلفين القدماء فى اختيار عناوين فصول القصة التى يتألف كل عنوان منها من عبارة طويلة يفهم القارىء منها خلاصة ما يتضمنه الفصل من حوادث !

وتطرق الضيف من امتداح هذا الابتكار الى القول بأن القصة تذكره بذلك العصر القديم الأرعن المضطرب ، حين كان الناس والحيوانات يتزاحمون بالمناكب فى الشوارع القذرة ، والموت يترصد الانسان عند كل منعطف من الطريق . ثم استطرد فقال :

- لكن الحياة كانت شائقة حقا فى تلك الأيام ، كانت حافلة بالغرائب والمفاجآت التى تجعل لها طعما وتقتل السأم والوحشة .. كانت هناك مناطق من الأرض لم تكتشف بعد ، ولم تطأها قدم انسان متمدن . أما الآن فقد محونا عنصر العجب والمفاجأة من حياتنا ، فصارت مملة سقيمة ، ولم يعد فيها مكان للشجاعة والاحتمال والايمان ، وغيرها من الفضائل النبيلة التى توشك ان تنقرض من الجنس البشرى

وهكذا لفت كلام الرجل اليه أفكار الفتيات ، وظل ينتقل بحديثه من أمر الى آخر حتى وصل الى انتقاد الحياة الخامدة التى يحيونها فى « لندن » الحديثة ، فوصفها بأنها حياة متسعة متشابكة .. تتخللها رحلات سهلة الى شتى بقاع الارض واركان المعمورة ، تعتبر مملة تعسة بالقياس الى رحلات أسلافهن الحافلة

بالمغامرات فى ذلك الماضى الممتع !

وفى البداية لم تشارك اليزابيث فى الحديث ، ولكن بعد قليل صار الموضوع شائقا الى حد أنها ساهمت فيه ببضع تعليقات يشوبها الخجل ٠٠ لكن الرجل لم يكد يلقى اليها بالا ، بل مضى يصف طريقة جديدة لتسلية الناس ، عن طريق تنويمهم مغناطيسيا ثم الايحاء لهم ببراعة تجعلهم يحسون كأنهم يعيشون فعلا فى تلك العصور القديمة ، ويتذوقون متعة مغامرة غرامية لطيفة من مغامرات الماضى العذبة ، بنفس الحدة التى يحسونها فى الحقيقة ٠٠ فاذا أفاقوا من السبات المغناطيسى تذكروا مغامراتهم كما لو كانت حدثت لهم حقا !

وأردف المنوم المغناطيسى ، وقد تعلقت بفمه عيون الفتيات فى فضول ، فقال: « انه هدف حاولنا بلوغه منذ سنوات طويلة ، وهو أشبه بحلم صناعى ! وقد توصلنا اليه أخيرا ٠٠ وتستطعن تصور الآفاق التى يفتحها أمامنا هـذا الاستكشاف ، انه ينمى تجاربنا ، ويعطينا ملجأ نأوى اليه كلما ضقنا بهـذه الحياة الحقيرة التى نحياها ، والتى تقوم على المنافسة القاسية ! »

وقاطعته المراقبة فى لهفة : « وهل تستطيع أن تفعل ذلك ؟ »

فقال المنوم فى اعتداد : « بكل تأكيد ٠٠ تستطيعين أن تطلبى الحلم الذى تريدين ! »

ونوم المراقبة كما طلبت، فلما أفاقت شهدت بروعة الحلم الذى أوحى اليها به! ٠٠ وشجع تحمسها للأمر زميلتيها ، فوضعتا نفسيهما تحت تصرف المنوم ، وغاصتا فى الماضى الممتع ٠ وهكذا لم يطلب أحد من اليزابيث أن تجرى التجربة، بل كانت هى التى طلبت ذلك من تلقاء نفسها ، فنقلت فورا الى عالم الأحلام ، حيث لا ارادة للنائم ولا حرية فى الاختيار ٠٠

وهكذا تمت المؤامرة !

٠٠ ونجحت الخطة التى رسمها المنوم بالاشتراك مع أبيها فى تغيير نظرتها الى حبيبها « دنتون » ، واغرائها بالزواج من بندون ٠٠ « العريس » الآخر الذى اختاره لها أبوها !

- ٤ -

◆ وفى ذات يوم ، مضى « دنتون » الى ذلك الركن الهادىء الذى اعتاد أن يلقى فيه اليزابيث ، فلم يجدها فى الموعد المعتاد !٠٠ وأصابته خيبة أمل ، بل أصابه شىء من الغضب ٠٠

وفى اليوم التالى لم تأت أيضا ٠ وكذلك فى اليوم الذى يليه ! ٠٠ فأدركه القلق عليها ٠ ولكى يخفى مخاوفه عن نفسه ، جلس ينظم لها قصائد الغزل ، كى يتلوها عليها حين يلتقيان !

وهكذا لبث يقاوم قلقه بهذه الوسائل الصناعية أياما ثلاثة .. ثم وضحت له الحقيقة الرهيبة التى لا سبيل الى انكارها .. قد تكون مريضة ، بل قد تكون ماتت .. لكنه لا يستطيع أن يصدق أنها قد خانته !

وأعقب ذلك أسبوع آخر ، عانى الشاب فيه من الاحساس بالتعاسة ما يجل عن الوصف ، ثم انتهى الى الاعتراف بأنها كانت الشىء الوحيد فى دنياه الذى يستحق ان يحيا من أجله ، وأنه لذلك يجب ان يبحث عنها بكل وسيلة وحيلة فى مقدوره ، مهما يكن البحث عقيما ، ميئوسا منه ، حتى يعثر عليها !

وكانت له بضع وسائل متواضعة يبدأ بها أبحاثه ، فترك عمله فى المطار وراح يذرع الطرقات سعيا وراء الفتاة التى صارت تســاوى فى نظره كل دنياه !.. لم يكن يعلم أين تقطن ، ولا الكثير من تفصيلات ظروفها التى قد تعين على الاهتداء اليها ـ فلقد كان من أسباب متعتها الخاصة التى أوحى اليها بها عقلها الصغير الغرير أن تخفى عليه كل البيانات التى تدله على شخصيتها، حتى لا يقف على الفوارق الاجتماعية الكبيرة التى تفصل بينهما !

وترامت أمامه طرقات المدينة الكبيرة شرقا وغربا ، شمالا وجنوبا .. وقد كانت لندن ـ حتى فى عصر فيكتوريا ، حين لم يكن عدد سكانها يتجاوز الاربعة ملايين ـ متاهة يضل فى أرجائها الانسان .. فما بالك بها فى القرن الواحـد والعشرين ، وقد تضخم عدد سكانها حتى أربى على الثلاثين مليونا من البشر ؟!

.. وهكذا راح يجوب الشوارع على غير هدى بنشاط خارق ، طيلة نهاره وليله بحيث لم يكن يجـد وقتـا ليأكل أو ينـام ! .. ومضت وهو على هذا المنوال أسابيع وأشهر متوالية ، عانى فيهـا من ضروب الجهد والعناء ، واليـأس ، والغضب ، واللهفة ، والانفعال ، ما ناء به كاهله .. وحتى بعد ان فقد كل أمل فى العثور على فتاته ، ظل يروح ويجىء ، مدفوعا بقوة التمنى ، فيحدق فى كل وجه ويتطلع الى كل قامة يمر بها فى كل شارع وكل ممر وكل مصعد وكل مقهى فى هذه الخلية المكتظة بالبشر !

★ ★ ★

◆ أخيرا عطفت عليه المصادفة .. فرآها !

كان ذلك فى أحد أيام الأعياد ، وكان جائعا ، فدفع رسم الدخول الى أحد مطاعم المدينة الضخمة ، ومضى يشق طريقه بين الموائد ويرمق ـ بحكم العادة ـ كل الوجوه التى يمر بها . وفجأة ، وقف فى مكانه كمن شلت قدماه ، واتسعت حدقتاه ، وانفرجت شفتاه ! .. كانت « اليزابيث » تجلس على بعد أمتار منه، ونظراتها موجهة الى المكان الذى جلس فيه . لكن عينيها كانتا جامدتين خاليتين من أى تعبير يوحى بأنها عرفته . كانتا أشبه بعينى تمثال !.. وبعد أن نظرت اليه لحظة ، انتقلت ببصرها الى ما وراءه ! ولو أنه لم ينظر الا الى عينيها

فحسب ، لشك فى أنها اليزابيث ، لكنه عرف فيها حركات يديها ، وخصلة الشعر الصغيرة التى تتمايل على أذنها كلما حركت رأسها ٠٠ وغير ذلك من أدق دقائق جسمها ووجهها اللذين طالما نعم بالقرب منهما فى ذلك الركن القصى من المطار !

ووجه اليها أحد الجالسين معها عبارة ، فاستدارت باسمة نحو رجل كان يجلس بجوارها ، رجل ضئيل الجسم فى ثياب مضحكة سخيفة يشبه أفعى ذات قرون منتفخة ٠٠ هو « بندون » ، الزوج الذى اختاره لها أبوها !

لبث « دنتون » لحظة واقفا فى مكانه ، شاحب الوجه ، يكاد يفترس الفتاة ورفيقها بنظراته ٠٠ ثم خارت قواه فتهالك على أحد مقاعد المائدة التى أمامه ، وأدار ظهره الى صاحبته ٠٠ وبقى هكذا برهة لا يجرؤ على أن يعاود النظر اليها. وحين فعل أخيرا ، كانت هى وزوجها وأبوها ومراقبتها ، قد وقفوا يتأهبون للخروج !

بقى المسكين جالسا كالعاجز عن الحركة ، حتى ابتعد الأربعة قليلا وبدت أجسامهم صغيرة من بعيد ، واذ ذاك نهض وليست فى رأسه غير فكرة واحدة : أن يطاردهم ! ٠٠ واثناء ذلك مضت لحظات خشى معها أن يكون قد فقد أثرهم ٠٠ لكنه لم يلبث أن عثر على اليزابيث ومراقبتها مرة أخرى فى أحد الشوارع ذات الأرصفة المتحركة ، التى تخترق المدينة ٠٠ أما بندون ومووريس فكانا قد اختفيا ٠٠

لم يستطع الشاب أن يتمالك نفسه ، وانما أحس انه يجب أن يكلمها فورا ، أو يموت ! ٠٠ فاندفع نحو المكان الذى جلستا فيه ، وجلس الى جوارهما ! ٠٠ وكان وجهه الشاحب مشوبا بانفعال نصف جنونى ٠٠ ثم وضع يده على رسغ الفتاة وهتف بها : « اليزابيث ! » ٠٠ فاستدارت اليه فى دهشة غير مكتومة ، لكن وجهها لم يكن يحمل غير تعبير الخوف من رجل غريب عنها تماما !

وصاح بها مرة أخرى ، وقد بدا صوته غريبا فى أذنيه : « اليزابيث ! ٠٠ حبيبتى ٠٠ انك تعرفيننى ؟ » ٠٠ لكن وجه اليزابيث لم يبد عليه غير الانزعاج والحيرة ، بينما ابتعدت بجسمها عنه ! ٠٠ ومالت المراقبة بجذعها الى الامام كى تتدخل اذا اقتضى الأمر ذلك ! وكانت امرأة ضئيلة الجسم ، ذات شعر أشيب ووجه معبر ، فأخذت عيناها البراقتان الصارمتان تتفحصان دنتون ٠٠ ثم سألته : « ماذا تقول ؟ »

فقال : « هذه الفتاة تعرفنى ! »

فالتفتت الى اليزابيث وسألتها : « أتعرفينه يا عزيزتى ؟ » ٠ فقالت : « كلا ! » ٠ وأخذت اليزابيث تعيد هذه الاجابة بصوت غريب ، وهى تضع يدها على جبهتها ، كمن تكرر درسا لقنته : « كلا ٠٠ لست أعرفه ٠٠ أنا واثقة

.. لست أعرفه ! »

ـ ولكن .. ولكن .. كيف لا تعرفينني ؟ انى أنا .. دنتون .. دنتون الذى اعتدت أن تقابليه . ألا تذكرين منصة الطائرات ؟ .. والمقعد الصغير فى الهواء الطلق .. وقصائد الشعر ؟

فصاحت اليزابيث : « كلا .. كلا .. لست أعرفه .. لست أعرفه .. هناك شيء .. ولكن .. لست أعرف . كل ما أعرف أنى لست أعرفه ! »

وكان وجهها يعبر عن الحيرة المرة .. فنقلت المراقبة بصرها بينها وبين الشاب ، فى حيرة مماثلة .. ثم قالت موجهة كلامها اليه ، وعلى فمها شبح ابتسامة باهتة : « أترى ؟ .. انها لا تعرفك ! »

وأمنت اليزابيث على قولها مكررة : « لست أعرفك..انى موقنة من ذلك ! »

ـ ولكن ، يا حبيبتى .. الأغانى .. وقصائد الغزل ؟

فقاطعته المراقبة : « لقد أكدت لك انها لا تعرفك .. انك يجب ألا .. لابد أن تكون مخطئا ، ولا يليق بك أن تستمر فى التحدث الينا بعد ذلك . يجب ألا تضايقنا هكذا فى الطريق العام

ـ ولكن ..

نطق بها دنتون وقد اتخذ وجهه النحيل طابع البؤس المفجع ، والتوسل ضد عنت الأقدار ! .. أما المراقبة فأردفت محتجة : « يجب ألا تكون لحوحا أيها الشاب ! »

وتغافل هو ، وحدق فى حبيبته وهتف : « اليزابيث ؟! »

وكان وجهها كأنما تمزقه الحيرة ، ولم تلبث أن صرخت فى وجهه : « لست أعرفك .. أوه ، قلت أنى لست أعرفك ، أف ! »

لبث دنتون لحظة مشدوها ! ثم نهض وهو يئن ويزمجر بصوت مسموع ، كالأسد الجريح ، ورفع يده فى حركة ابتهال .. فاصطدم بصره بالسقف الزجاجى للطريق .. ثم استدار ومضى يخب يائسا من رصيف الى آخر ، حتى اختفى بين زحام الذاهبين والآيبين

وتبعته عينا المراقبة حتى غاب عن الأنظار ، بينما استدارت اليها اليزابيث متسائلة فى حيرة وهى تضم يديها فى تأثر عميق : « من كان ذلك الرجل ؟ .. من كان ذلك الرجل ؟ »

فرفعت المرأة حاجبيها وقالت فى صوت واضح مسموع : « مخلوق غبى . ان بصرى لم يقع عليه قط من قبل »

ـ مطلقا ؟

ـ مطلقا يا عزيزتي ! .. لا تزعجي نفسك بالتفكير في هذا الأمر

- ٥ -

• **وبعد** أيام ، طرق باب عيادة المنوم المغناطيسى الشهير ذى السترة الصفراء الخضراء طارق جديد ، ثم دخل الشاب غرفة الكشف وراح يذرعها حائرا مضطربا شاحب الوجه ٠٠ وبعد حين بادر الطبيب صائحا : « أريد أن أنسى ٠٠ يجب أن أنسى ! » ٠٠ فرمقه المنوم بنظرة هادئة ، فحص بها وجهه وثيابه وهيئته ٠٠ ثم أجابه : «ان نسيان أى شىء ـ سواء أكان سارا أم مؤلما ـ يقتضى اجراءات خاصة ٠ ثم يجب أن تعلم ان أتعابى باهظة ! »

ـ كل ما أريده هو أن أنسى ٠٠ بأى ثمن !

ـ ذلك أمر ميسور اذن،ما دامت ارادتك قداتجهت اليه٠لقد فعلت أشياء أصعب من ذلك بكثير ٠٠ أخيرا فقط ٠٠ أشياء لم أكن أؤمل أن أفلح فيها ٠ فقد تم الأمر ضد رغبة الشخص الذى نومته ٠ كانت حالة حب ، مثل حالتك ٠٠ لكنها كانت فتاة ٠٠ فلا تقلق ، وثق من الوصول الى النتيجة

وجلس الشاب الى جوار المنوم وقد اصطنع الهدوء المتكلف ، ثم نظر فى عينى الرجل وقال : « سأروى لك قصتى ٠ طبعا أنت تريد سماعها ٠٠ حسنا ٠٠ كانت هناك فتاة ، اسمها اليزابيث موريس ٠٠ وقد ٠٠ »

لكنه توقف ٠٠ فقد رأى الدهشة المفاجئة ترتسم على وجه المنوم ! وفى تلك اللحظة أدرك كل شىء ، فنهض على قدميه ٠٠ بدا كأنه يسيطر على الرجل الجالس أمامه ، ثم أمسك كتف المنوم بقبضته ٠٠ ومضت لحظات عجز فيها عن أن يجد الكلمات التى تعبر عن مشاعره ٠٠ ثم قال أخيرا : « ردها الى ثانية ٠٠ ردها الى ! »

فشهق المنوم وقال : « ماذا تعنى ؟ »

ـ ردها الى !

ـ أرد من ؟

ـ اليزابيث مووريس .. الفتاة !

حاول المنوم أن يتحرر من قبضة الشاب ، فنهض على قدميه .. لكن قبضة دنتون اشتدت على كتفه ! .. فصاح المنوم وهو يدفع الشاب بذراعه : « دعنى ! .. دعنى ! »

وبعد لحظة كان الاثنان قد اشتبكا فى مصارعة عنيفة ، لم يكن أيهما قد درب عليها البتة ـ فان هذه الرياضة كانت قد انقرضت من الأرض ، فيما عدا حالات المراهنة والاستعراضات ! ـ لكن دنتون لم يكن أصغر سنا من غريمه فحسب، بل كان أقوى منه أيضا .. ومن ثم راحا يتأرجحان من أقصى الغرفة الى أقصاها ، حتى حانت لدنتون فرصة انتهزها فأوقع خصمه على أرض الحجرة ، لكن هذا جذبه وراءه فسقط فوقه ..

.. وما هى الا لحظة حتى وثب الشاب على قدميه متحفزا ، وقد غلى الدم فى عروقه ، بينما ظل المنوم راقدا على الأرض لا يتحرك ، وقد فقد وعيه .. وفجأة انبثق خيط من الدم الاحمر القاني من كدم فى جبهته أصابه عند اصطدامه بحافة مقعد مدببة أثناء العراك .. فلبث دنتون برهة واقفا عند رأسه مترددا ، وقد رجف الخوف أوصاله ، خشية أن تكون الاصابة خطيرة ! .. **كان ذلك أول عمل عنيف يقدم عليه الشاب فى حياته، أو يشهده ـ ففى ذلك العصر كانت المدنية قد أوشكت أن تقضي على أعمال العنف الفردية ـ ومن ثم تملك الرعب قلب الفتى المرهف، فجثا على ركبتيه الى جوار ضحيته وتحسس قلبه .. ثم جعل يفحص الجرح بعناية .. وحين اطمأن بعض الشىء ، نهض واقفا فى هدوء وراح ينظر حواليه ، محاولا أن يتدبر الموقف ..**

وحينما أفاق المنوم من اغمائه أحس بصداع شديد ، ثم بركبتى دنتون تحت ظهره ، وبماء يغمر وجهه من قطعة إسفنج مبللة بيد الشاب . فلم ينطق بكلمة ، وانما اكتفى بأن أبدى اشارة يطلب بها الى الشاب أن يكف عن عصر الاسفنجة على

وجهه ٠٠ وأخيرا وجد صوته ليقول : « ساعدنى على النهوض ٠٠ »

فقال دنتون : « انك لم تسترد قواك بعد ٠٠ »

ـ لقد حطمتنى أيها النذل ٠٠

ـ نحن وحدنا هنا ٠٠ والباب مقفل ٠٠ فلا تزد !

وأعقبت ذلك فترة من الصمت ٠٠ ثم أردف الشاب : « ما لم أواصل ترطيب رأسك بالماء ، لن تستريح من صداعك ! »

فأسلم المنوم أمره الى غريمه ، وقال فى تجهم : « استمر فى اغراقى بالماء »

وعاد الصمت يضرب بينهما ٠٠ حتى قطعه المنوم فقال : « لكأننا عدنا الى العصر الحجرى ٠٠ الى العنف ، والصراع ! »

فأجابه دنتون وقد استفزته العبارة : « **فى العصر الحجرى لم يكن يجرؤ أحد على التدخل بين قلبين متحابين !** »

فاستغرق المنوم فى التفكير من جديد ، ثم ابتدر الشاب سائلا : « ماذا تنوى أن تفعل ؟ »

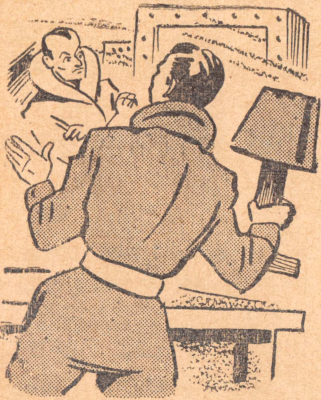
فقال : « لقد فتشت أوراقك خلال اغمائك حتى عثرت على عنوان الفتاة ، ولم أكن أعرفه من قبل ٠٠ فاتصلت بها تليفونيا ، وهى الآن فى طريقها الى هنا ! »

ـ وهل ستحضر معها مراقبتها ؟

ـ نعم ٠٠

ـ ولكن ماذا ؟ ٠٠ لست أفهم ٠٠ ماذا تنوى أن تفعل ؟

ـ لقد بحثت أيضا عن سلاح ماض ٠٠ **انه لأمر عجيب أن تصير الأسلحة نادرة الى هذا الحد فى عصرنا الحاضر ، بينما كان الناس فى العصر الحجرى لا يكادون يحرزون غير الاسلحة ٠٠ وقد عثرت أخيرا على هذا المصباح فنزعت عنه أسلاكه وارتقبت يقظتك وأنا أحمله فى يدى ، على استعداد لأية مقاومة !**



ومد يده بالمصباح فوق كتف المنوم ، ثم أردف : « بهذا أستطيع بسهولة أن أحطم جمجمتك .. وسوف أفعل ، ما لم تطعنى وتنفذ ما سأطلبه منك ! »

فقال المنوم ، مستعيرا احدى عبارات كتاب « مرشد الانسان الحديث الى مقاييس الأخلاق » : «العنف ليس علاجا للامور ..»

فأجاب دنتون : « انه علاج غير مرغوب فيه .. »

ـ والآن ؟

ـ سوف تذكر للمراقبة انك ستوحى للفتاة بالزواج من الرجل ذى الشعر الأحمر والعينين الضيقتين . هذا كل ما فى الأمر !

ـ نعم .. هذا كل ما فى الأمر !

ـ وفى الوقت نفسه تعيد الى الفتاة ذكراى أنا !

ـ هذا أمر مخالف لشرف المهنة !

ـ أصغ الى .. اذا لم أسترد هذه الفتاة ، فان الموت يصبح أحب الى من الحياة . فلا تؤمل كثيرا فى أن أحترم أوهامك التافهة .. واذا لم تسر الأمور وفق ما ذكرت فلن تبقى على قيد الحياة خمس دقائق . ولا تنس أن هذا المصباح سلاح فظ سوف يؤلمك أشد الألم قبل أن يقتلك ! لكننى لن أتردد ، برغم انه أمر غير مألوف فى هذه الأيام أن يحدث شىء مثل ذلك . ولا سيما ان الحياة ليس فيها أشياء كثيرة تستحق أن يعمد المرء الى العنف فى سبيلها !

– سوف تراك المراقبة حين قدومهما ..

– كلا ، لن ترانى ، فسأختبىء خلف هـذه الستارة ، وراء ظهرك !

وتناهبت الأفكار رأس المنوم ، ثم قال بعـد فترة : « انك شاب حازم ، نصف متمدن . وقد حاولت أن أؤدى واجبى نحو مريضى ، لكنك فى هذه المسألة تبدو مصمما على أن تسير وفق هواك ! »

– اذن أنت تعتزم أن تفعل ما طلبته منك بغير التواء ؟

– لست مستعدا لأن أخاطر بتعريض رأسى لأن يحطم فى سبيل أمر تافه لا يعنينى !

– وبعد ؟

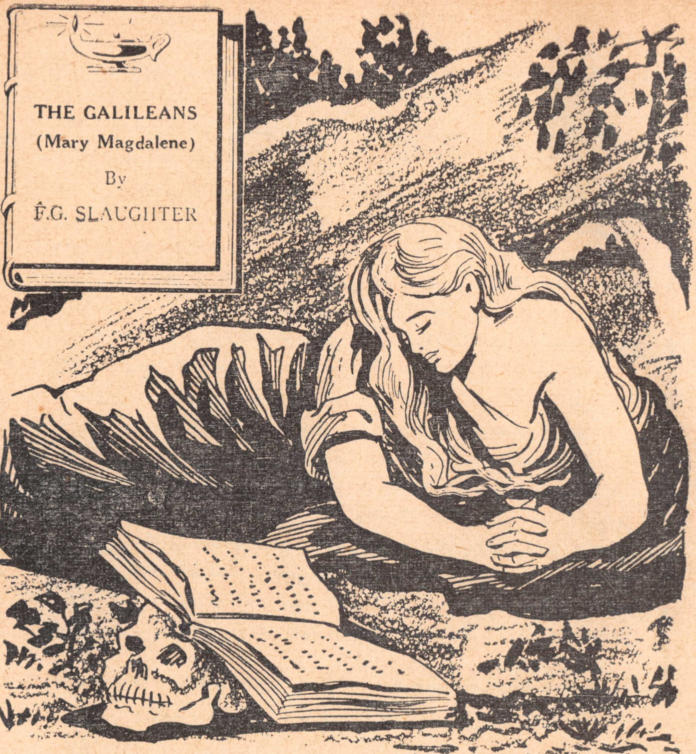
– لا شىء يمقته المنوم أو الطبيب مثل الفضيحة ، وأنا لست متوحشا . كل ما فى الأمر أنى متضايق من تطور الامور الى هذا الحد .. لكن احســـاسى بالضيق والضغينة لن يلبث أن يزول بعد يوم أو يومين ..

– شكرا ، لقد تفاهمنا ، لم تعد هناك حاجـة تقتضى بقاءك جالسا على الأرض هكذا !

.. وتمت الخطة كما رسمها الشاب ..

.. واستعادت الفتاة ذاكرتها ، فعادت تبادله هواه ..

.. وانتصر الحب .. حتى على مدنية سنة ٢٠٠٠ !



مريم المجدلية

اول كتاب فى العالم يروى قصة حياة الخاطئة الخالدة !

للمؤرخ المعاصر "فرانك سلوتر"

تلخيص : الآنسة كليمنس م . زكى

أول كتاب فى العالم عن « الخاطئة الخالدة » !

◆ لعل أجمل تحية يقدمها « كتابى » الى المسيحيين الشرقيين ـ الذين يحتفلون بعد أيام بعيد القيامة المجيد ـ هى ان يلخص أول كتاب ينشر فى العالم عن « مريم المجدلية » ، الغانية اليهودية التى اتهمها اليهود بالزنا ـ دون ان يعرفوا أية مأساة انسانية كانت وراء سقوطها ! ـ وأرادوا ان يجعلوا من رجمها اختبارا ماكرا للسيد المسيح ، فاذا به يفحمهم بجوابه الخالد الذى وضع به ناموسه الانسانى السامى فى الصفح والتسامح : « من كان منكم بلا خطيئة ، فليرجم هذه المرأة بحجر » !

وقصة حياة « مريم المجدلية » فى السنوات التاليـــة لظهور المسيح معروفة ٠ ولكن العجيب ان أحدا قبل الكاتب الأمريكى « فرانك ج ٠ ســـــلوتر » ، لم يعن بالتحرى عن « ماضيها » قبل ظهور المسيح ، والتنقيب عن نشأتها وأعوام شبابها ، ورسم صورة واضحة للعصر الذى كانت تعيش فيه ، والبيئة الماجنة التى ظهرت فيها ، ورقصت ، وأحبت، وتعذبت ، وعذبت ٠٠ قبل ان تتطهر وتنذر نفسها لحب أسمى من حب البشر : لحب الله ٠٠ والمسيح ! ٠٠ وقد لا تصدق اننى منذ أكثر من ثلاث سنوات أوالى البحث لك عن كتاب يؤرخ حياة «المجدلية» فى مرحلتها الاولى ـ مرحلة الخطيئــة ـ لكنى لم أفز من بحثى بطائل ! حتى دائرة المعارف البريطانية لم أجد فيها عنهـا أكثر من عشرة سطور ، تكرر المعلومات الضئيلة التى رواها عنها الانجيل ! ٠٠وأخيرا صدر هذا الكتاب الهام الذى يشبع فضول العالم الى معرفة « ماضى » الخاطئة الخالدة :

صوت جميل ٠٠ يجذب « يوسف » !

◆ **كان** الشاب مسرعا بدابته خلال شوارع (طبرية) ، حين حملت اليه نسائم الأصيل ـ عبر البحيرة ـ صوتا أسره جماله، فأوقف الدابة لينصت اليه٠كان الصوت لفتاة تغنى باليونانية شعرا فى الهوى ٠٠ وكان صوتا عذبا ، رخيما ، واضحا ، ذا رنة خاصة ملكت على الشاب مشاعره !

كان «يوسف» فى الحادية والعشرين ، طويل القامة نحيفها، أسود العينين ، ذا وجه تفصح قسماته بأصدق التعبيرات ، وذا حكمة ورزانة تفوقان سنه ٠ ولمـــا كان يسكن مع والدته فى مدينة (المجدل) ـ القريبة من البحيرة ـ فقد التحق بجـامعة

(طبرية) ، مقصد الطلاب من مختلف الأقطار ، لدراسة الطب والعلوم التى دونها فلاسفة اليونان٠وبينما كان يدرس الطب، اضطر الى ممارسة مهنة وضيعة ليكسب قوته ويعول أمه ٠٠ فكان يطوف على القصور الأنيقة المحيطة ببحيرة (طبرية) ، يعالج السادة الرومانيين بالعلق (الديدان التى تمتص الدم المفسود من الجسم) ٠ بل ان يوسف كان يدعى أحيانا لمعالجة «بيلاطس البنطى» ، حاكم مقاطعة (اليهودية) الرومانى ، الذى كان يتردد على (طبرية) لا لجمالها فحسب ، وانما لمراقبة « هيرودس انتيباس » ، حاكم (الجليل) المخادع ، الذى ورث عن جده غطرسته دون حكمته !

وجذب صوت الفتاة يوسف كما يجذب المغناطيس الحديد ، فسعى الى مصدره ، وما لبث أن وجد نفسه عند ساحة البلدة الأنيقة ، وقد تجمهر الناس حول المغنية

وتسلق يوسف أحد الأعمدة التى أقيمت فى الساحة ، تعلوها تماثيل النسور الرومانية ، فرأى من موقفه هذا حصن قصر الملك العظيم المشيد فوق « الأكروبول » ، وقد ارتفع شامخا،وامتدعلى طول شاطىءالبحيرة،رمزا للقوةالعسكرية والعظمة الملكية ! ٠٠ بينما جلست المغنية هادئة ، كما لو كانت فى منزلها ، وقد أسندت الى صدرها قيثارة ٠ وكان الجمع ـ ومعظمه خليط من اليونانيين والرومانيين ـ يجلس فى حلقة حولها٠

وكانت صاحبة الصوت فتاة صغيرة لا تتجاوز الثامنة عشرة، فارعة القوام ، نحيفة الجسم ، فيها سحر وفتنة ، وقد غطت رأسها بشال ، وفقا للتقاليد اليهودية ٠ ولكن ٠٠ أنى للنسيج أن يخفى الجمال والروعة ؟! ٠٠ **أما ملامحها ، فكانت مزيجا من اليونانية والعبرية ٠ وقد نمت استدارة وجهها وحدة أنفها عن ذكاء متوقد ، انعكس بريقه على عينيها ذاتى النظرات العميقة ، واللون البنفسجى ٠وكانت بشرتها بضة ، ملساء ، شفافة ٠**

وعندما قابلت المصفقين بابتسامة ، سرت فى وجهها حمرة خافتة !

وأيقن يوسف – وهو يرمقها بعينيه الثاقبتين – ان الدماء اليونانية والعبرية هى التى بثت فيها الجرأة على أن تنشد أغنية غرامية أمام جمع كهذا ، لا ٠٠ بل وفى مثل هذه المدينة التى صب عليها اليهود لعناتهم ، اذ كانت مقرا للرومانيين المستعمرين !

أما الموسيقيون الأربعة المرافقون للفتاة ، فكانوا فى ملابس فضفاضة كتلك التى يرتديها أهل (شرق الاردن) و(البحر الميت) ٠٠ وكان قائد الفرقة – وهو أطول أفرادها – ذا ملامح غريبة تلفت النظر ، ولحية وخطها المشيب ، وقد حمل قيثارة كبيرة بين يديه ، بينما أمسك آخر مزمارا مصريا ، وثالث بوقا من النحاس ٠ أما الرابع فقد شد صناجات الى يديه ، وأخذ يطرق بقدميه ألواحا من الخشب فى ذبذبة تتفق ونغمات الموسيقى !٠٠ كانت مجموعة غريبة ، أقرب فى مظهرها الى فرق الموسيقى المتنقلة التى تصحبها الراقصات ، منها الى جوقة ترافق مغنية !

رقصة ٠٠ تشعل النار فى الدماء !

◆ **ولم** يذكر يوسف انه سمع يوما صوتا فى جمال صوت هذه المغنية التى كانت تبدو وسط الموسيقيين كزنبقة وسط الأشواك ! ٠٠ ومال الشاب على رومانى بدين ، وسأله عن الفتاة ، فرمقه الرجل شزرا – اذ كان من الوقاحة أن يخاطب يهودى وضيع رومانيا رفيع المقام ! – وقال : « **انها مريم المجدلية ٠٠ يا للعجب ، من فى المجدل كلها لا يعرف هذه العاهرة !** »

لكن « مريم المجدلية » لم تبد فى عينى يوسف من أولئك النساء المتبذلات اللاتى ازدحمت بهن شوارع هذه المدينة الجميلة الحديثة ٠ فلم تكن تجمل وجهها أو تصبغ شعرها بحناء

« كليوباترا » المصرية • وكان فى جمالها ما يوحى بأنها عاهر حقا ، ومع ذلك فقد كان فى سلوكها شىء ما يثير الاهتمام •• شىء لعله ذلك الوقار الرزين المتجلى فى جلستها الهادئة ، وهى ممسكة بالقيثارة ، تتقبل استحسان الجمهور • كان منظرها يوحى بأنها تختلف عن سواها ! •• وكان أشد ما أثار عجبه ، انها كانت تغنى أشعارا يونانية رفيعة ، فساءل نفسه : «كيف حفظت هذه الفتاة شعرا كلاسيكيا كهذا ، وأين حذقت العزف على القيثارة ؟! » •• وأجال بصره فى القوم ، فلم ير بينهم غير نفر قليل من اليهود ، اذ كان « هيرودس » قد حرص على استجلاب حثالة المدن الأخرى لتعمير المدينة الجديدة ، فأقبلوا طامعين فى ذهبها الوفير ، سواء عن طريق السرقة أو بالعمل الشريف فى خدمة الرومانيين ، فلا عجب أن كره اليهود المدينة ! •• وكان يوسف يرى على امتداد البصر « فيلات » الرومانيين وقد تناثرت على ضفاف البحيرة ، محوطة بالمروج الخضراء والأسوار العالية التى تضم خلفها كل وسائل الترف والمتعة • وكانت أكبر هذه «الفيلات» ـ اطلاقا ـ ملكا لبيلاطس البنطى ، حاكم مقاطعة « اليهودية »

وكانت نظرات الحشد المحيط بالمغنية حافلة بالانفعالات المشبوبة وان تباينت أنواعها : فالبعض مأخوذ بجمال الصوت وروعة نغمات القيثارة الحالمة •• والبعض الآخر مشغول عن الموسيقى بفتنة المغنية وسحر شبابها • **ولكن فئة قليلة منهم كانت تتجه اتجاها آخر ، اذ أخذت تسرى فى عروق أفرادها وقدة اشتهاء لجسم الفتاة النحيل ! وكان من بين هذا الفريق ضابط رومانى فى زى رجال الحكم الأرجوانى ، عرف يوسف انه « جايوس فلاكوس » ابن شقيقة « بيلاطس » المقرب اليه ، وقائد حرسه الخاص • وكانت (الجليل) تعج بالقصص عن قسوة هذا الرومانى ، وتنكيله بمن يوقعهم سوء حظهم فى قبضته •** وكان فارع الطول ، ممشوق القوام ، ذا جمال يكاد يكون

أنثويا ! ‥ وقد عرف بانصرافه الى الخمـــر والنساء ، وتلك الحفلات الخليعة العربيدة التى كانت تقام فى قصر خاله

وما أن انتهت الأغنية ، حتى تحول الموسيقيون يعزفون لحنا راقصا ، ذا أنغام عنيفة ، من الألحان الشائعة بين أهالى الجبال والبادية المحيطة بالأردن والبحر الميت،فتركت «مريم المجدلية» قيثارتها ، وانتصبت على أطراف أصابع قدميها ، رافعة ذراعيها كما لو كانت تتعبد الى شىء غير منظور ، ثم أخذت تتثنى وكأن الأنغام تدغدغ جســـدها ! ‥ وازدادت حـر كاتها مع اللحن سرعة ، فبهرت أنفاس الحضور ٠ وما لبث الشال أن سقط عن رأسها ، فانسابت خصلات شعرها الذهبى ، المتوهج ، الغزير ، على كتفيها ، وبدت الفتاة وهى تدور كأنها مشعل يلف حول نفسه ٠ ثم تهدل الشعر حولها ، فلاحت كعمـــود من لهب ! وتصاعد صياح الاعجاب من النظارة ٠ أما «جايوس فلاكوس» ، فقد اتقدت فى عينيه شهوة مفضوحة ٠ وراحت فتاة (المجدل) تضحك أثناء رقصها ، ثم تمايلت نحـــو الضابط فى استثارة متعمدة ، وهى ترمقه فى تهكم ! واشتدت سرعةدورانها ، وهى تتجنب فى رشاقة كل من يحاول لمســها ٠ وانهال عليها وابل من النقود عندما بلغ اللحن نهايته ، فوقفت منتصبة على أصابع قدميها ، وأخذ نهداها يترجرجان مع تهدج صدرها ، وهى تلوح كتمثال « أفروديت » ‥ وقد التمعت عيناها ، وتوهج خداها

وفجأة ، غاض اللون من وجهها ، تاركا مكانه شحوبا بلون الرخام ٠ وجمد جســدها ، ثم تمايلت وخطت بسرعة لتحتفظ بتوازن جســـمها ٠ **وأدرك يوسف ما كان منتظـرا ، فأسرع نحوها ، ولكن الزحام حال دون وصوله اليها ٠ وكان « جايوس فلاكوس » هو الذى تلقـــاها بين ذراعيه ، اذ فقـــدت وعيها ، وانتابتها اغماءة شديدة !**

كلمات جارحة ‥ تؤدى الى صداقة !

◆ وظل القوم برهة وكأن على رؤوسهم الطير ، بينما أسلم

الضابط الرومانى الفتاة الى الارض ٠ وفجأة ، صرخ صوت : « **تفرقوا ، فان بها شيطانا !** » ٠٠ وارتد القوم مجفلين ، اذ كان السائد ان الشيطان يتقمص بعض الأجسام ، وانه ينتقل منها الى من يقربها ! ٠٠ ولم يبق سوى يوسف و « جايوس فلاكوس » الذى كان يعرفه يوسف لكثرة تردده على القصر لتطبيب « بيلاطس » ، وجثا يوسف الى جوار الفتاة يجس نبضها ، واذ ذاك أخذت تهتز فى اختلاجات متشنجة ، وانساب من فمها فيض من الهذيان ، تخللته صرخات متوجعة ٠ وراحت الفتاة تتلوى بعنف ، وكأن سياطا تنهال عليها ! ٠٠ ثم خفت الوطأة على الجسم النحيل ، وبدأت النوبة تفتر ، فتساءل الرومانى : « أمصابة هى بالمرض المقدس ؟ » ٠ وكان هذا هو الاسم الذى يطلقه الناس على هذا النوع من الصرع ، اذ كانوا يعتقدون انه ناجم عن تقمص أرواح الشياطين أو أرواح الملائكة أجسادا من البشر !

وتردد يوسف فى ابداء رأيه ، اذ لم ير فيما أصاب الفتاة أعراضا تدل على الصرع ٠ وعاد «جايوس» يردد رأيه فى حدة ٠ وفى تلك اللحظة ، انطلقت من الفتاة عطسة قوية ، أجفل لها يوسف ، ثم قال للرومانى : « ما أظنه المرض المقدس ! ٠٠ لعله مجرد أغماء نشأ عن الجهد الذى بذلته فى الرقص ٠٠ أو لعل روحا نجسة تقمصتها ! » ٠٠ ولم يفطن الى ان الفتاة كانت قد استردت وعيها ، وأنصتت الى حديثهما ، فاحتقن وجهها غضبا لقول يوسف ، ولكن « جايوس » قال لها مبتسما : « لم يتحدث أحد عنك بسوء ، وانما كنت والطبيب ٠٠٠ » ، فصاحت : «طبيب ؟! ٠٠ليس يوسف الجليلى سوى حجام يستخدم العلق!» ٠٠ وحزت كلمات الراقصة فى نفس يوسف ٠ على ان الغضب لم يلبث أن زايل الفتاة ، فابتسمت شاكرة ، لا لليهودى ذى الثوب المتواضع ، وانما للرومانى الأنيق ! ٠٠ وقال هذا : « اذا كنت لا تزالين خائرة القوى ، فقصر خالى قريب من هنا ! »

٠٠ ولكنها شكرته قائلة ان لابد لها من العودة الى (المجدل) ٠ وهمت بالوقوف ـ وهى تقول ليوسف ان هـذا الاغماء ينتابها أحيانا عقب الرقص ـ واذا بها تترنح ، وتكاد تسقط ، لولا ان بادر يوسف فأمسك بها ٠ وأحس بليونة جسدها بين يديه ، فاشتد وجيب قلبه ٠ وعرض عليها أن تركب دابتـه ، اذ كان بدوره ذاهبا الى (المجدل)

نصيحة ٠٠ من الراقصة الى يوسف !

◆ **وعلى** صخرة تشرف على (طبرية) ، جلست الفتاة ريثما ترتاح الدابة ٠ وقالت ليوسف: «من الذى كنت تعوده اليوم ؟» ٠٠ فرفع يوسف الزجاجة التى يحتفظ فيها بديدانه ، وقال : « ان ديدانى متخمة بدم بيلاطس ! » ٠٠ فعادت تقول : **«يقولون فى المجدل ان دم « داود » يجرى فى عروقك ، فلماذا تمارس مهنة الحجامة بالعلق ؟! » ٠ وهنا أجاب يوسف : « ان مرضاى يدفعون أتعابا طيبة ، كما اننى أتلقى العلم على يد « الكسندر ليسماخس » الطبيب اليهودى الشهير » ، فغضنت الفتاة أنفها فى سخرية وقالت فى قحة : « ما أظن ان عملك يتأثر اذا عرف الناس ان أغنى تاجر فى أورشليم ـ « يوسف اريماثيا » ـ هو عمك ! » ٠٠ فتضرج وجه الشاب ، اذ كانت توصيات عمه فى الواقع هى التى جعلت الحاكم من بين مرضاه !** ٠٠ على انه قال أخيرا : « سأرحل الى الاسكندرية لدراسة الطب بمجـرد أن أدخر مبلغا كافيا ! » ٠٠ وما لبثا أن تبسطا فى الحديث ٠ فقالت « مريم » تحدثه عن نفسها : « لقد قام بتعليمى « ديمتريوس » مذ كنت فى الثانية عشرة من عمرى ٠٠ لقد سافر الى كل مكان ، ومن ثم فقد علمنى الكثير ٠٠ فضلا عن اننى أقرأ كل ما يقع فى يدى من كتب ! »

وسألها الشاب عن « ديمتريوس » هـذا ، فقالت : « انه صانع قيثارات فى شارع اليونانيين ٠٠ وأنا أعيش معه ! » ٠

وأجفل يوسف اذ ذكرت انها تعيش مع رجل ٠٠ ورجل يونانى بالذات ! ٠٠ ومرة أخرى ، عادا يتحدثان عن الاسكندرية ، فتبين ان ما تعرفه عنها يفوق ما كان يعرف ، لكثرة ما سمعته عنها من « ديمتريوس » ٠ وقالت الفتاة : « سيكون من دواعى فخرك أن تقول انك درست الطب فى الاسكندرية ! » ٠٠ وكان هذا حقا ، فقد كانت الاسكندرية قبلة المتعطشين الى التبحر فى الطب ، ومهد كل تجديد فيه

وعادت الفتاة الى الحديث عن الاسكندرية ، قائلة انها ستنزح اليها لترقص وتغنى فى مسارحها ، وتجمع ثروة ، فقال : « لكن المرأة اليهودية لا يحق لها أن تظهر فى المسارح ! » ٠ وهنا قالت : « ان الدماء اليونانية تجرى فى عروقى ٠٠ ولم أذق السعادة الا منذ عشت مع ديمتريوس ، كما يعيش اليونانيون ! » ٠٠ فقال : « هذا شأنك » ٠٠ ثم ابتسم مردفا : «ألم يرد فى الكتاب المقدس عن المرأة انها : تفتح فاها بالحكمة؟» ٠٠ فنكست « مريم » رأسها وقد وخزتها السخرية التى شابت لهجته ٠ ثم عادا يواصلان سيرهما الى (المجدل) ٠ على ان الفتاة لم تلبث أن قطعت الصمت متسائلة : « من ذلك الرومانى الذى أعاننى عندما أغمى على ؟ » ، فقال : « انه جايوس فلاكوس ، ابن شقيقة بيلاطس البنطى » ٠٠ قالت : « انه مليح جدا ! » ، فقال : « وشرير جدا ! » ٠٠ وتحولت تسأله عن الحاكم ، وقصره ، ثم قالت : « هل لدى الحاكم جوار يرقصن أمامه عاريات حقا ؟ » ، فتضرج وجه يوسف ، وقال : « ليس لفتاة صغيرة مثلك أن تفكر فى أمر كهذا أو تتحدث عنه ! » ٠٠ فهتفت : « اننى بلغت الثامنة عشرة ، فأنا حرة فيما أفعل ! » ٠٠ قال : « لكنك بهذا تسببين المتاعب لوالديك ٠٠ الا أذكرى قول الكتاب : أكرم أباك وأمك كى تطول أيامك على الارض ! »

اذ ذاك اعترى الفتاة تغير غريب ، وامتقع وجهها ، وعضت على شفتها فكادت تدميها ، ثم صاحت : « اذا شئت أن تكون

صديقى ، فلا تذكر لى شيئا عن الآباء والأمهات ! »٠٠ ثم عادت أطوارها تتغير فجأة ، فاستردت بعض ما كانت عليه وهى ترقص فى شوارع (طبرية) ، وقالت : « ما ينبغى أن تتزمت فى استقامتك ، فأنت لم تتجاوز الثانية والعشرين ، وما لم تمتع نفسك بقسط من اللهو والملذات ، اكتهلت سريعا دون أن تعرف مباهج الحياة ! » ٠٠ واصطنعت عبوس الشيوخ ، فلم يستطع يوسف أن يكبح القهقهة ٠ ودخلا (المجدل) على هذه الحال !

ولم تسمح « مريم » ليوسف بأن يرافقها حتى مسكنها ، بل شكرته فى لطف ، وانزلقت عن دابته عند مدخل المدينة ، فوقف يرقبها وهى تسير بخفة ، ورشاقة ، واعتداد ، حتى غابت عن عينيه، فبادر الى دار مريض كان قد تأخر عن عيادته ٠ وأبدى اعتذاره لتأخره ، قائلا انه شغل براقصة أصيبت باغماء فى شوارع (طبرية) ، فصاحت زوجة المريض : « لعلها مريم المجدلية ! ٠٠ يا لها من فتاة لا يطمأن اليها ٠٠ فهى مجردة من الحياء ! » ٠٠ فقال المريض : « حسبك يا راشيل ! » ، ولكن المرأة قالت : « بل هى ـ وفقا للعقيدة اليهودية ـ مذنبة ، تحمل وزر اعتناق الوثنية ومحاكاة الوثنيين ، من رومانيين ويونانيين ، فى معيشتهم ! » ٠٠ وأدرك يوسف ان له نصيبا من احتقار المرأة ، اذ كان يدرس فى جامعة اليونان فى (طبرية) ٠٠ وكأنما لمحت المرأة شرود يوسف ، فهتفت : « لعل الشاب فتن بمريم المجدلية والأرواح اللعينة التى تتسلط عليها ٠٠ انه لن يكون الأول ! »

والواقع ان يوسف شعر ـ حين أوى الى فراشه ـ انه قد فتن فعلا بمريم ٠ فقد لازمه طيفها فى يقظته ، ثم انتقل الى أحلامه ٠ فلما كان الصباح التالى ، قرر أن يسعى الى منزل « ديمتريوس » ٠ على ان الظروف أراحته من التفكير فى حيلة لذلك ، اذ جاءه أحد الموسيقيين ـ بينما كان يتناول الفطور ـ



« مريم المجدلية » : للرسام « تيسيان »
(لوحة بمتحف بيتى بفلورنسا)

وسأله أن يصحبه ليعود « ديمتريوس » فى شارع اليونانيين . وعجبت أمه اذ رأته يتأنق فوق عادته . فهتفت : « انك لا تبدى مثل هذا الاهتمام حين تذهب لمنزل الحاكم نفسه .. هل فى ذلك البيت فتاة ؟ » .. وأكد تضرج وجهه صدق ظنها ، فقالت : « ترى من هى ؟ .. ومتى أتأهب لزيارتها كى أخطبها لك ؟ » .. وكان يدرك أن أمه تتلهف على أن تزوجه ، ليقعد به الزواج عن الرحيل الى (الاسكندرية) !

الراقصة التى تساعد الفقراء !

◆ **كان** بيت صانع القيثارات كبيرا . وما أن اقترب يوسف منه ، حتى انسابت الى اذنيه أنغام خافتة منبعثة منه ، وكأن أحد الناشئين يتدرب على العزف . ولم ير لمريم أثرا فى الدار حين اقتيد الى حديقتها الناضرة الزهور . وفجأة سمع شخصا يقول : «تعال هنا» .. والتفت فاذا يونانى بدين ، فى الستين من عمره ، يجلس على مقعد قرب حافة صخرة عالية بالحديقة ، وهو يضبط أوتار قيثارة كبيرة . وكانت عيناه الغائرتان فى وجهه المستدير تشعان ذكاء ومرحا ، فشعر يوسف بميل نحو هذا البدين ، رغم رائحة الخمر التى كانت تفوح منه . وقال فى

تأدب : « قيل لى ان ديمتريوس يريد أن يرانى » ٠٠ فقال الرجل : « أنا ديمتريوس » ٠٠ واذ ذاك قال يوسف : « لكن مريم قالت انها تقيم مع ٠٠٠ » ، وأمسك وقد تضرج وجهه وارتبك ، فقال الرجل : « وهل من عيب فى اقامتها معى ؟٠٠ انك كانسان لابد من أن تحدس سوءا اذا ما قيل أن حسناء تعيش مع رجل ٠٠ ولكن ، هل ترى فى مظهرى ما يوحى بأننى فاسق يهتك أعراض الصغيرات ؟! » ٠٠ وقهقه وهو يمسك ببطنه ، وكأنه يخشى أن تنفجر ، ثم مسح عينيه بطرف كمه ، وقال : « واحسرتاه ! ٠٠ حتى لو اشتقت الى النساء ، فلن أجد من ترغب فى بدين مثلى ! » ٠٠ وهم يوسف بأن يعتذر ، ولكن الرجل مضى قائلا : « انك ولابد قد سمعت شائعات الناس ٠٠ ولكن النساء يحسدن مريم لأنها محط أنظار الرجال ، وهؤلاء يصفونها بالغواية والخلاعة ليبرروا لأنفسهم اشتهاءهم اياها !» ٠٠ واذ ذاك قال يوسف فى اعجاب : « أراك فيلسوفا ! » ، فقال الرجل : « **بل أنا مدمن خمر ! ٠٠ فقد خبرت الرجال ، فوجدت نفوس أغلبهم تنطوى على الخبث والشر ٠٠ اننى لا أومن برب يفرض على الحرمان ، ولكن فضيلتى هى اننى لا ألحق ضررا بأحد عدا نفسى ! ٠٠ واننى لأستطيب أن أرى الناس سعداء ، فرحين ، ومن ثم أدع مريم تغنى وترقص ليستمتعوا بجمالها ومواهبها ، ولكن هذا ـ فى رأيى ـ ليس من أعمال الشيطان فى شىء ٠٠ أيها اليهودى !** »

ودعاه الى الجلوس بجانبه ، ثم سأله عن رأيه فى النوبة التى أصابت مريم فى اليوم السابق ، فقال يوسف : « لا أعتقد انه المرض المقدس ٠ وقد رأيت كثيرا من البنات يتعرضن لهذه النوبات ، ولكن معظمهن يبرأن منها فى سن البلوغ ! » ٠٠ واذ ذكر له صرخاتها وكأن سياطا تنهال عليها ، تنهد اليونانى قائلا : « كنت آمل أن تكون قد نسيت هذا ٠ لقد كفلت مريم مذ كانت فى الثانية عشرة ، وكان والدها صائد حمام ، ولصا

وضيعا ، لا يكف عن ضربهـــا ٠٠ بل انه أوشك أن يبيعها الى رومانى ، لولا أن دفعت له ثمنا أعلى ، وتبنيتها رسميا ، فعلمتها كل ما أعرف من موسيقى ، وفلسفة ، وفنون ٠ ان مريم تجيد الغناء والرقص ، ولهذا فان الناس يجزلون لها العطاء ! » ٠٠ واذ سأله يوسف : « وهل تراها بمأمن ؟ » ، قال انه مطمئن الى رعاية أفراد الفرقة الموسيقية لها ٠ ثم أردف قائلا : « انهـــا تستطيع ـ لو شاءت ـ أن تخلب ألباب الملوك ، ولكنى أضــع سعادتها فوق كل شىء ٠ وهذا سبب احجامى عن الرحيل بها من المجدل ٠٠ ماذا تفعل لو كنت مكانى ؟ »

وفكر يوسف فى المــدن الكبيرة وشرورها ، فرأى أن من الأفضل أن تتزوج « مريم » من شاب طيب ، رزين ، يرعاها ويكفل لها السعادة والرفاهية ٠ وخفق قلبــه حين رأى ان من المحتمل أن يكون هــذا الشاب طبيبا ناجحا ٠ لـكنه رأى ان طموح « مريم » لا يقل عن طموحه ، فقال أخيرا : « **لدى قومى مثل يقول : ما الانسان الا صورة ناطقة لما يصبو اليه قلبه ٠ لذلك أشك فى ان مريم تسعد بعيدا عما يهواه قلبها من غنــاء ورقص ! » ٠٠ فهتف الرجل : « يا لرجاحة العقل الذى أوتيته فى هذا الجسم الصغير ! »** ٠٠ وفيما همــا يتحدثان ، انبعثت لدى الباب جلبة ، ثم أقبلت «مريم» فألقت بشالها جانبا ـ دون أن تفطن الى وجود يوسف ـ وقالت : « لقد أصيب سمعان فى حادث ، فجئت به » ٠٠ وأقبل اذ ذاك بعض النـــاس ، بينهم « هادجا » ـ قائد الفرقة الموسيقية ـ يساعد أحد صــيادى السمك ، وكان بادى الوهن

وانتبهت « مريم » الى وجــود يوسف ، فابتسمت قائلة : « كنت بمنزلك منذ لحظة ، فعلمت من أمك انك لن تعــود قبل المساء » ٠ فقال « ديمتريوس » انه استدعاه ليشكره على ما بذله لها من عناية بالامس ٠ وجثا يوسف الى جوار السماك المصاب، فتبين ان عظام ذراعه انحرفت عن مواضعها ، فخــدر الرجل

بمزيج من الاعشاب والخمر ، و رد العظام الى أماكنها ، وشد الذراع الى جبيرة خشبية بمهارة أدهشت «ديمتريوس» وجعلته ينطلق فى اطرائه

ترفض الزواج ·· من يوسف !

◆ وفى الصباح التالى ذهب يوسف ليعود سمعان ، فلم يكد يبلغ باب حديقة « ديمتريوس » حتى توقف مشفقا من أن يبدد المنظر الجميل الذى صافح بصره ·· اذ كان صورة حية للهناءة والطمأنينة · فقد جلس « سمعان » على مقعد عند حافة البحيرة ، وجلست « مريم » على العشب ـ عند قدميه ـ تعزف على قيثارتها وتردد ما تغنى به « سليمان الحكيم » فى سفر « نشيد الانشاد » · ولكن الشاب لم يتمالك ـ بعد فترة ـ صيحة اعجاب انبعثت منه ، فقال سمعان : « ان الحجام على حق يا مريم ! ·· ما أسعد اليوم الذى صادفتك فيه تبكين على قارعة الطريق فى كفر ناحوم » ·· فارتجفت الفتاة ، وقالت : « **لم أكن قد تجاوزت الثانية عشرة يا يوسف عندما تعرضت لهذا الاختبار القاسى ·· كنت أضرب ضربا مبرحا ، وتنزع عنى ثيابى وأعرض عارية أمام الناس ، ليساوموا فى شرائى ! ·· وكان سمعان أول من عطف على فى حياتى ·· أفتعجب اذا أحببته وديمتريوس أكثر من أى انسان آخر فى الوجود ؟!** »

وتحولت تطرى براعة يوسف وتشكره ، وهو يفحص ذراع « سمعان » · واضطر أخيرا الى الانصراف ليعود مرضاه ، ولكن طيف « مريم » لم يفارقه · كانت تبدو له كطفل تسعده ابتسامة ، وتبكيه نظرة صارمة ! ·· واذا لم يكن يوسف قد رأى فى دار « ديمتريوس » مظهرا من مظاهر الترف والرخاء ، الا انه وجد ما تفتقده بيوت الاغنياء · ·وجد سعادة تربط بين قلوب أهل الدار ، فى حب صادق ، صريح ، لا تحفظ فيه ولا تكتم ! ·· واذ عاد الشاب الى بيته فى المساء ، استقبلته رائحة

سمك يقلى ، فأثارت شهيته • ويممشطر المطبخ ، فاذا « مريم » تجلس بجوار أمه ، اذ كانت قد جاءتها بسمكة كبيرة كهدية ، فأصرت الأم على استبقائها للعشاء ! •• وقال يوسف : « ترى هل تتكرمين برقصة بعد العشاء ؟ » ، فرفعت ذراعيها متظاهرة بالجزع ، وقالت : « هل تريد أن يقول جيرانك انك تستأنس فى دارك بفتاة خليعة ؟! »

وبينما كانت أم يوسف تعد العشاء ، اصطحب الشاب مريم ليريها العيادة التى يعالج فيها فقراء المدينة • ثم رافقها بعد العشاء الى دارها • وقالت وقد آن أن يفترقا : « لقد تعلق قلبى بأمك يا يوسف •• كما أنك ـ أنت الآخر ـ حلو الشمائل !» •• وشبت على أطراف قدميها ، وطبعت على وجنته قبلة ! •• ولم تغب سعادته عن أمه حين عاد اليها ، ففاتحته فى أن يتزوج من الفتاة ، مدافعة عن رقصها بأن النبى «داود» ـ فى تحمسه الدينى ـ كان يرقص أمام تابوت الرب فى الهيكل ! •• ولكن مريم قالت ـ حين عرض الشاب عليها الزواج ـ انها لا تليق له •• فلما ألحف ، قالت انها تطمع فى أن تكون ممثلة مشهورة بالاسكندرية ، فتدر على ديمتريوس مالا ونعيما يعوضانه عما لاقاه فى حياته من عناء !

دعوة للرقص •• فى قصر « بيلاطس البنطى » !

◆ كانت « مريم » وحيدة فى الحديقة ، تتدرب على عزف لحن جديد ، حين جاءها رسول من لدن «بيلاطس البنطى» ، وانحنى أمامها معلنا ان مولاه يدعوها الى العشاء فى قصره بطبرية ، لتغنى وترقص لضيوفه !

وفى نشوة سرورها ، نسيت تحذيرات يوسف ، وما سمعته عن الموبقات التى كانت تقترف فى قصور الرومان ، ولم تعد تفكر الا فى انها ستفوز بمبلغ طائل قد يساعد « ديمتريوس » على السفر الى الاسكندرية • وسألها الرسول عن منزل يوسف ، اذ كانت زوجة الحاكم فى حاجة الى علاجه ، فأرشدته اليه بعد أن أوصته بأن لا يذكر للشاب شيئا عن دعوتها الى قصر الحاكم • وما كان أشد سرور « ديمتريوس » حين أخبرته « مريم » بالنبأ ، اذ هتف : « لن تلبثى ان تدعى للرقص فى قصور العظماء ، ولهذا تأثير على مدير مسرح

الاسكندرية اذا ما تقدمت اليه ! » .. ثم أردف قائلا : « لكننى أخاف ان لا تكونى بمأمن فى ذلك القصر ! » . بيد انها هونت عليه الأمر ، وطمأنته الى وجود رجال الفرقة الموسيقية معها . ولكنها لم تكد تستقر فى القصر ، فى ذلك المساء ، حتى حيل بينها وبين هؤلاء الرجال ، واقتيدت الى حجرة خاصة . وما لبثت ان أقبلت فتاة بادرتها قائلة : « لم لا ترتدين ملابس الرقص ؟ » . واذ قالت مريم أنها اعتادت أن ترقص وهى فى ثيابها العادية ، سخرت منها الفتاة ، وأحضرت لها ثوبا شفافا وضعته على جسدها بشكل يبرز مفاتنه ، ثم صبغت لها شفتيها . وعلمت « مريم » ان الفتاة جارية تدعى « ثيتس » ، فسألتها : « أترقصين عادة فى هذه الثياب الشفافة ؟ »

– نعم .. وعندما يثمل الرجال ، يحلو لهم أن يشدوا الثوب ، الذى أعد بحيث ينفرج عند الشد ويسقط !

وهتفت مريم فى عجب : « وهل ترقصين عارية ؟ » ، فقالت الجارية : « أجل .. أو لم ير أحد جسمك عاريا ؟ » .. وأجابت مريم : « مطلقا .. ولا ديمتريوس الذى تبنانى ! » .. فصاحت الجارية : « اذن فأنت لا تزالين عذراء ؟.. ألا عودى الى المجدل ، وتزوجى من شاب يهودى صالح .. فان هذا المكان حافل بالفسق والشر . اذهبى قبل أن ترى مباذل الملك هيرودوس . ما أخبث هذا الرجل البدين ، وما أقذره اذا ما لعبت الخمر برأسه ! » .. وعزفت الموسيقى اذ ذاك ، ففتحت « ثيتس » الباب وسارت . وارتجفت « مريم » فى عنف ، وودت لو تفر من المكان . على ان الفضول دفعها الى ان تفتح الباب الذى خرجت منه الجارية ، فرأت رواقا هائلا ذا رواء خلاب ، وقد فرشت الوسائد والمساند فى ركن منه ، حيث جلس رجل حدست انه الملك « هيرودوس » ، يحف به الكبراء فى أبهى الثياب ، وقد مدت أمامهم الموائد . وكانت الخمر قد لعبت برؤوسهم جميعا ، اللهم الا « جايوس فلاكوس » ، وشخص ثقيل الظل ، تفيض عيناه بالشهوة الجامحة ، فحكمت من مظهره بأنه « بيلاطس » . وفى الطرف الآخر من القاعة ، كانت « ثيتس » ترقص على نغمات غاب عازفوها عن الأنظار . وكانت الجارية تقترب من المدعوين حتى تغدو فى متناول أيديهم ، تعابثهم وتداعبهم ، حتى اذا هموا بأن يمسكوا بها ، راغت منهم ! .. وكان « جايوس » يرقب الراقصة فى سأم ظاهر . وأخذت « مريم » بجماله . واذ سعت اليه الجارية ، شد طرف ثوبها فسقط عنها ، واذا هى ترقص عارية ، باستثناء زنار معدنى أحاط بحقويها ، فصاح الرجال : « الزنار .. الزنار ! » .. وبدت فى أعينهم شهوة بهيمية أدخلت الرعب الى قلب « مريم » ، فعادت تود لو تهرب !.. ونزعت « ثيتس » الزنار ، واقتربت من « جايوس » فطوحت به نحوه ،ولكن الشاب لم يحفل به، فزحف«هيرودوس»،

وامسك به صائحا : « هذه الفتاة لى الليلة ! » ‥ واذ ذاك انسحبت الجارية الى حيث كانت « مريم » تشتعل غضبا ، فقالت لها : « أتدرين لم أعرض « جايوس فلاكوس » عن الزنار ؟‥ لأنه يريدك أنت ! » ‥ فصاحت مريم : « لن يحدث هذا مطلقا ، فما جئت الا لأرقص ! » ‥ وسمعت اذ ذاك موسيقى رجالها ، فسرت فى نفسها طمأنينة غالبت الفزع ، ودلفت الى القاعة !

الزلة الأولى !

◆ ما ان سقط الوشاح عن « مريم » ، حتى ضحك أحد الرومانيين ، فتوترت عضلات جسدها ، اذ تذكرت حديث الجارية. ولكن الموسيقى استحوذت على مشاعرها ، فاستغرقها الرقص ‥ رقص فنى لا اثارة للشهوات فيه ، بل بدا كأنه لوحات حية تمثل السحر والجمال فى بلاد (الجليل) . وبهت الحضور لتلك الروعة ، ورفع « هيرودوس » رأسه وراح يتأملها فى امعان ، مأخوذا . وفارقت « بيلاطس » نظرته الجامدة . أما « جايوس فلاكوس » فقد راح يتململ مرتقبا نهاية الرقص !‥ وعندما حانت هذه النهاية ، انبعثت من القوم عاصفة من التصفيق والهتاف ، بينما انحنت « مريم » فى جلال ورشاقة أمام الحاكم ، فألقى اليها هذا بكيس ادركت من الرنين الذى صدر منه ، انه يضم أكثر من ألف دينار ، فالتقطته ، وسارت الى نهاية القاعة حيث أطلت على رجال فرقتها الموسيقية ، وألقت بالكيس الى « هادجا » ، ثم أسرعت الى الغرفة التى كانت فيها من قبل ، ووقفت تتأمل جسدها البض الجميل ، ووجهها الغض الفاتن ، فى مرآة طويلة . واستغرقت فى التأمل ، فلم تشعر بجايوس وهو يفتح الباب . وأجفلت اذ رأته فى الغرفة ، ولكنه طمأنها ، ومنحها كيسا آخر محشوا بالنقود ، وراح يطرى رقصها وما كان له من أثر فى نفوس القوم ‥ ثم دعاها لتتناول شيئا من الطعام بعيدا عن موائد السكارى . واذ رأى امارات الجزع والتوجس ، هتف قائلا : « أما زلت تخافيننى يا صغيرتى ؟ » . وتعللت بأنها فى عجلة لأن « ديمتريوس » فى انتظارها ، فقال لها : « لسوف يبدد كيسا النقود مخاوفه ! ثم ان حراسك أربعة من ذوى البأس والقوة ! »

وعندما سارت الى جانبه فى ردهة طويلة ، أحست أن لا مبرر لمخاوفها ‥ بل لقد تولتها نشوة وهى ترى شابا وسيما ذا منصب وسلطان ، يتولى بنفسه خدمتها . ولم تقو على كبح اضطراب فؤادها ، حين احست بذراع « جايوس » تلتف حولها ، وبثيابه الحريرية الملساء تلامس جسمها ‥ حتى انتهيا الى غرفة آية فى الأبهة والفخامة . وهتفت « مريم » مذهولة : « أهذه غرفة نومك ؟ » ، فأجابها : « أجل ‥ ولكن لا داعى للخوف ! » ‥ وأسرع يوقد الشموع برهانا على حسن نيته . وكانت ثمة مائدة صغيرة معدة فى أحد الأركان ، ومحملة بما

لذ وطاب ، وكان الجوع قد أخذ من « مريم » ، فأكلت وشربت ما كان الشاب يقدمه لها . وعندما ألصق جسمه بجسمها ، حاولت ان تبتعد ، ولكن قـوة خفية كانت تجعلها تتراخى ، وتستجيب .. حتى اذا احتضنها فى وجـد ، وألصق شفتيه بشفتيها ، استمرأت القبلة ، ثم اذا بوسامته ورقته تتلاشيان ، لتحل محلهما - على أساريره - حيوانية مشبوبة الأوار !.. وراحت « مريم » تصرخ وتستغيث وهى تناضل للتخلص منه ، ثم غشيها دوار وخور . وبذلت مجهودا أخيرا حين أحست بالشاب يحملها بين ذراعيه ، لكن عوارض الاغماء انتابتها فى تلك اللحظة . وما لبثت ان راحت فى غيبوبة عميقة !

الرومانيون لا يتزوجون من اليهوديات !

◆ وصل يوسف متأخرا الى قصر الحاكم - ملبيا دعوة زوجته - فى ذلـك المساء . وكانت « كلوديا بروكيولا » - كما تدعى - رائعة الجمال ، تجرى فى عروقها دماء أباطرة الرومان ، وان لم ترث عنهم قسوتهم ، بل كانت - على النقيض - بادية الوداعة والرقة . وكانت فى تلك الليلة تشكو ألما فى ذراعها ، مع تورم وارتفاع فى درجة الحرارة ، بسبب دمل لم يتوان يوسف فى شقه بمهارة فائقة ، ثم طهره وأعطى السيدة جرعة من دواء . ومنحته « كلوديا » كيسا مليئا بالذهب ، ودعته الى مائدة حافلة

وغادر يوسف القصر فى ساعة متأخرة ، فلم يكد يسير بضع خطوات ، حتى سمع انينا خافتا ، فبحث عن مصدره ، واذا به يرى « هادجا » - رئيس الفرقة الموسيقية - ملقى فى حفرة ، وهو جريح ، فبادر الى اسعافه . وما أن علم منه أن « مريم » فى القصر ، وأن الجنود طعنوه لأنه أصر على أن لا يرحل دون أن يصطحب الفتاة ، حتى أسرع عائدا الى القصر ، متعللا للحراس بأنه نسى بعض عقاقيره . ولم يكن فى حاجة الى أن يطيل التفكير ، بل سار مباشرة الى غـرفة « جايوس فلاكوس » . ورأى الشاب يغادر الحجرة ، فتسـلل بعد خروجه ، واذا « مريم » ملقاة على الفراش ، فاقدة الوعى ، وقد نزعت عنهـا ثيابها . وبدا من منظرها ان الضابط نال من شرفها رغم ما شهدت به الكدمات المتناثرة على بشرتها من امارات الدفاع عن نفسها !.. ولم يتريث يوسف ، بل حمل الفتاة وتسلل بها الى حيث كان « هادجا » ينتظره . واتجه رأيهمـا الى ان يتجنبا الذهاب بها الى بيت « ديمتريوس » حتى تهدأ الحال ، ومن ثم حملاها الى بيت « سمعان » فى (كفر ناحوم) ، وهى مستغرقة فى غيبوبتها !

وأفاقت « مريم » فى الصباح التالى ، فألفت يوسف جالسـا بجوارها . وانبأها بما حدث . وما ان تذكرت ما جرى لها ، حتى انقلبت تلومه لأنه لم يدعها تموت فى المكان الذى شهد عارها ، وراحت تبكى وتنتحب .. ثم زايلها مرحها المعهود ، واستسلمت للأسى والوجوم

وما كان أشد لوعة « ديمتريوس » حين أفضى اليه يوسف بما جرى ، وحين أدرك ان « مريم » ما تعرضت لهذا الذى لحق بها الا من أجله !٠٠ وقال الرجل الحزين ليوسف : « ليتك تتزوجها ، فأنت شاب مثالى ، وهى تحبك ! » ، فقال يوسف : « لكن حبها لى لا يرقى الى مستوى حبها للاسكندرية ! »

وذهب يوسف ليعود « كلوديا بروكيولا » ، وما ان انبأها بقصة « مريم » وما حدث لها ، حتى قالت : « يجب أن يدفع زوجى تعويضا كبيرا لهذه الفتاة ٠ أتعرفها ؟ » ٠٠ وما ان ذكر انه طلب يدها يوما ، حتى بكت السيدة تأثرا ، وقالت: « هل من خدمة أستطيع أن أؤديها لك؟» ٠٠ وانتهز الفرصة فأبدى خوفه من ان يرسل « جايوس » جنوده بحثا عن الفتاة ، فقالت : « لن يستطيع ان يؤذيها ٠٠ لقد استدعاه الامبراطور الى روما ، وسيرحل بعد أيام ! » ٠٠ واذ انصرف يوسف من عندها ، صادف « جايوس » فى حديقة القصر ، فسأله الضابط عما لديه من أنباء عن « مريم » ٠ ونصحه يوسف ان يسأل عنها لدى « ديمتريوس » ، فقال : « ولكنه لم يدل الى بشىء ٠٠ اننى أحبها الى درجة الجنون ! بل ان حبها امتزج بدمى امتزاج الخمر بالماء ! » ٠٠ فقال يوسف : « اذن ، فأنت راغب فى الزواج منها ؟ » ٠٠ وهنا هتف الضابط : « الزواج ؟! ٠٠ أيتزوج رومانى نبيل من فرسان الامبراطور ،من يهودية ؟!٠٠ انك لتعلم أن القانون لا يبيح هذا ! » ، فقال يوسف فى شمم : « بل ان شريعتنا هى التى تحرم على اليهودية أن تتزوج من وثنى ، لانها تصبح مدنسة ! » ٠٠ واذ ذاك رفع الضابط يده ليبطش به ، لولا ان شوهدت « كلوديا » مقبلة الى الحديقة ، وعاد « جايوس » يقول ـ قبل أن تبلغهما السيدة : « ألا تزال مصرا على انك لا تعرف عن هذه الفتاة شيئا ؟ » ٠٠ فرفع يوسف صوته قائلا : « أعرف ان ديمتريوس تبناها شرعيا ، وبما انه مواطن رومانى ، ففى وسعه ان يطلب حمايتها من الامبراطور نفسه! » ٠٠ وكان لهذا التهديد أثره فى نفس الضابط، فتحول قائلا : « وهل انت مواطن رومانى ايضا ؟ » فلما تلقى الجواب بالنفى ، قال : « اذن ، اكبح لسانك فى المستقبل اذا تحدثت الى من يفوقك مقاما ، فقد لا تجد اذ ذاك امرأة تحميك ! » ٠٠ ونظر نحو « كلوديا » نظرة ذات معنى !

« مريم » تعيش على أمل الثأر !

◆ عاد يوسف يوما الى عيادته ،فاذا «مريم» ملقاة على الارض فاقدة الرشد٠ وتبين أنها قد تناولت كمية من الشراب المخدر الذى كان يحتفظ به للجراحة ، بعد أن اكتشفت أن جريمة « جايوس » قد أثمرت فى أحشائها ٠ وبادر يوسف الى اسعافها ، وقام باجهاضها ٠ ونجت « مريم » من الموت بأعجوبة ٠ وأسرع الشاب فدفن الجنين في الحديقة ، وأزال كل أثر لما حدث ٠ على أن الفتاة حين

استيقظت في الصباح ، لامته على انقاذ حياتها ، اذ كانت ترجو أن تموت . بيد أنه طمأنها الى أنه أخفى عارها ، حتى عن أمه ! .. ولم يأت المساء حتى كانت حالها قد تحسنت بعض الشيء ، فأنبأها بأنه راحل الى (أورشليم) ، ليؤدى امتحانا فى الطب ، واستحلفها أن لا تعود الى محاولة الانتحار خلال الاسبوع الذى كان مقدرا أن يغيبه ، فقالت الفتاة وعيناها تومضان بالعزم والاصرار : « لن أعود الى المحاولة مرة أخرى ، فقد أصبح لى هدف أعيش من أجله ! » .. وخفق قلب الشاب ، ظنا منه أن حلمه قد أوشك أن يتحقق ، ولكن كلماتها التالية هدمت آماله ، اذ قالت : « أقسم أمام الاله الحى أننى لن أهدأ حتى أقتل جايوس فلاكوس وأثأر لنفسى ! »

وعبثا حاول يوسف أن يثنيها عن عزمها ، مشفقا عليها . بل ان الأيام التالية لم تزدها الا تشبثا ، اذ تغيرت وأصبحت تسيطر عليها روح خبيثة .. روح من الكراهية أقضت مضجعها ، فلم يعد لها من غاية فى الحياة سوى أن تقتل الرجل الذى دنس شرفها !

ونجح يوسف فى امتحانه نجاحا باهرا ، واستطاع بفضل نفوذ عمه - التاجر الغنى - أن يصبح « طبيب الهيكل الأعظم » فى (اورشليم) ! .. واذ اطمأن الى أن أبواب المجد قد تفتحت أمامه ، عاد الى (المجدل) طامعا فى أن يقنع « مريم » بقبول الزواج منه ، ولكنه فوجىء بأنها و « ديمتريوس » ورفاقهما ، قد سافروا الى (الاسكندرية) ! .. وعجب فى نفسه : ترى من أين أتوا بالمال الكافى للسفر ، وقد فقد الكيسان اللذان نالتهما « مريم » خلال أحداث الليلة المشئومة ؟ .. وكانت صدمة قاسية له أن اكتشف أن الفتاة التى أحبها قد سرقت كل ما ادخر فى عيادته من مال أثناء غيابه !

- ٢ -

« مريم المجدلية » .. فى الاسكندرية !

◆ **لم** يتح ليوسف ان يسافر الى الاسكندرية قبل خمس سنوات . وكان خلال هذه السنوات الخمس قد اكتسب شهرة وثراء ، وأصبح معروفا لا فى (اليهودية) و (الجليل) فحسب ، بل وفى (سوريا) أيضا . وكان هذا التوفيق قد صرفه عن أمنيته القديمة - وهى ان يستكمل فى (الاسكندرية) تخصصه - لولا ان جاءه أحد رجال المال من (الاسكندرية) ، فسلم اليه

كيسا يحوى قدرا من الذهب يوازى المبلغ الذى سرق يوما من صندوق ادخاره ، مع الفوائد القانونية ، وكأنه كان قرضا ٠ وكان من الطبيعى ان يدرك انه من « مريم » ، ولكن الرسول لم يستطع ان يوافيه بايضاح ما عن الفتاة ، فتاق الى ان يراها، وان يعاود السعى لحملها على الزواج منه !

والتقى على ظهر السفينة التى أقلته بطبيب هندى كان فى طريقه الى الاسكندرية ليدرس مثله ٠ فتعلم منه كيف يستعيض عن المخدر ـ فى الجراحة ـ بالتنويم المغاطيسى ! ٠٠ وهى طريقة كانت معروفة فى الهند منذ ألف عام ، كما عرفتها مصر منذ أقدم العصور

وحمل يوسف معه خطابا من كاهن (اورشليم) إلى رئيس كهنة اليهود فى (الاسكندرية) ، وآخر من « كلوديا » الى « جسطوس » ـ محافظ الاسكندرية ـ ولكنه آثر ان لا يستعين بهما الا عندما تمس الضرورة الى ذلك

واقتربت السفينة من الاسكندرية ، فلاحت له المنارة الهائلة ، احدى عجائب الدنيا السبع ٠ ثم ظهر القصر الملكى ، ومعبد « ايزيس » ٠ وكانت الميناء تعج بالسفن الحربية والتجارية ٠٠ فقد كانت (الاسكندرية) اذ ذاك مركزالتجارة، وأهم محور للاتصال بين ارجاء الامبراطورية الرومانية ٠ وكانت تزدحم باناس من مختلف الملل والأجناس ٠ على أن أشد ما أثار دهشة يوسف هو ما رآه من حال نساء (الاسكندرية) ٠٠ كان قد عهد نساء بلاده محتشمات ، يقبعن فى بيوتهن ٠٠ أما نساء (الاسكندرية) فكن يختلطن بالرجال ، وكن متأنقات ، متبرجات ، متحررات !

واذ غادر السفينة مع الطبيب الهندى « بانا جيفاكا » ، آثر الاثنان ان يسعيا الى الفندق سيرا على الأقدام ، ليستمتعا بمشاهدة معالم المدينة ٠ وأدرك يوسف لأول وهلة ان العثور على « مريم » فى هذه المدينة الهائلة ـ التى كانت تضم نصف

مليون نسمة ـ أمر متعذر • وازداد قنوطا حين أخفق فى لقاء مدير مسرح الاسكندرية فى اليوم التالى ، وحين عرف ان المسرح لم يضم يوما راقصة تدعى « مريم المجدلية » • واضطر الى ان يستعين برئيس كهنة اليهود ، فقدم اليه رسالة كاهن (اورشليم) • وأكرم الرجل وفادته ، ولكنه لم يستطع ان يرشده الى «مريم» ، وان نصحه بأن يبحث عنها فى (اليوسز) ، حى الطبقات الوضيعة ••

والتقى يوسف فى طريقه الى ذلك الحى بواعظ يخطب فى الناس ويدعوهم الى التوبة ، ويبشرهم بظهور المسيح • كما التقى بشخص يدعى « شالوم ماتات » ، بادره متسائلا : « ألست طبيب أورشليم ؟•• لقد التقيت بك مرة من قبل ، ولو انك لا تذكرنى ! » • وكان يوسف فى مسيس الحاجة الى صديق ، فحمد الأقدار اذ ساقت له هذا الصديق الذى كان يمارس التجارة فى « اليوسز » ، ورافقه الى متجره • وسأله عن « مريم المجدلية » ، ولكن الرجل قال له : « ليس بين اللاتى يعملن على المسرح من تحمل هذا الاسم •• وعلى كل ، فانى أدعوك الى ان ترافقنى الى المسرح فى الاسبوع القادم لرؤية أعظم راقصة فى الامبراطورية•• الراقصة فلامن!»

وأوفد التاجر«ماتات» بعد أيام عبدا يدعو يوسف كى يوافيه ، مصطحبا أدواته الطبية ، ليسعف مريضا من أصدقائه • فلما لبى يوسف الدعوة ، قاده التاجر اليهودى الى مكان كالجحر ، رطب ، يكاد المرء أن يختنق فى جوه • ودلف به الى باب طرقه مرتين ، ثم مرتين أخريين ، ففتحت كوة صغيرة أطل منها رجل لم يلبث أن فتح الباب وهو ينتهر « ماتات » ويعيره قائلا : « نحن نخاطر وأنت تستفيد ! » ، فأجابه التاجر : « وماذا يكون من أمركم لو اننى كففت عن بيع مسروقاتكم ؟ »

وفى الداخل ، رأى يوسف جماعة التفت حول موقد عليه قدر • وفى غرفة أخرى ، رقد كهل مريض ، والى جواره فتاة

مليحة الوجه تدعى « ألبينا » ، ما ان علمت ان يوسف طبيب حتى بشت فى وجهه ورحبت به ، فصاح شخص فى الغرفة : « انه يهودى مخادع ! » ، فقال المريض ليوسف : « ألا اغفر لابنى ، فانه عاق ! » ٠٠ وتبين يوسف ان الكهل مصاب بالتهاب رئوى ، وان لا بد من جراحة عاجلة لازالة الماء المتجمع فى الرئة ٠ وعارض الابن ، ولكن الكهل أصر على أن يفعل الطبيب ما رآه صالحا ، فأجرى يوسف الجراحة بمهارة أذهلت الحضور ، والفتاة ـ التى كانت راقصة بمسرح الاسكندرية ـ تساعده ٠ وأبى يوسف ان يتقاضى أجرا ، اكراما لصديقه « ماتات » ، ولكن الكهل أصر على اهدائه لؤلؤة ثمينة ٠ واضطر يوسف الى قبولها ، وهو يشعر بالابن يرمقه بنظرات تتقد حقدا ٠ وما لبث ان عرف ان الابن من لصوص الاسكندرية العتاة !

« مريم » ٠٠ على مسرح الاسكندرية !

◆ **ومع** ان يوسف أخفق فى العثور على « مريم » ، الا انه أفاد من دراسته ومرانه على أيدى أساتذة الطب

وبر « ماتات » بوعده ، فاصطحبه الى مسرح الاسكندرية ٠ وذهل الطبيب الشاب حين رأى المسرح يضيق على سعته بالرواد ، **فقد كانت « فلامن » ـ الراقصة ـ معبودة من الجماهير ! ٠٠ وقال « ماتات » لصاحبه انها كانت ـ رغم ما عرف عن بنات المسرح من تبذل ـ عذراء ، تقصى المتهافتين عليها من الرجال ، وان لم يزدهم هذا الصد الا طلبا لودها ، واغداقا عليها** ، فقال يوسف : « وكيف يتهافتون عليها اذا كانت تصدهم ؟ » ٠٠ فابتسم الرجل قائلا : « كان خليقا بك ـ وأنت طبيب ـ أن تفهم الطبيعة البشرية ٠٠ ان الرجل يزداد تهافتا على المرأة كلما أمعنت فى صده ٠٠ أما اذا استسلمت له ، فسرعان ما يملها ! ٠٠ وسواء أكانت « فلامن » عاهرة أو عذراء ، فانها فاتنة ، جذابة ، ذات طبيعة باردة ٠٠ لا يهمها

من الرجال سوى ما ينفقونه عليها ! »
وتوالت الرقصات على المسرح ، ثم لم يلبث ماتات أن قال : « لقد حان دور فلامن » ٠٠ وتساءل يوسف : « ماذا تراها تفعل حتى تستهوى الجمهور الى هذا الحد ؟ ٠٠ لعلها تبز زميلاتها فى ابراز مفاتن جسدها ! » ، فقال التاجر : « بل انها على النقيض ، لا تكاد تبدى شيئا من جسمها ٠٠ ولكنها رغم احتشامها تسلب برقصها البديع ألباب الناس ! » ٠٠ وان هى الا لحظة ، حتى انزاحت الستار عن منظر حديقة غناء ، ثم برزت من بين الزهور امرأة كأنها حورية من حوريات الجنة ! ٠٠ كانت ترتدى ثوبا ناصع البياض ، شد من وسطه وعند صدره بشرائط فضية ، بينما علا مفرقيها شعر ذهبى تتلألأ فيه الجواهر ، وقد أمسكت بقيثارة ٠٠ وبدت بين مشاعل المسرح كما لو كانت شعلة ! ٠٠ وجرت أصابعها على القيثارة ، وأخذت تنشد شعرا غزليا ٠ **وبهت يوسف ، واشتد وجيب فؤاده ، فقد كان الصوت مألوفا لأذنيه ٠٠ كان عين الصوت الذى سمعه قديما فى أحد شوارع (طبرية) !**

كانت هى « مريم » بعينها ، وقد ازدادت نضوجا ، وبهاء ، وفتنة ٠ وابتسمت لرجل من كبار رجال الحكم فى المدينة يدعى « بلوتينوس » ، قبل أن تنحنى للنظارة الذين هزوا المكان بتصفيقهم ٠ وقال « ماتات » يسأل يوسف : « أليست رائعة ؟ » ٠ فقال هذا : « بل انها أروع مما كانت قبل خمس سنوات ! » ، فهتف ماتات : « خمس سنوات ؟ ! ٠٠ أتعنى ٠٠٠ ؟ » ٠ فقال يوسف : « ان هذه المرأة التى تدعى فلامن فى الاسكندرية ، ليست سوى مريم فتاة المجدل التى أبحث عنها ٠ ويبدو أنها غيرت اسمها حتى لا يعرف الناس أنها يهودية ! » ٠٠ فقال ماتات : « **هذه حكمة منها ، فنحن اليهود غير محبوبين ، حتى فى الاسكندرية التى يزيد فيها عددنا عن أية جالية أخرى ٠ ثم انها لن تستطيع أن تتزوج من رومانى ، اذا عرف أنها يهودية ! » ٠٠**

واذ هدأ النظارة ، صدحت الموسيقى مرة أخرى بنغمات تحرك الاحاسيس ، فأخذت «مريم» تتثنى فى حركات تثير رغبة كل رجل ! ٠٠ وتلفت يوسف ، فرأى « بلوتينوس » يحملق فى الجسد الذى يتلوى بنظرات تطفح بالوله والاشتهاء ، ومن ثم أدرك أن الرجل لم ينل من «مريم» بعد وطرا ! ٠٠ واغتبط فى نفسه لهذا الاكتشاف ٠ حتى اذا انتهت الرقصة ، وغادرت الفتاة المسرح ، أعرب يوسف عن رغبته فى أن يقابلها ، فصحبه « ماتات » الى غرفة « فلامن » ـ خلف الكواليس ـ ولكن جنديا اعترضهما قائلا انّ « بلوتينوس » أمر بأن لا يقابلها أحد ٠ وأراد يوسف أن يجادله ، واذا بصوت أجش ينبعث من خلفه قائلا : «أما سمعت ما قال أيها اليهودى ؟» ٠٠ **وحاول يوسف أن يلح، فقال الرجل الذى لم يكن سوى بلوتينوس : «لن تقبل فلامن صداقة يهودى ! » ٠ وهنا قال يوسف : «اننا صديقان قديمان، وقد عرفتها فى الجليل » ، فصاح الرومانى ذو السلطان : «صه أيها الكلب اليهودى ! ٠٠ لا تدنس فلامن بادعائك ، فهى لم تسمع قط ببلادك اللعينة ! » ٠٠ وقبل أن يفطن يوسف ، هوت على رأسه ضربة من جسم معدنى مزقت جلد جمجمته ٠ فخر مغشيا عليه !**

وعندما أفاق يوسف ، ألفى نفسه فى غرفة يشيع فيها عطر شذى ، وتدل رياشها على أنها مخدع امرأة ٠ وكانت ثمة امرأة بالفعل ، فحسبها « فلامن » ، لكنه ما لبث أن تبين أنها « ألبينا » ٠ ونصحته الفتاة بأن لا يحاول رؤية « فلامن » فى المسرح مرة أخرى ، لأن ذلك الرومانى كان واسع النفوذ ، شديد المراس ٠ وأضافت : « اننى أعرف أنها نصف يهودية ، مذ وفدت على الاسكندرية ٠٠ وكنت الراقصة الأولى، فضممتها الى فرقتى ، ولكنها تفوقت على ! » ٠٠ فقال يستدرجها : «اذن فأنت تكرهينها ولا بد ؟ » ، فهتفت : « **من ذا الذى يستطيع أن يكره فلامن من أجل المواهب التى منحتها اياها الآلهة ؟ ٠٠**

انما يثير حنقى عليها أنها بلا قلب ! ٠٠ لقد خلقت المرأة لكى يجد الرجل بين ذراعيها راحة من عناء أعماله ٠ أما هذه المرأة، فانها تثير شهوة الرجل دون أن تشبعها ، بل انها تستغلها فى ابتزاز ذهبه ! » ٠٠ وقال يوسف ملهوفا : « اذن فهى حقـا لا تهب نفسها لمن يهيمون بها ؟ » ٠٠ ولاحظت «ألبينا» ما تجلى على أساريره ، فهتفت فى اشفاق : « أتحبها أنت أيضا ؟ » ، فقال : « لقد أحببتها منذ خمس سنوات ، لا كراقصة ، وانما كفتاة صغيرة طاهرة ! » ٠٠ ولم تصدق «ألبينا» أن « فلامن » كانت يوما ساذجة طاهرة ، فأخذ يبيـن لها أنها لا تعبث بالرجال الا انتقاما لشرفها الذى سطا عليه جندى رومانى ، فهتفت : « فهمت الآن لماذا تكره جميع الرومانيين ٠٠ أو ما زلت تحبها رغم هذا؟ » ، فقال مقتبسا من التوراة: « الصديق لن ينقطع حبه ، والأخ ولد للشدة » !

وأصلحت الفتاة الضمادة على جرحه وهى تقول : « اننى لم أعرف يهودا كثيرين فى حياتى ، ولكنى لا أملك سوى أن أرى فيك رجلا نموذجيا يا يوسف ٠ ليس من السهل أن أقول لك انه اذا كانت فلامن تعاملك كما تعامل غيرك من الرجال، فانه ليسعدنى أن أنجب لك أطفالا ، وان أسرى عنك متاعبك ! ٠٠ اننى راقصة ، ولكننى لست غانية كما يزعم الناس ، بل أقسم لك اننى لم أضاجع قط رجلا ! » ٠٠ ولكن يوسف كان لا يملك قلبه ! ٠٠ ومن ثم وصفت له الفتاة موقع « فيلا » فلامن ، على ضفة بحيرة (مريوط) ، وقالت : « على أن الباب تحت حراسة جنديين من قبل « بلوتينوس » ، فيحسن أن تتسلل من البحر الى حديقة القصر خلال باب خلفى »

قبلة فى الظلام !

◆ **ذهب** يوسف بعد ظهر يوم من أيام الشـتاء الى دار « مريم » ، بعد ان استكمل شفاءه ٠ وكانت القصور المتناثرة

على ضفاف بحيرة (مريوط) من أفخم قصور المدينة ٠ وتسلل يوسف من الباب الخلفى ، وسار بين الأشجار ٠ وفجأة ، أحس بيدين تطوقان عنقه ، وسمع صوتا مألوفا يقول : « ما الذى أتى بك الى هذا المكان الذى لا يلاقى فيه أى متسلل الا حتفه ؟ » ٠٠ وكان « هادجا » ـ رئيس الفرقة الموسيقية ـ صاحب الصوت واليدين !

وراح الموسيقى يروى ليوسف كيف ان « مريم » تمادت فى الثأر لنفسها من الرومانيين ، وتكديس ذهبهم ٠ وقاده الى غرفة « ديمتريوس » ، فاذا اليونانى البدين قد أصيب بغشاوة على عينيه ٠ واغتبط الرجل بلقاء يوسف ٠ وما ان سمع بما أصاب الشاب على يدى « بلوتينوس » ، حتى هتف : « لشد ما أخشى على فلامن منه ٠٠ بل لشد ما أخاف على مريم من روح الكراهية التى استولت عليها ! ٠٠ اننى رغم توفر الطعام والشراب أشعر بأن أيام السعادة ولت ، وأتحسر على المجدل !» ٠٠ وفحص يوسف عينى الرجل فتبين ان ثمة أملا فى رد بصره اليه ، اذا أجرى له جراحة فيهما ٠ وأقبلت مريم اذ ذاك فى ثوب أظهر مفاتنها ، فلما رأت يوسف حيته ، ثم احتضنت الشيخ وراحت تبكى حين علمت بالأمل الذى بشره به يوسف

وفى الحديقة ، روى يوسف لمريم ما جرى له على يدى « بلوتينوس » ، وراح يلومها على تنكرها لأصلها ، فقالت : « ان غاية ما فعلت هو أنى احتفظت بسرية أصلى اليهودى ! » **٠٠ وراحت تدافع عن فعلتها بحرارة ، مبينة كيف يكره الرومان اليهود ، وكيف أن أبواب النجاح كانت خليقة بأن تغلق دونها لو عرف القوم أنها يهودية !** ٠٠ وسألته أخيرا عما أتى به الى الاسكندرية ، فقال : « جئت لاننى أحبك ، فأردت أن أعرف ما اذا كنت لا تزالين على حبى ؟ » ٠٠ ولكنها قالت له : « خير لك ان لا تحبنى ، ففى حبى شقاؤك ٠٠ عد الى أورشليم ، وانس انك عرفت فتاة تدعى مريم المجدلية ! » ٠٠ وأمسك بذراعها ،

وأدار وجهها نحوه فى ظلام الحديقة ، ثم قال : « سأرحل فى الحال لو أنك أقسمت أنك لا تحبينني » ٠٠ ودفنت وجهها فى صدره ، ثم انخرطت فى البكاء ! ٠٠ **وضمها اليه ، وطبع على شفتيها قبلة طويلة٠٠ وعاد يقول : « ألا عودي معي الى أورشليم كزوجة ! »** ٠٠ **فقالت : « لست أملك أن أذهب معك كزوجة مادام في كياني جزء يعيش على كراهية جايوس فلاكوس ! ٠٠ انني لا أغدو جديرة بحبك اذا أنا لم أقتله برا بقسمي ! لقد أصبحت كراهيتي لهذا الرجل ـ وللرومانيين جميعا ـ مرضا يضني نفسي ، ولا شفاء منه الا اذا قتلته بيدي ! »** ٠٠ وعرف انها كانت ماضية فى خطتها قدما ، وما كانت صداقتها لبلوتينوس الا لتستعين به على الوصول الى غريمها ٠ وبالفعل، استطاع الرجل بنفوذه ان يحصل من الامبراطور على قرار بتعيين « جايوس فلاكوس » فى الاسكندرية ٠ وعبثا حاول يوسف ان يحول « مريم » عن الثأر والقتل ، فقد كان الحقد والكراهية يفريان قلبها !

واستطاع يوسف ـ بمساعدة صديقه الطبيب الهندى «جيفاكا» ـ ان يرد الابصار الى عينى ديمتريوس ، فكادت « مريم » تجن فرحا ، وراحت تعانق يوسف وتقبله ٠ واستطاع الشاب ان يخلو اليها مرة أخرى ـ فى الحديقة ، وبين طيات الظلام ـ ليعاود محاولة اقناعها بالعدول عن رغبتها فى الانتقام ٠ وراح يقول لها : « أنسيت نصائح أنبياء شعبنا؟ ٠٠ حاولى أن تنتزعى روح الكراهية التى تغلغلت فى نفسك ٠ ان قتل جايوس فلاكوس والقضاء على الرومان انتقاما لحبهم لك ورغبتهم فيك ، لن يعود عليك بالسلام والسعادة كما تظنين ٠٠ فان السلام والسعادة لا يأتيان الا عن طريق التسامح ، فاغفرى ذنب جايوس فلاكوس ٠٠ وتذكرى انه محبوب من الامبراطور ، كما انه ابن شقيقة « بيلاطس » ، ولن تستطيعى ان تقتلى رومانيا بارزا كهذا وتحتفظى بحياتك !» ٠٠ قالت له : « حتى وان كان القانون يبيح لى ذلك ؟ » ٠٠

فسألها : « أى قانون يبيح لك القتل ؟ » ، فقالت : « **ان شريعة اليهـود تقول : « ان وجد أحد فتاة فى الحقـل مخطوبة لرجل ، وتعدى على حرمتها عنوة ، فعقابه الموت » !٠٠ والناموس ينص على ان حياة المعتدى ملك لمن كانت الفتاة مخطوبة له ٠ وبما انك لم تزهق روح جايوس ، فقـد آليت على نفسى ان أتولى ذلك بيدى !** » ٠٠ وحاول ان يجادلها ، فصاحت فى غضب : « انك لم تجسر على قتله لأنه رومانى ٠٠ أما أنا فلست أحفل ! » ٠ وبدت رائعة فى غضبها ٠ وفكر فى انه قد يستطيع انقاذ الرجل، وانقاذها هى من تبعة قتله ، لو انه عرف الخطة التى تعـتزم ان تنفذ بها القتل ٠ ولكنها أبت ان تبوح بشىء ٠٠ كل ما قالته هو : « لسوف تشهد الاسكندرية انتقامى فى ساعة معينة ٠٠ لقد نقل جايوس الى الاسكندرية ، وسيصل بعد أسابيع قليلة ليشغل وظيفة قائد جميع الجيوش الرومانية هنا ! »

« المعلم » ٠٠ الذى يبشر بالرحمة والتسامح !

◆ **ذهب** يوسف ذات مساء مع « ديمتريوس » الى المسرح ، فبهر الطبيب الشاب اذ رأى ان « مريم » كانت ترقص فى ابداع لم ير له مثيلا من قبل ! ٠٠ وتتبع يوسف نظراتها ، فاذا بها تتجه الى مقصورة محافظ المدينة ٠ وأجفل يوسف حين رأى فى المقصـورة « جايوس فلاكوس » ، فى أبهى آيات جمـاله ! ٠٠ وأسرع يوسف مع الشيخ ــ عقب الرقص ــ الى غرفة الفتاة ٠ وهتف الشيخ وهو يحتضنها : « لقد أبدعت ، فلم يعد ثمة من تضارعك ٠٠ لقد نلت ما تشتهين ! » ٠٠ فقالت : « كلا ٠٠ لم أنل بعد كل ما أشتهى ، ولكن مناله أصبح وشيكا ! »

وازيحت الستار عن باب الغرفة اذ ذاك ، وأقبل « جايوس فلاكوس » يتعرف اليها ، ويطريها ٠ ولكنه ما لبث ان عرف يوسف و « ديمتريوس » ، فأخـذ يحملق فى « مريم » قائلا : « محال ان تكونى تلك الفتاة التى عرفتها ترقص فى طبرية ٠

لقد ازددت جمالا وفتنة ، فلا عجب فيما يقال عن تهالك رجال الاسكندرية على قدميك ! » ، فسألته : « وأنت ؟ » ٠٠ فقبل يدها مبتسما ، ثم قال : « سأكون بلا شك فى زمرتهم ! »

وساءت صحة « ديمتريوس » بعد ذلك ، وأضناه مرض الاستسقاء ـ انتفاخ البطن ـ وارتفاع ضغط الدم ٠ وفى ذات يوم ، كان يوسف يعوده ، فحلا للشيخ ان يستبقيه ويبحث معه اصرار « مريم » على ان تنتقم لنفسها من«جايوس فلاكوس»، فقال الشيخ : « لا سبيل الى تحويلها عن هذا ٠٠ ومن ثم فغاية ما أتمناه منك ، هو ان تهرب بها بعد القتل ، لتقيها الموت ٠ عد بها الى (أورشليم) أو أذهب بها الى الهند أو أى بلد ٠ ان منيتى قد اقتربت ، ولن أعيش طويلا ، وكم أود ان أرى مريم فى كنف شخص طيب يهتم بها بعد موتى ! ٠٠ لكن ، لا تبت فى الأمر الآن ، بل فكر مليا ! »

ولبث يوسف يسائل نفسه : أيحب مريم حقا الى درجة تحمله على ان يتخلى عن مبادئه ويساعدها على الجريمة ؟٠٠ وهل يساوى حبها ان يضحى ببلاده ، وثروته ، وشهرته ، ليفر بها بعيدا عن الامبراطورية الرومانية عقب الجريمة ؟ ٠٠ و هب انه لم ينقذها ، فما قيمة الحياة بدونها ؟٠٠ على ان الشريعةاليهودية كانت تبيح لخطيب الفتاة المعتدى على عفافها ان ينتقم لها ٠ ولقد ناقش مع رئيس كهنة اليهود ـ فى الاسكندرية ـ هذا الأمر ، قائلا : « لكننى لا أستبيح لنفسى قتل انسان ما ، مهما يكن السبب » ، فقال الكاهن : « **أنت على صواب فى هذا ٠ وما أراك الا متبعا فى سلوكك معلما من (الناصرة) يدعى « يسوع » ، يبشر الآن فى مدن (الجليل) ٠ فان هذا المعلم لا يحرض الشعب ضد (روما) ، وانما هو يعلمه الاحتمال ، والمحبة ، والرحمة ، والتسامح !٠٠ ان معلم (الناصرة) هذا صغير السن ، ولا يدرى أحد من أين له كل هذه الحكمة ! ٠٠**

لقد تنبأ « أشعياء » النبي عن شخص سيأتى متواضعا ، ثم يقاسي ويتألم من أجل الخطاة ! »

انتقام رهيب ٠٠ ولكن ؟!

◆ **استفحل** الداء بديمتريوس ، حتى حانت منيته أخيرا ، فأوصى يوسف بأن يرعى « مريم » ، وان يتزوج منها بمجرد انتقامها لنفسها ! ٠٠ وبكت « مريم » تأثرا ، وهى تستعرض ما سيتكبده يوسف من أجلها ٠ ومات « ديمتريوس » فى هدوء وسلام !

وانقضى الشتاء ٠ وفى أواخر مارس ، تأهبت الاسكندرية للاحتفال بعيد « ديونيسيا » ، وهو عيد الاله « ديونيس » الذى كان مقدسا لدى كثير من المذاهب ، ومن ثم كان عيده هذا مناسبة لمهرجانات قومية تستمر لمدة ثلاثة أيام وثلاث ليال ، ويبيح فيها الناس لأنفسهم السكر والخلاعة ! ٠٠ وفى الليلة الأخيرة ، كانوا يختارون من الرجال من يمثل دور « ديونيس » ، ومن النساء من تقوم بدور « افروديت » ، ويعقد بينهما زواج صورى ، ثم تتظاهر الزوجة بقتل الزوج، فيموت ، ولا يلبث ان يبعث مرة أخرى ، رمزا لموت البذرة - أساس الحياة - بعد غرسها فى الأرض ، ثم سريان الحياة فيها من جديد لتثمر وتينع ٠٠

واختيرت فلامن لتمثل دور « افروديت » ٠٠ اما دور « ديونيس » ، فقد عهد به الى « جايوس فلاكوس » ! ٠٠ واذ ذاك ، أدرك يوسف الخطة التى وضعتها « مريم » للثأر ، بل انه أدرك ان الضابط الرومانى لم يختر لدور « ديونيس » الا بتدبير من « مريم » ! ٠٠ ووقف يوسف ، و « جيفاكا » - الطبيب الهندى - و « ماتات » يرقبون المشهد عن بعد ٠٠ كانت كل فنون الاسكندرية قد سكبت فى اخراج المهرجان ٠ وعندما دخل الزوجان المخدع الذى أعد لهما على المسرح ،

اشتدت لهفة الجمهور على تتبع حركاتهما التى كانت تلوح خلال ستائر شـفافة !٠٠ وود يوسف لو صرخ لينبه « جايوس فلاكوس» ، ولكن ٠٠ كيف يصل صراخهاليه وسط الهياج ؟٠٠ وتعـانق الزوجان ، فاذا الصخب يستحيل الى هدوء ، وقـد أمسك القوم أنفاسهم ٠٠ **وفجأة ، انبعثصراخ من «ديونيس»، فجمد الشعب وهو لا يزال مأخوذا بروعة التمثيل ٠٠ وانتبه القوم حين رأوا « فلامن » تبادر الى الفرار ٠٠ وانجابت غشاوة الأحلام - التى أثارها التمثيل - عن الأعين ، فاذا بهـا ترى خنجرا حقيقيا فى صدر « جايوس » ، ودما حقيقيا - أيضا - ينساب من صدره !**

واندفع يوسف الى حيث لاذت مريم ، فاذا بهـا قد طعنت نفسها بخنجر آخر ، ولكنه سرعان ما استبان أن جرحها لم يكن عميقا ٠ وعبثا حاول ان يقنعها بالفرار ، فقد أصرت على ان تقتل نفسها ، لولا أن لحق بهما « جيفاكا » ، فعمد الى شل ارادتها بالتنويم المغناطيسى

وفى تلك الأثناء ، أسعف « جايوس » بالعلاج ، لا سيما وقد تبين ان « مريم » لم تستطع فى اضطرابها ان تغمد الخنجر تماما فى صدره٠ وكان «بلوتينوس» أشد مايكون هياجا٠ وانطلق مع « جايوس » - وحولهما الحرس - يبحثان عن « مريم » ، فاذا هى ملقاة على الأرض ، جريحة ، فاقدة الحركة ، بعد ان نومها الطبيب الهندى ٠ ولم يتردد يوسف فى ان يصـارح « بلوتينوس » بأن الفتاة انما حاولت أن تثأر لعرضـها الذى هتكه « جايوس » ، ولكن « بلوتينوس » صاح : « لكن شريعة اليهود لا تقيدنا معشر الرومان ٠٠ انها قاتلة ! » ٠٠ ثم أمر الجنود بأن يدفنوها فى قبور المجرمين ، فى نفس الليلة !

مريم ترقص عارية ٠٠ أمام شعب الاسكندرية !

◆ دفنت « مريم » بالفعل فى قبور المجرمين فى ذلك المساء ، ثم ترك جندى شاكى السلاح ، ليحرس القبر ٠ وظل يوسف و « جيفاكا » و « هادجا » حول

المقبرة زمنا ، يفكرون فى طريقة للاستيلاء على جثة « مريم » . على ان الأمر لم يحيرهم طويلا ، فما ان اشتدت ظلمة الليل وبرودته ، حتى تقدم يوسف يذكر الجندى بما فى المدينة من أضواء وخمر ونساء .. ثم سأله ان يدعه يبكى خطيبته بقية الليل ، ونفحه بمبلغ من الذهب كى يسرى عن نفسه !

وهكذا سرق الثلاثة جثة « مريم » ، ولم يجدوا مكانا ينقلونها اليه سوى بيت « ألبينا » ، أو بالأحرى ، بيت الشيخ « اخيلاس » أبيها ، اللص ، الذى كان يوسف قد أنقذه من المرض فى بداية عهده فى الاسكندرية . وهناك ، تعاون يوسف و « جيفاكا » على ايقاظ « مريم » من النوم الذى أسلمها اليه الطبيب الهندى ، وعلى تضميد الجرح الذى كانت قد أحدثته فى صدرها . وتلفتت مريم حولها ، فرأت السعادة تطفر على وجــوه الرجال الأربعة : يوسف وجيفاكا وهادجا واخيلاس .. ولكن وجها آخر كان ينفث من الحقد ما غام على سعادة الجميع .. ذلك كان وجه « ماثينو » ، ابن الشيخ صاحب الدار . وهو نفس الشاب الذى كان قد أبدى ليوسف عداء منذ أول لقاء بينهما ، لانه أنقذ حياة « اخيلاس » من الموت ، ففوت على « ماثينو » فرصة تزعم العصابة التى كان « ماتات » يتولى بيع مسروقاتها !.

وما لبث يوسف ان أوفد هادجا الى « ماتات » فى طلب مبلغ كان قد استأمنه عليه ، كما كلفه أن يجمع من دار « مريم » ثيابها ومجوهراتها ، وان يستأجر لهم مركبا يهربون عليها . بيد ان « هادجا » عاد بعد ساعات مهموما ، فقد تبين ان « بلوتينوس » اتخذ من اعتداء « مريم » على « جايوس » فرصــة لاضطهاد اليهود جميعا ، وتأليب الشعب عليهم . ولما كان مدينا لمرابى اليهود بمبالغ فادحة ، فقد كان فى القضاء عليهم خلاص له من ديونه ! .. وفيما هم يتدبرون الموقف ، أقبل « ماتات » فى صحبة « ألبينا » ، فرويا كيف انطلق الرومان يعيثون فى المدينة فسادا ، ويؤلبون الجماهير ، ويعتدون على اليهود ، ويحطمون دورهم ومتاجرهم ثم ينهبونها

واشتد الخطر حين انتبه القوم الى ان « ماثينو » قد تسلل ليفضح للرومان وجود « مريم » على قيد الحياة !.. ورأى يوسف ان فى يده وحده انقاذ مريم ويهود الاسكندرية ، فاستغل فرصة نوم الفتاة ، وأوصى أصحابه بها ، ثم تحول يغادر الدار . وهتفت ألبينا متوسلة اليه : « سيقتلونك لا محالة يا يوسف ، فان الشعب يمزق كل يهودى يعثر عليه فى الطريق ! » .. بيد ان يوسف انطلق - غير حافل بالخطر - الى المسرح ، حيث كان الرومان قد جمعوا رئيس كهنة اليهود وكبار أبناء الطائفة ، ليعذبوهم ! .. ولم يكن ليوسف من معين سوى ضميره ، وسوى ايمانه ! .. كان ثمة صوت يهمس فى أعماقه بكلمات الرب على لســان النبى اشعياء : « لا تخف ، لأنى معك .. لا تخشى ، فأنا الرب الهك ، أقويك ، وأعضدك ، وأمسكك بيدى اليمنى » ! .. ووجد المسرح

يغص بالجماهير الفائرة ، والهتافات تتردد فى أرجائه : « الموت لليهود ! » ..
وهتف فى الكتل المتراصة أمامه : « خذونى الى بلوتينوس ، فان لدى نبأ بشأن فلامن ! » .. وسرعان ما كان على منصة فى صدر المسرح ، وقف عليها رئيس كهنة اليهود وزعماؤهم أمام «بلوتينوس» الذى كان يلعب بمشاعر الشعب المحتشد

وصاح بلوتينوس فى زعيم اليهود ، الذى كان الحراس الرومان يوسعونه لكما : « اعترف بجرائمك ! » .. فتقدم الرجل قائلا : « أليس للعدالة الرومانية من أثر فى الاسكندرية ؟ » ، فضرب « بلوتينوس » الكاهن بظهر يده ، وراح يتهمه واليهود جميعا بتهريب « فلامن » ، القاتلة .. فصاح الكاهن : « ومن القتيل ؟ .. أهو هذا ؟ » . وأشار الى « جايوس » الذى كان يجلس الى جوار الرومانى الثائر ، فضحك الشعب . وعاد الكاهن يقول : « قل للشعب الحقيقة ! .. قل انك اقترضت من اليهود مبالغ طائلة أنفقتها على النساء ، والمجون ، والعربدة ، وانك تريد القضاء على اليهود تهربا من ديونك ! » .. وهم بلوتينوس بأن يبطش بالكاهن الشيخ، لولا ان قفز يوسف بينهما وصاح : « أنا المسئول عن اختفاء فلامن ، ولا يعلم أحد من اليهود شيئا عنها ! » .. ثم استدار مواجها الشعب ، وقال مشيرا الى جايوس : « سلوا الضابط جايوس فلاكوس : لم حاولت تلك المرأة التى تدعونها فلامن ـ فى حين أن اسمها مريم المجدلية ـ قتله ! » .. واضطرب جايوس ، واعتراه الخوف . فقد كان من السهل تحويل مشاعر الجمهور الثائر ، الذى تحركت حيوانيته ، فأصبح ينشد فريسة يبطش بها ! .. وصرخ يوسف قبل ان يعترضه بلوتينوس وحراسه ـ وقد رأى ان يكسب اليونانيين الى صفه ، فيؤلفوا مع اليهود أغلبية فى الشعب : « ان الدماء اليونانية واليهودية تمتزج فى عروق فلامن .. وما يحقد عليها بلوتينوس الا لأنه لم يستطع ان يشتريها بالأموال التى اقترضها من اليهود ! .. لم يستطع ان يشترى الفتاة التى اغتصبها جايوس فلاكوس فى صغرها ، فأرادت أن تثأر لشرفها وفقا لشريعة اليهود !.. ان اليونانيين يتغنون بالعدالة عندما يكون الأمر فى صالحهم .. أيها اليونانيون ، أتتركون رومانيا يفتك بالأبرياء ليتخلص من ديونه ؟! » .. وهتف الشعب ليوسف ، ولكن « بلوتينوس » دفعه جانبا ، وأخذ يحرض القوم على اليهود . ومرة أخرى ، ثارت المشاعر الهوجاء ضد اليهود ، فتسلق البعض جوانب المسرح لينكلوا بزعمائهم الواقفين بين الحراس . وأظلمت الدنيا فى عينى يوسف ، وأدرك ان الأمر قد أفلت من يديه ، وتملكه اليأس . وفجأة ، سرت بين الشعب حركة غريبة ، فاذا الهياج ينقلب سكونا ، واذا الانظار تتطلع ملهوفة الى المسرح . والتفت ، فرأى الستار تنفرج . وانبعث صوت قيثارة كان بوسع يوسف ان يميزها بين آلاف القيثارات .. ثم ظهرت امرأة فى ثياب شفافة ، وقد تألق

جسدها البض تحت أضواء المشاعل ، وتهدل شعرها الذهبى على كتفيها ،فبدت ككتلة متوهجة ٠٠ وهتف الشعب : « فلامن – افروديت ! » ٠٠ وأقبلت الفتاة تتغنى بشعر غرامى ، وتتمايل فى رقص لم يسبق للاسكندرية ان رأته ٠٠ بل لم يسبق لمريم ذاتها ان رأته الا مرة واحـدة ، عندما شاهدت « ثيتس » – الجارية – ترقص فى قصر « بيلاطس » ٠ كان رقصـا يثير فى الانسان كل شهواته ! ٠٠ وراحت تنضو الثياب عن جسدها قطعة اثر قطعة ، حتى غدت عارية الا من زنار ذهبى أحاط بحقويها !

مريم تدفع حريتها ٠٠ ثمنا لانقاذ يوسف !

◆ وكأنما مس القـوم جميعا سحر قوى اسـتولى على كل ما لديهم من احساس ووعى ! ٠٠ وأدرك يوسف ان الفرصة سانحة ، فهمس الى أقرب أسير يهودى : « تسللوا جميعا ، وأثيروا اليهود فى كل مكان ، وتسلحوا ، وتحصنوا فى مساكنكم ! » ٠٠ وكان يدرك أن لا سبيل لبلوتينوس – فى مثل هـذه الحال – للبطش بهم الا باستخدام الجنود المسلحين، وهو آخر ما يمكن للامبراطور ان يغفره لأحد من عماله !

وارتج المكان بالهتاف والتصفيق حين انتهت « فلامن » من رقصها ٠ وأقبلت « ألبينا » من خلفها فأسبغت على الجسد العارى وشاحا يستره ٠ وحيت مريم الجمهور ، ثم جرت الى يوسف ، وألقت بنفسها على صدره ، ثم همست له بأنها أدركت – حين استيقظت – نبل تضحيته لانقاذ يهود المدينة ، فجاءت تنقذه !٠٠ وقبلها يوسف غير عابىء بكل شىء حوله ٠ وراح القوم يهتفون : « فلامن ! ٠٠ فلامن ! » ٠٠ وجمد « جايوس » وقد علق بصره بالجسد الفاتن ! ٠٠ شخص واحد من الحضور هو الذى فطن الى ما يجرى وراء هذا السحر ٠٠ فقد اكتشف « بلوتينوس » اختفاء الأسرى اليهود ، فالتفت الى « يوسف » يسأله ٠٠ ولم يكذبه الشاب ، فقال له انهم ذهبوا ليعتصموا فى دورهم ! ٠٠ وجرد الرومانى سيفه صائحا : « اذن ، فسوف أقتلكما بيدى ! » ٠٠ وجاءت النجدة اذ ذاك من « جايوس فلاكوس » ، اذ أمسك بيد زميله قائلا : « يا للحماقة ! ٠٠ لسوف يمزقك الشعب اذا مسست معبودته ! ٠٠ ولكن اذا شئت فاقتل الرجل ! » ٠٠ فهتفت مريم : « أنا المسئولة عن كل ما حـدث ، والذنب ذنبى ! » ٠ ولـكن « بلوتينوس » صاح فى يوسف : « اجث أمامى ، فسوف أطيح برأسك ! » ٠٠ ورفض يوسف أن يجثو ، وظل واقفا رافع الرأس فى شمم ، ولكن جنديين من الرومان أجبراه على الركوع ٠ والتفتت « مريم » فى قنوط تبحث عن منقذ ، فوقعت عيناها على « جايوس » ٠٠ ودار ذهنها فى نشاط وعجلة ، ثم تقدمت منه هاتفة : « انقذ يوسف أكن لك عبدة ما حييت ! »

وتردد « جايوس » ، فعادت تهتف : « كل ثروتى ملك لك ولبلوتينوس ، اذا أبقيتما على يوسف ! » ٠٠ وفعلت كلماتها فعلها فى نفس الرومانى الجشع ٠ وصاح يوسف متوسلا الى « مريم » أن ترجع عن تضحيتها ، ولكنها قالت : « أنا المسئولة وحدى عن الجريمة!» ٠٠ وهكذا أبرمت الصفقة !٠٠ وأمر «بلوتينوس» جنوده بأن يحملوا يوسف الى أول سفينة تبرح الاسكندرية

وكان آخر منظر شهده يوسف ، منظر « مريم » وهى جاثية بين الرجلين ،وقد بسطت ذراعيها نحوه مودعة ٠ وهكذا باعت نفسها جارية من أجل حريته !

« الخاطئة » ٠٠ تتبع تعاليم « يسوع » !

◆ **أقبل** خريف جديد على (اورشليم) وقد اشتدت وطأة الرومان على البلاد ، واستفحل بطشهم باليهود ٠ ولم يكن لهؤلاء من ملاذ سوى « الهيكل » ٠٠ المعبد الذى أحالوا ساحته سوقا ، فطغت روح التجارة على جوهر العبادة ، وبدد رنين النقود حرمة الدين !

ووقف يوسف ذات صباح فى حديقة داره يستعرض فى بهائها رؤى حديقة أخرى فى المجدل ، يلوح خلال زهورها طيف فتاة ذات شعر ذهبى متوهج ، وصوت عذب جميل ٠ كان قد انقضى على انتزاعه من أحضان مريم ستة أشهر ونصف ، كأن كل يوم فيها جيل كامل ! ٠٠ وكان يدرك أنها قريبة منه ٠ اذ كان « جايوس » قد نقل الى (صفورة) ـ عاصمة الجليل ـ قائدا للقوات الرومانية ٠ ولكن يوسف كان يشفق من أن يسعى الى حبيبته ، خشية أن يزيد من شقائه وعذابها ! ٠٠ وقنع بانتظار أنبائها ٠

كانت « مريم » تعيش مع « جايوس » كمحظية ، فكان أبناء طائفتها يرمونها بأنها زانية ، دون أن يدركوا التضحية النبيلة التى كانت تعيش فيها ! ٠٠ وكان الرومانى يسرف فى اذلالها، وفى تحطيم كبريائها ، فيدهشه تجملها بالصبر ، وتحملها للأسى ! ٠٠ وكان يوسف أكثر دهشة من « جايوس » ٠ كانت الأنباء تجمع على أن مريم ـ فى تجلدها هذا ـ لا تبدى لسجانها

كراهية ولا حقدا ٠٠ وقال زائر ليوسف في ذلك الصباح : « **ان ما تتجمل به مريم من دعة ، وصبر ، وتسامح ، هى عين المبادىء التى يدعو اليها يسوع الناصرى ! ٠٠ ان الناس ينضوون تباعا تحت لواء هذا المعلم الشاب !** » ٠٠ **فسأله يوسف : « هل سمعته ؟ » ٠٠ فقال الزائر : « أجل ٠٠ سمعته يقول : طوبى للمساكين بالروح ، لأن لهم ملكوت السموات ٠٠ طوبى لكم اذا عيروكم وطردوكم ، وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلى كاذبين ، افرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم فى السموات » !**

وقال الزائر ـ وكان من كبار رجال الدين : « لقد بلغ من سلطانه على الناس ، حدا جعلهم يتهامسون بأن اليهود لن يلبثوا ـ اذا ما أمرهم ـ أن يهبوا للتحرر من استعمار روماونيرها !٠٠ ولقد دعوت مجلس الكهنة لأدلى اليهم بتقرير عن الرجل ٠ اننى لم أسمعه قط يحض على الثورة ٠٠ وان تعاليمه لتوحى بأنه أحد الأنبياء الصالحين ، ان لم يكن « مسيا » ـ المسيح ـ المنتظر ! »

« أحبوا أعداءكم ٠٠ وصلوا لأجل الذين يسيئون اليكم » !

◆ **فوجىء** يوسف بعد أسبوع بمريم توفد اليه «هادجا» يدعوه لاسعاف «جايوس فلاكوس» ٠ وفى دار المريض، سر يوسف حين التقى بكلوديا بروكيولا ـ زوجة بيلاطس ـ التى أنبأته بأن « جايوس » أهمل جرحا أصيب به فى سقطة عن جواده ، فاذا الجرح يتفاقم ٠ ودهش يوسف حين علم أن « مريم » قد غفرت لمعذبها ، فقالت كلوديا : « **يبدو أن لتعاليم يسوع قدرة على تغيير الطبيعة البشرية !** » ٠٠ وزاده دهشة أن عرف أن « مريم » ـ بل وكلوديا نفسها ـ من أتباع المعلم الشاب !

وفى غرفة المريض ، رأى امرأة جاثية فى أحد الأركان، تضرع الى الله وتبتهل ٠ وكان الأسى يضفى على وجهها الشاحب بهاء وفتنة ٠ وما ان انتبهت الى وجوده ، حتى أسرعت اليه ، فطبعت

على خده قبلة ، وضغطت يده وقد مالت بجسمها نحوه لحظة ، والتمعت عيناها ببريق دله على أن حبه لا يزال يسكن قلبها . وقالت حين أبدى دهشته من صلاتها لأجل معذبها : « **لقدقال يسوع : أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ،أحسنوا الى مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون اليكم ويضطهدونكم** » !

وعالج يوسف الرومانى المريض ، ثم تناول عشاءه فى الدار . وأدهشه أن يرى أن « مريم » تستمتع بمكانة سيدة الدار ، رغم أنها جارية ، وأنها محبوبة ومحترمة من جميع من فى الدار . وروت له نبأ الانقلاب الذى طرأ على حياتها منذ أخرج « المسيح» تلك الأرواح الخبيثة التى كانت تسيطر عليها، فعمرت الطمأنينة والسلام نفسها . ولم تعد تبـــالى بما يرميها الناس به ، ولا باذلال « جايوس » لها ، اذ امتلأ قلبها بالتسامح والصبر ! .. وساءت حال « جايوس » فى تلك الليلة، ولم تفلح جهود يوسف فى انقاذه ، فمات فى الفجــر . وشـــيع جثمانه فى موكب عسكرى . وسارت « مريم » فى الجنازة وسط العبيد ، متشحة بثوب أسود أبرز جمالها . وكان شعب (الجليل) يرقب الموكب فى حقد وتشف . فلما مرت بهم « مريم » ، بصقت عليها امرأة، وهى تردد : « عاهرة ! .. عاهرة ! » .. وحز فى نفس يوسف أن يرى « مريم » ــ وقد تخلصت من اذلال «جايوس» ــ تتعرض لاضطهاد الشعب ، وهى التى ضحت بحيـــاتها لانقاذ يهـــود الاسكندرية !

من كان منكم بلا خطيئة ... !

◆ **افتقد** يوسف ــ بعد الجنازة ــ مريم ، ثم ألفاها فى حديقة الدار ، مضطجعة فى اعياء . واذ انتبهت لوجوده ، ابتسمت ، وألقت بنفسها بين ذراعيه قائلة : « ما أتعس الحياة بغيرك ! .. لكم ندمت لأننى لم أعمل بنصائحك حين كنا فى المجدل ! » .. وسألها أن تعود معه الى (اورشليم) ، فقالت : « دعنى أتطهر

زمنا حسب شريعتنا اليهودية ٠ سأقضى الشتاءفى دارنا القديمة، أتطهر بالصلاة وبسماع تعاليم المسيح ، ثم نتزوج فى أوائل الربيع ! » ٠٠ واطمأن الى وجودها فى رعاية « هادجا » ، فلم يشأ أن يعارضها ٠ وبادر بالرحيل الى (كفرنا حوم) ، اذ كان « بيلاطس » قد كلفه بأن يتحرى عما قيل من أن « يسوع » رد الحياة الى احدى فتيات هذه القرية !

وفى أثناء عودته من (كفرنا حوم) ، مر بدار «مريم»فاذازحام شديد حول الدار ٠ وعلم أن الشعب قبض على «مريم» كي يرجمها كزانية ، فصرخ ملتاعا : « مريم ! ٠٠ هل تحررت اليوم من عبوديتك لتقعي فريسة فى أيدى هؤلاء المجانين ! » ٠٠ وشق طريقه وسط الحشد ، فاذا « مريم » تقف مستندة الى باب دارها،



توبة الخاطئة « مريم المجدلية » : لوحة عالمية للرسام « تيسيان »

وبجوارها « هادجا » • ولم يكن يبدو عليها أثر للخوف ، بل ان نظراتها لم تتحول عن المسيح الذى كان يقف وسط القوم • وسأله « الفريسيون » : « يا معلم ، هذه المرأة زانية ، وشريعة موسى تقضى برجمها ، فماذا تقول ؟ » •• وكانوا فى الـــواقع يرمون الى استدراجه، فاذا أقر رجمها ، كان محرضا على الرجم، وان أمر بتركها ، كان فى مشورته خروج على ناموس الشريعة ! •• ولكن يسوع لم يجب لفوره ، بل انحنى يخط بأصبعه على الأرض كلمات ، ثم رفع رأسه وقال فى لطف ووداعة : « **من كان منكم بلا خطيئة ، فليرجمها أولا بحجر !** » •• وعاد يخط بأصبعه من جديد على التراب ، فلما تبين القوم ما خطــه على الأرض ، بهتوا واستولى عليهم الوجوم • فقد رأوا خطاياهم مسجلة على التراب ، فأحسوا بالخجل والخزى ، وراحوا يتسللون تباعا !

ولم يبق سوى «مريم» و «هادجا» و «يوسف» و «المسيح» • والتفت « المســـيح » الى مريم ، قائلا : « **اذهبى ، ولا تخطئى ثانية !** »

وعاد الى بيت « مريم » فى تلك الليلة جوه القديم • وقال يوسف لمريم وهى فى أحضانه فى الحديقة : « أخشى أن أتركك فيبطش بك القوم ! » ، فقالت :« فى وسع المسيح أن يحمينى ، وسوف أتبعه الى الناصرة غدا لأنضوى تحت لـــوائه ! » •• فسألها مشفقا : « أيعنى هذا أن مشروعنا سيبطل ؟ » ، فقالت: « **هناك ما هو أسمى من الرغبات البشرية •• وســـنكون فى النهاية أسعد حالا اذا ما كرسنا حياتنا ليسوع ، فهو بلا شــك المسيح المنتظر ! » •• وأدرك يوسف ما كانت تعنى •• أدرك أنه ما استردها الا ليفقدها ثانية !**

المؤامرة الكبرى !

◆ **وفى** اليوم التالى ، رافقها الى (الناصرة) ، ثم رحل الى (اورشليم) حاملا معه ذكرى الأيام الهانئة التى قضـاها فى

(الجليل) ، شاعرا بأن المركز والثروة والجاه لم تعوضه عن تلك السعادة التى كان ينعم بها حين كان طبيبا شابا ، فقيرا ، يقود دابته فى شوارع (طبرية) ! ٠٠ وغدت حياته فى (اورشليم) مملة ، ممضة ٠ وكانت أنباء انتشار دعوة المسيح ، وتوالى معجزاته ، تترامى اليه ٠٠ الى أن علم يوما بأن الملك « هيرودوس » وكهنة اليهود يتآمرون على المسيح ، فأسرع ليحذر مريم ٠ ووجد موكب المسيح بعد قرية (بيت صيدا) ، فأدلى لمريم بسر المؤامرة ، ثم قفل راجعا الى أورشليم

وشغل يوسف بمرضاه فى الشتاء ٠ وكان يشهد تداعى مبادىء الدين والأخلاق ، لا سيما بين كهنة اليهود وخدام الهيكل ، فتمنى لو أنه هجر (أورشليم) ، ومركزه ، وجاهه ، ليعيش فى (المجدل) مع « مريم » ، لو أنها قبلت ! ٠٠ الى أن جاء يوم علم فيه بأن السيد «المسيح» فى طريقه الى (اورشليم)، فشعر بالخطر المحدق بالقادم وتلاميذه ، اذ كان أهل المدينة موالين للرومان ، فأسرع ليلتقى بالموكب فى الطريق محذرا ٠ ووجدهم فى واد عميق ٠ واغتبطت « مريم » برؤيته ، فقبلت خده ٠٠ وصارحها بما جاء من أجله ٠٠ ولكن المسيح ذكر فى عظاته أنه ذاهب الى (اورشليم) ليقع فى أيدى الكهنة ، ويتألم، ويموت ! ومن ثم أدرك يوسف ومريم أن لا داعى للخوف !

واستقبل المسيح فى (اورشليم) أروع استقبال ٠ وكان اقبال الناس عليه محرضا للكهنة على زيادة الانهماك فى اعداد مؤامرتهم ٠ واذ بدأ الربيع ، أخذ اليهوديتأهبون لعيد الفصح ٠٠ حتى اذا صار بينهم وبين العيد أسبوع ، أقبل الحجاج والزائرون على (اورشليم) ٠ وحانت النهاية يوم قبض الكهنة ورؤساء الشعب على « يسوع » بتهمة التآمر على سلطان الامبراطور الرومانى ، طمعا فى أن ينصب نفسه ملكا على اليهود ! ٠٠ وفى أحد أيام الجمعة ، صلبوه بين اثنين من اللصوص ، وراحوا يوسعونه اهانة ولطما ، وهو يردد : « **يا**

أبتاه ، اغفر لهم لأنهم لا يعرفون ما يفعلون !» ٠٠ وجثمت مريم ويوسف بجوار الصليب لا يبرحانه ٠٠ حتى اذا أسلم «يسوع» الروح ، سعى يوسف بنفوذه لدى « بيـــلاطس » فسمح له بأن يتسلم الجثة ٠ ودفنها يوسف فى قبر جديد ، وان لم تكف « مريم » عن القول بأن السيد المسيح لن يلبث أن يقوم من موته ، كما ذكر !

شاهدان ٠٠ على قيامة المسيح !

◆ **فى** يوم الأحد التالى ، ذهب يوسف لابتياع مواد لتحنيط جثة المسيح ، تاركا مريم الى جوار القبر ٠ فلما عاد ، ألفى وجهها يتهلل بشرا ٠ فقد وجدت حجر القبر فى غير مكـــانه ، فبكت خشية أن يكون « بيلاطس » قد سرق الجثة ٠٠ والتفتت فاذا بشخص الى جوارها يقول : « **يا مريم ، اذهبى وبلغى تلاميذى والآخرين بأننى قمت من بين الأموات** » ! ٠٠ وخشى يوسف عليها من بطش رؤساء اليهود ، فأرسلها الى (عمواس) ٠ وسار فى مساء اليوم ذاته ليلحق بها ، مصطحبا شابا كان راحلا فى نفس طريقه ٠ وفى خلال رحلتهمـــا ، انضم اليهما ثالث لم يعرفاه

واذ وصلوا الى الدار التى كانت بها « مريم » ، دعا يوسف زميليه الى العشاء ٠ **فلما قدم الطعام ، وهم ثلاثتهم بالصلاة ، لمح يوسف وصاحبه على يدى الغريب آثار المسامير التى دقت فى يديه على الصليب ، فأدركا أنه المسيح ! ٠٠ وأسرع يوسف الى مريم فى الحجرة المجاورة يزجى اليها النبأ ، فلما عادا ألفياه قد اختفى !٠٠ وأيقنا اذ ذاك أن « يسوع » لم يكن سوى «المسيح» الذى بشرت به التوراة فعلا ، ومن ثم اقترحت « مريم » عـلى يوسف أن يكونا الشاهدين على قيامة المسيح من بين الأموات!**

وهكذا قدر ليوسف ومريم أن يجتمعا فى النهـــاية ٠٠ وأن يربط بينهما الحب ٠٠ ولكنه لم يكن حبا مما ألفته قلوب البشر ، وانما كان أسمى وأطهر ٠٠ فلقد اجتمعا على حب الله !

قرارات الجمعيــة العامة العادية لمساهمى « بنك مصر »

المنعقدة بدار البنك فى يوم السبت ٣١ مارس ١٩٥٦

أولا : التصديق على الميزانية وعلى الحسابات عن السنة المنتهية فى ٣١ ديسمبر ١٩٥٥ واخلاء طرف أعضاء مجلس الادارة من كل ما يتعلق بادارتهم فى السنة المذكورة

ثانيا : الموافقــة على توزيع الأرباح كاقتراح مجلس الادارة ، وصرف مبلغ ثمانين قرشا عن كل سهم - دون استقطاع ضرائب - مقابل تقديم الكوبون رقم ٣٣ الى بنك مصر أو أحد فروعه ابتداء من يوم السبت ٧ ابريل سنة ١٩٥٦

ثالثا : اعادة انتخاب الاستاذ محمد رشدى والاستاذ محمدمحمودجلال اللذين انتهت مدة عضويتهما

رابعا : اعتماد ضم كل من الاساتذة : محمود العتال وأحمد فؤاد ومحمود محمد لطفى ويوسف مرقص حنا والدكتور محمد على عرفه وعلى بدوى ومحمود حسن الى أعضاء مجلس الادارة

خامسا : الترخيص لمجلس الادارة بالتبرع فى حدود المادة رقم ٤٠ من القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٥٤

سادسا : الموافقة على الاشتراك فى تأسيس شركة الصناعات الكيماوية المصرية والشركة العــامة لمنتجات الجوت وشركة مصر للتجارة الخارجيــة والشركة القومية لانتاج الاسمنت مع تفويض مجلس الادارة فى تأسيس غيرها من الشركات بالقدر الذى يراه مناسبا

سابعا : الموافقة على اعادة تعيين الاستاذ زكى حسن ومستر ١٠ ر ٠ كوبر مراقبين للحسابات وتقدر أتعابهما فى حدود أقصى مبلغ ٦ آلاف جنيه

عندما ترفع الستار..



روائع المسرح العالمى

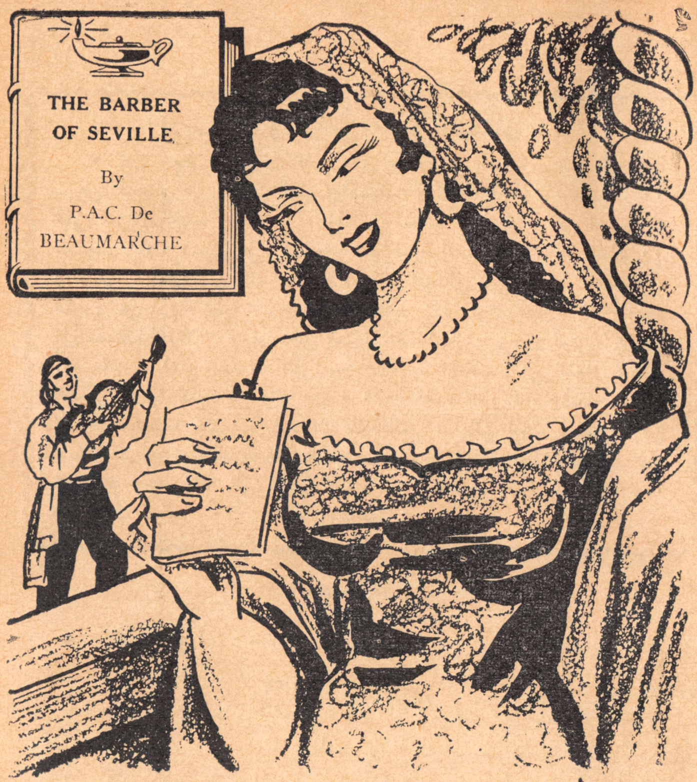
(التمثيل.. والتحليل)

عزيزى القارىء ...

قدمت لك فى هذا الباب فى الاعداد الماضية المسرحيات العالمية الآتية :

• خطايا الحب : لأوسكار وايلد • نزاهة الحكم : جوجول • سلاح المرأة: أريستوفان • فولبون : بن جونسون • جيوكندا : دانونزيو • كلام الناس : جوزيه اشيجاراى • مدرسة الفضائح : شيريدان • سيرانو دى برجراك : روستان • لعبة الحب والموت : رومان رولان • مروحة الليدى وندرمير : وايلد • فاوست : جيته • أوديب الملك : سوفوكل • فى سبيل الحب : جون درايدن • وليم تل : شيللر • الأم : مكسيم جوركى • الملك يلهو : فيكتور هوجو • الجنس الآلى : كاريل كابيك • الابن الأكبر : جالسورثى • هرنانى : فيكتور هوجو • ترويض النمرة : شكسبير • الحياة نفاق : لويجى بيراندللو • أغلال الحب : ستيف باسير • المنافق (طرطوف) : موليير • بيت الليل : تيرى مونييه • علموهم الحب : روجيه فردينان • زوج مثالى : أوسكار وايلد • سالومى : أوسكار وايلد • مدرسة الأرامل : جان كوكتو • برهان الحب : جان انوى • لوسيد : بيير كورنى • كيف نقع فى حبائلهن : بروفانس • أحزان هان

واليوم ، أقدم لك المسرحية التى طبقت شهرتها الآفاق: «حلاق أشبيلية»



من روائع المسرح العالمى

حلاق إشبيلية

بقلم الأديب والسياسي و"المحتال!" ب. ا. ك. دى بومارشيه

أديب •• وسياسى •• و « محتال » !

◆ كان « بيير اوجستين كارون دى بومارشيه » ـ مؤلف هذه المسرحية ـ من المبرزين فى ميادين العلم والسياسة والأدب •• والدسائس ! •• ففى سن الواحدة والعشرين ، اخترع ساعة مبتكرة ، لكن اختراعه صودر فأقام دعوى على الحكومة الفرنسية لفتت اليه أنظار الملك •• واستغل « كارون » الشاب هذا العطف الملكى فى الدعاية لنفسه ، فتزوج من أرملة غنية ، وحصل على لقب « دى بومارشيه » الذى رفعه الى مصاف النبلاء •• ثم دخل معترك السياسة • وحين نشبت الثورة الامريكية ، أقنع الحكومة الفرنسية بمد يد المساعدة الى الثوار ، كما خصص جانبا كبيرا من ماله ووقته لخدمة قضية الحرية ، وأسس شركة تجارية وهمية باسم « رودريك هورتاليز » تمكن تحت ستارها من ارسال أربعين سفينة محملة بالنجدات للثوار •• ووسط هذه المشاغل العاصفة وجد وقتا كى يؤلف مسرحيتين وضعهما النقاد فى مرتبة مسرحيات موليير ••• وهذه احداهما :

الفصل الأول

◆ « **فيجارو** » ـ حلاق اشبيلية ـ من الرجال الذين يتقنون « السبع صنائع » لكنهم يفشلون فى الحياة •• كان فى الماضى فى خدمة « الكونت ألمافيفا » أما الآن فهو يؤلف الأغانى كى يرضى مزاجه ، و « يحلق الذقون » ليكسب عيشه ! •• وهو ـ وان كان فقيرا فى ماله ـ غير أنه غنى فى خياله وسعة حيلته ـ أو بالأحرى براعة احتياله ! ـ لا يكف عن اللهو والمرح والاستشهاد بالأمثال السائرة ، برغم فقره ، أو ربما بسبب فقره !

هو مثل « فولتير » يضحك كى يمنع نفسه من البكاء ••• ويجوب شوارع (اشبيلية) ـ والموسى فى جيبه والقيثارة على ذراعه ـ رافعا عقيرته بالغناء ••• وذات صباح ، كان يذرع الطرقات منشدا احدى أغانيه بمصاحبة القيثارة ، واذا به يلتقى بمخدومه القديم « الكونت ألمافيفا » • وكان النبيل الشاب قد

التقى فى احدى الحفلات الأخيرة ـ مصادفة ـ بحسناء رائعة أعجبته ، وعلم بما بذل من حيلة ووسيلة انها تدعى « روزين » وأنها تعيش تحت رعاية ووصاية كهل شرس مريب السمعة يدعى « دكتور بارتولو » ، وهو ينوى ان يعقد قرانه عليها برغم ارادتها ، عنوة واقتدارا !

لكن « الكونت ألمافيفا » تدله فى هوى روزين الحسناء ، وان ظل عاجزا عن ان يزورها ، بل عن ان يقدم اليها فى احدى المناسبات، بحكم غيرة حارسها الكهل عليها واحكامه اغلاق الأبواب عليها ومراقبتها في كل حين ٠

ويعمد العاشق المدنف الى الحيلة ، كى يفتح ثغرة فى أساليب « الدكتور بارتولو » الصارمة ، فيتنكر فى زى طالب فقير ، ويذهب فى فجر كل يوم كى يقف فى مواجهة نافذة الفتاة ، طامعا فى ان تتصدق عليه الظروف بفرصة مواتية ، يتبادل فيها مع سالبة لبه نظرة عابرة ٠

وكان « الكونت » فى احدى هذه المحاولات ، حين التقى بالحلاق « فيجارو » مصادفة ، تحت نافذة « روزين » ٠٠ وكانت محاولاته السابقة قد أفلحت فى لفت نظر الحسناء اليه ، فدبرت ان تلقى اليه فى ذلك الصباح كلمة كتبتها على «نوتة» موسيقية لأغنية شائعة اسمها « الاحتياط العقيم » ٠٠

ويلتقط الشاب الورقة ملهوفا ، فيقرأ فيها هذه الكلمات : « لست أعرف من أنت ، لكن تفانيك فى ملاحقتى يثير فضولى ٠٠ فاذكر لى اسمك ومرتبتك ونواياك نحو التعسة « روزين » ، فى شكل أغنية على أنغام اللحن الذى ألقيته اليك ٠ »

الكونت : (يتناول قيثارة فيجارو فيعزف عليها ويغنى)
أنا طالب متواضع أجثو أمامك على ركبتى ٠٠
أما اسمى فهو « لندور » ٠٠ وأما قلبى فهو لك يا حبيبتى !

روزين : (تغنى بصوت خفيض من نافذتها)
حبك وعبادتك أبادلك ٠٠

وقلبى يصبو الى أن أكون لك ٠٠

الكونت : (الى فيجارو) أتسمع ؟ انها تحبنى ! ٠٠ لا بد من أن أنقذها من ذلك الكهل الطاعن فى السن ٠٠ ولكن كيف ؟

فيجارو : عندى لذلك خطة ٠٠ ولـكن يجب أن نبادر الى تنفيذها ٠ فقد علمت أن « بارتولو » ينوى أن يعقد قرانه على الفتاة غدا !

الكونت : وما هى خطتك ؟

فيجارو : أولا : أن أدخل الى بيت « بارتولو » وأسقى الخدم جميعا مخدرا

الكونت : وهل تملك حرية دخول البيت ؟

فيجارو : بلا شك ، فأنا حلاق « بارتولو » الخاص ،وخادمه، وصيدليه الذى يمزج له الدواء ٠ وهكذا يمكننى أن أحضر جرعات مخدرة للخدم ، وأقنعهم بأنهم مرضى ، ثم أغريهم على شربها ٠٠ وبعد هذا يبقى عليك أنت أن تدخل البيت ٠

الكونت : ولكن كيف أخدع « الدكتور بارتولو » ؟

فيجارو : هذا سهل ! ٠٠ لقد هبطت المدينة أخـيرا فرقة حرس الملك ٠ فاذهب الى « بارتولو » فى زى ضباط الفرقة ، واطلب منه أن يأويك الليلة ، ولن يجرؤ على الرفض ٠٠ ولكى تتجنب اثارة شكوكه تظاهر بأنك ثمل ، فهذا كفيل بأن يدخل فى روعه أنك ملهوف على أن تبلغ فراشك فورا ، لا أن تقوم بمناورة غزل فى البيت

الكونت : خطة رائعة !

فيجارو : نعم ، لكنها تتطلب كثيرا من المال (يمد اليه يده) ٠٠ فان المال بمثابة الشحم الذى يدير عجلات الحب !

الفصل الثانى

◆ « **روزين** » فى مخدعها تكتب خطابا الى حبيبها المجهول ، الذى تحسبه الطالب الفقير « لندور » ٠٠ و « فيجارو » الى جوارها ينتظر فراغها من كتابة الخطاب كى يحمله الى صاحبه ٠٠ يسمعان خطوات « بارتولو » تقترب ، فيبادر « فيجارو »



الى الاختفاء داخل خزانة الثياب

بارتولو: ليت الشيطان يزهق أنفاس ذلك النذل «فيجارو» ! ٠٠ لقد أعطى مخدرا ومسحوقا مثيرا للعطس لجميع خدمى ، بل ووضع كمادة على عينى بغلتى المسكينة العمياء ٠٠ لم يبق أحد ليتولى حراسة البيت ٠ ولشد ما أخشى أن يكون هناك شريد بر ٠٠ فعندما رأيتك تلقين بقصاصة الورق من النافـــذة ، هبطت فورا لأقف على محتـــوياتها ، لكنى لم أستطع أن أجد لها أثرا فى أى مكان ٠٠ اختفت بطريقة غامضة ٠٠ يبدو أننى سوف أضطر فى المستقبل الى وضع أقفال على مصاريع النافذة ٠

روزين : ولم لا تبنى حائطا يسد النافذة نهائيا كى تريح نفسك ؟

بارتولو : لست أريد أن يدخل شخص غريب الى هنا ٠٠ ولا حتى « فيجارو » ٠٠ فأنا لا أثق بالنســـاء ٠٠ أى رجل يستطيع أن يغوى المرأة ٠

روزين : اذن فلماذا عجزت أنت عن اغوائى ؟ ٠٠ انى أجدك كريها للغاية ٠

بارتولو : أنت تتهربين من الموضوع ٠ ٠أريد أن أعرف ، هل كان فيجارو هنا أخيرا ؟

روزين : (وقد استفزت) نعم ، كان هنا ٠ وقد راقنى جدا ٠٠ فلتمت كمدا !

وتندفع « روزين » خارجة من الغرفة ٠٠٠ بينما يدخل

« دون بازيل » ، مدرس الموسيقى الذى يلقنها أصول الغناء ٠٠ أما « فيجارو » فما زال مختبئا فى خزانة الثياب

بازيل : جئت أحمل اليك أنباء سيئة يا « دكتور بارتولو » ٠٠ ان « الكونت ألمافيفا » فى المدينة ، وهو يمشى فى الشوارع متنكرا ٠٠ يبدو أنه يلاحق « روزين » !

بارتولو : ما الذى تقترح أن أفعله ؟ هل أستأجر شخصا يهاجمه بالسيف والترس ؟

بازيل : بل بالفرية واللسان ٠٠ انه سلاح أمضى ٠٠ لقد رأيت أقوى الرجال ينسحقون تحت هجماته ٠٠ حطم الكونت بالافتراء والشائعات ، وعجل بعقد قرانك على « روزين »

بارتولو : جميل ٠٠ وانى لاعهد اليك يا بازيل بكافة تدابير هذا القران ٠

بازيل : حسنا ، لكن ذلك يتطلب الكثير من المال ٠٠ فان المال هو أقوى حلقة فى السلسلة الزوجية !

الفصل الثالث

◆ **ويفر** « فيجارو » ـ الذى سمع كل هذا الحـــديث بين « بارتولو » و « بازيل » ـ كى ينقل نبأه الى « الكونت » محذرا ، مهيبـــا به أن يعمل بلا ابطاء لمنـــع اتمام الزواج بين بارتولو وروزين ٠٠ اذ لم يعد فى الوقت متسع ٠

ويفد « الـكونت » على قصر « بارتولو » ، متنـكرا فى زى ضابط من ضباط فرقة الحرس ٠٠ ويدخل ـ فى اللحظة التى يلقى فيها الطبيب الكهل على « روزين » احدى مواعظه اللاذعة ـ متظاهرا بالثمل :

الكونت : (الى بارتولو) من منكما أيها السـيدتين تدعى الدكتور « بار ـ تو ـ لو » ؟ (يهمس الى روزين) أنا «لندور» !

روزين : يا للسماء !

الكونت : (الى روزين بصوت مسموع) هل أنت الدكتور « بار ـ كيلو » ؟ اليك هذه الرسالة ! (يناولها خطابا)

بارتولو : الاسم الصحيح هو « بارتولو » ٠٠ وأنا هو ! (الى روزين) ان هذا الرجل يبدو ثملا ٠٠

الكونت : دكتور بار ـ كيلو ٠٠ لقد أرسلونى للمبيت هنا لأنى زميل لك ، فأنا طبيب جياد الفرقة ٠

بارتولو : انى أعتبر هذا القول اهانة لى يا سيدى ! ٠٠ فأنا لست طبيبا بيطريا ، وانما طبيبا بشريا ٠

الكونت : كلانا يقتل مرضاه ٠٠ فما الفارق اذن ؟!

بارتولو : (فى احتقار وترفع) ان مهنتى تشرف الشمس التى تشرق على مفاخرها !

الكونت : وتلطخ الارض التى تغطى ضحاياها !

بارتولو : (غاضبا) ما ذلك الخطاب الذى سلمته لزوجتى ؟

الكونت : أهى زوجتك ؟٠٠ لقد حسبتك جدها ٠٠ فان ثلاثة أجيال على الأقل تفصل بينكما !

بارتولو : اخرج من بيتى أيها الوقح ! ٠٠ لن آويك تحت سقفى ٠

ويخرج « الكونت » ٠٠ فيستدير الطبيب الى روزين

بارتولو : والآن دعينى أرى ذلك الخطاب !

روزين : (تضع الخطاب فى جيب ثوبها) انه من ابن عمى ٠٠ ولست أر داعيا لأن تطلع عليه ٠٠ فليس من حقك أن تقرأ خطاباتى ٠

بارتولو : ماذا ؟ ليس من حقى أن أقرأ خطابات زوجتى ؟

روزين : لم أصبح زوجتك بعد ٠٠

بارتولو : فليكن ٠٠ سأقرأ ذلك الخطاب ٠ سوف أقفل الباب وأنتزعه منك بالقوة ٠

ويمضى « بارتولو » كي يغلق الباب ، فتنتهز « روزين » الفرصة وتبدل الخطاب بآخر وصلها من ابن عمها فعلا ٠٠ وحين يعود « بارتولو » تتظاهر بالمرض :

روزين : سوف يغمي علي ٠٠ اني أموت !

وتتهالك على مقعد ، فيتظاهر بارتولو بأنه يعد نبضـــها ، وينشل الخطاب من جيبها فيقرأه بسرعة ثم يعيده الى مكانه قبل أن تفتح عينيها .

بارتولو : (مخاطبا نفسه) اذن فهو من ابن عمها حقا ! .. (الى روزين) هيا هيا يا فتاتى ، لا تغضبى فتثيرى أعصابك .. سوف تستردين قواك بعد لحظات ..

روزين : كل ذلك حدث بسبب طباعك البغيضة .. كأنك لا تثق فى ! .. (تقدم اليه خطاب ابن عمها) لست أعبأ بالأمر .. خذ اقرأ الخطاب !

بارتولو : حاشاى ! .. ان لخطاباتك الخاصة حصانتها .. يا طفلتى المسكينة ! .. انك ثائرة الى درجة تجعلنى أفعل أى شىء فى سبيل ارضائك ..

روزين : اذن فرجائى اليك أن تنصرف وتتركنى بمفردى .

ولا يكاد « بارتولو » يخرج ، حتى تخرج هى خطاب الكونت الحقيقى الذى أخفته ، فتقرأه .. واذ ذاك تطلق صيحة يأس : « أواه ، لقد فات الأوان ! .. انه يطلب منى أن أثير شجارا حاميا مع « بارتولو » ، كى ينتهز هو الفرصة فيحملنى ويفر بى وسط الهرج والمرج .. والآن ها هو ذا قد ذهب ، وغدا سأزف الى مصيرى التعس ... رباه ، ماذا أصنع ؟ .. ماذا أصنع ؟ »

الفصل الرابع

• **ويحاول** «الكونت»مرة أخرى،أن يدخل بيت «بارتولو» . فينتحل فى هذه المرة شخصية أخرى .. فهو يزعم لبارتولو انه تلميذ « دون بازيل » ، وانه حضر بدلا من أستاذه المريض ، كى يعاون فى اعداد معدات الزفاف ..

بارتولو : اذا كان الأمر كذلك ، فالأوفق أن تتظاهر بأنك جئت كى تعطى « روزين » درس الغناء نيابة عن أستاذك ، لكي لا ترتاب هي في أمر مجيئك ..

الكونت : كما تشاء يا سيدى ٠٠

ويستدعى « بارتولو » الفتاة كى تتلقى الدرس ٠ ويجلس هو فى مقعد أمامهما ٠٠ فقد اعتزم ألا يدع شابا يعطيها دروسا فى غير حضوره !

ويسأل الكونت « روزين » أن تغنى « الاحتياط العقيم » ٠٠ وخلال الأغنية يغلب على « بارتولو » النعاس

الكونت : (هامسا) روزين !

روزين : لندور !

ويتناول الكونت يدها فيغمرها بالقبلات ٠٠ لكن انقطاعهما المفاجىء عن الغناء ، يوقظ « بارتولو » من سباته ، فيستأنف الحبيبان فورا أغانيهما ٠٠ وبينما يحاول «بارتولو» أن يراقبهما فى حذر وغيرة ، يدخل « فيجارو » !

فيجارو : (الى بارتولو) لقد جئت لأحلق لحية سيدى ٠٠ فهلا تكرم بالانتقال الى غرفته الخاصة ؟

بارتولو : كلا ، بل احلق لى هنا ٠٠



روزين : (فى تهكم) انه تصرف لائق منك فيما أحسب!

بارتولو: اغفرى لى ياطفلتى! ٠٠ فانى أحرص على البقاء هنا كى لا أفقد متعة الاستماع الى غنائك ٠ (الى فيجارو ،وهو يسلم اليه حلقة مفاتيحه) هذه هى مفاتيح غرفتى يا «فيجارو» ٠٠ خذها وأحضر أدوات الحلاقة ٠

يتناول فيجاروالمفاتيح ويغمز بعينه الى «روزين» و «الكونت»

ـ من وراء ظهر « بارتولو » ـ مشيرا الى خشب النافذة ، الذى كان رب البيت قد وضع عليه قفلا . ثم يترك الغرفة ... وبعد دقائق يسمع من الطابق الأرضى ـ حيث مضى الحلاق ـ صوت تحطيم أطباق ..

بارتولو : لا ريب ان هذا الحلاق الاحمق قد حطم أجمل التحف الثمينة التى فى غرفتى (يخرج عدوا)

الكونت : يا لطيبة قلبك وبراعتك يا « فيجارو » .. أخيرا استطاع ان يجمعنا معا .. انك سوف تهربين الليلة ، من نافذة غرفتك . فلسوف يفتح « فيجارو » القفل بالمفتاح الذى لوح به

يعود « فيجارو » و « بارتولو » .. ومرة أخرى يحمل « فيجارو » المفتاح ويغمز بعينه للكونت ولروزين ..

ولكن .. لا تلبث أن تقع مفاجأة غير منتظرة .. فان « دون بازيل » ـ مدرس الموسيقى المريض المزعوم ـ يدخل فجأة ، لدهشة كل من « الكونت » و « روزين » و « فيجارو » .

بارتولو : آه ، « دون بازيل » ! كم يسرنى أن أراك معافى من جديد .

بازيل : معافى من جديد ؟!

بارتولو : نعم ، فان هذا الشاب ـ تلميذك ـ قد أقلقنى بشأن صحتك .

بازيل : هذا الشاب .. تلميذى ؟!

الكونت : (يهمس لبارتولو) قل له أن كل شىء على ما يرام . فان « روزين » لا يجب أن ترتاب فى شىء كما تعلم ..

بارتولو : (الى بازيل ، على انفراد) لا تقل انه ليس تلميذك ، فان « روزين » يجب أن تظل على جهلها

بازيل : (الى فيجارو ، على انفراد) بحق الشيطان ما معنى كل ذلك ؟ كأنما كل شخص يخفى سرا !

الكونت : (الى بازيل على انفراد ، وهو يناوله كيس نقود)

هاك ، خذ هذا واذهب الى فراشك ٠٠ انك مريض !

فيجارو : انك تبدو مضطربا للغاية ٠ اذهب الى فراشك !

بارتولو : أى انسان يستطيع أن يدرك انك محموم ٠٠ اذهب الى فراشك !

روزين : أراهن أن مرضك معد ، فاذهب الى فراشك !

بازيل : أحس فعلا بأنى لست على ما يرام ، وأعتقد انه من الأوفق أن أذهب ٠٠ طابت ليلتكم يا سادة !

يخرج « بازيل » ، تشيعه عاصفة من الضحك ٠٠

ويبدأ « فيجارو » فى حلاقة لحية « بارتولو » ٠٠ محاولا أن يقف بينه وبين العاشقين ٠ لكن « بارتولو » الماكر يزيحه فجأة من مكانه ، ويكاد يضبطهما على وشك تبادل قبلة ٠٠

بارتولو : كيف تجرؤان ، أمام سمعى وبصرى ٠٠ ؟

الكونت : يالك من رجل غيور ! لا غرابة اذن فى أنها باتت تشمئز من فكرة الزواج منك !

روزين : أنا ؟ أصبح زوجته ؟ محال ٠٠ ما استطعت الحيلولة دون ذلك ٠ (تخرج روزين) ٠

فيجارو : لست ألومها ٠٠ كيف تتزوج شابة من شيخ !٠٠ لا بد أنك جننت يا سيدى ! (يخرج فيجارو)

الكونت : وأنا أوافق « فيجارو » على رأيه ٠٠ لا بد أنك جننت أيها الشيخ ! (يخرج الكونت)

بارتولو : لقد رأيتهما يشرعان فى تبادل قبلة، بكل وضوح، ومع ذلك يقولون اننى قد جننت ٠٠ ومنذ برهة قالوا ان « بازيل » مريض ٠٠ يجب ان أرى « بازيل » ٠٠ انه الوحيد الذى يستطيع اخراجى من هذه الشبكة المعقدة !

الفصل الخامس

◆ **نحن** قبيل منتصف الليل ، وقد أصدر « بارتولو » أمره الى « دون بازيل » باحضار موثق عقود الزواج ٠٠ فان القران بينه وبين « روزين » يجب ان يعقد قبل حلول الصباح ٠

بازيل : لقد قابلت الموثق فعلا · وسوف يحضر فى الساعة الرابعة ·

بارتولو : ولم لا يحضر قبل ذلك ؟

بازيل : ان أمامه زيجة أخرى يجب أن يعقدها ·· فان ابنة أخى « فيجارو » سوف تتزوج

وتوقظ هذه الكلمات شكوك « بارتولو » من جديد ، فهو يعلم أن ليس لفيجارو ابنة أخ ·· فيقول لنفسه : « ان الوغد يدبر مكيدة ! ·· اننى موقن من ذلك »

وكمحاولة أخيرة لافساد المكيدة التى تدبر ضده ، يعمد « بارتولو » الى الايحاء لروزين بأن حبيبها - الطالب - ليس مخلصا لها : « فقد علمت انه يسخر من حبك ·· يعطى خطاباتك الى « الكونت ألمافيفا » ، والكونت يشهر بك لغرض فى نفسه » ·

وتصدم هذه الانباء روزين ، فتعترف لبارتولو بأن حبيبها سوف يفد لاختطافها فى تلك الليلة بالذات : « انه ينوى التسلل الى البيت من هذه النافذة ·· لكننى لم أعد أريد أن أتزوجه ·· سوف أتزوجك أنت ! »

بارتولو : هذا عظيم ·· وعندما يأتى سأقتنصه ، واستدعى له البوليس ··· ولا تنسى أننى سوف أكافئك على هذا بالتفانى فى حبك ·

ويذهب « بارتولو » لاستدعاء رجال الشرطة ·· وفى هذه الأثناء يدخل « الكونت » وبصحبته « فيجارو » من النافذة ·· فتوبخ « روزين » حبيبها على ضعته ونذالته ·· لكنها لا تلبث حتى تكتشف خطأها ، حين تعلم ان حبيبها ليس الطالب « لندور » ، بل هو الكونت نفسه ·

ثم يدخل « بازيل » ومعه الموثق :

الموثق : هل هذان هما العروسان ؟

الكونت : نعم يا سيدى ·· كان المفروض أن تعقد أنت

زواجنا فى بيت « فيجارو » ، لكننا قررنا أن نتزوج هنا ٠

بازيل : (حائرا) لكنى ٠٠ لست أفهم !

الكونت : (يقذف اليه كيسا مثقلا بالنقود) هل هذا يوضح الأمور ؟

بازيل : (يزن الكيس فى يده) أوه ، طبعا ! ٠٠ اننى دائما أقتنع بالمناقشة ذات الرنين الثقيل ٠٠!

ويوقع « بازيل » و « فيجارو » على عقد الزواج كشاهدين ٠٠ ويتم زواج الحبيبين

ولا تكاد المراسم تنتهى حتى يعود « بارتولو » ، ومعه رجال البوليس ٠

بارتولو : ما هذا ؟ ٠٠ لقد سرقت منى عروسى ؟

الكونت : نعم ٠٠ وأنت سرقت أملاكها !

بارتولو : أيها التلميذ الغرير الوقح !

فيجارو : كن على حذر ٠٠ فانك تخاطب صاحب السعادة سيدى الكونت ألمافيفا !

بارتولو : صاحب السعادة ٠٠٠ « الكونت ألمافيفا » ٠٠ انى خادمك المتواضع !

الكونت : كان فى وسعى أن أحصل على أمر بالقبض عليك لاختلاسك أموال القاصر الموضوعة تحت وصايتك ٠٠ لكنى سأدعك تحصل على أموال « روزين » اذا ما تركتنى أحصل على روزين نفسها !

بازيل : أيها الصديق بارتولو ٠٠ أنصحك بأن تصغى دائما للمناقشة ذات الرنين الثقيل ٠

بارتولو : ان ما يغيظنى هو اننى قد خدعت ، برغم جميع احتياطاتى !

فيجارو : تقصد جميع حماقاتك ! ٠٠ ان خطوط دفاع الكهل الطاعن فى السن ضد حيل الشباب العاشقين ، يصح أن تسمى ب ٠٠ « الاحتياط العقيم » !

(ستار)

إقرأ معى :



كتاب الشهر

عزيزى القارىء ...

قدمت لك فى هـذا الباب فى اعداد سابقة من (كتابى) الكتب الشائقة التالية :

- آراء جريئة فى الحياة : للفيلسوف الانجليزى المعاصر « جود »
- آراء جريئة فى السياسة : لبرنارد شو
- كيف نجحوا فى الحيـاة : لديل كارنيجى
- الحياة فى موسكو : هارولد ليكوك
- مراهق : البرتو مورافيا
- آلهة ومقابر وعلماء : سيرام
- الالمان ، شعبا وعباقرة : أميل لودفيج
- مستقبل زوجك فى يدك : مسز ديل كارنيجى
- التـاريخ السرى للاحتلال البريطانى : ويلفريد بلنت
- أقنعة الحب السبعة : أندريه موروا .
- فى داخل افريقيا : جون جنتر
- من فرعون الى فاروق : هـ . وود جارفيس
- كفاحى : سومرست موم
- فى داخل مراكش : جـون جنتر

واليوم ، أقدم لك كتابا مدهشا عن خفايا العلوم الفرعونية

وفى الاعداد القادمة ازمع ان أقدم لك فى هذا الباب مزيدا من الـكتب الممتعة ..



خفايا العلوم الفرعونية

الكتاب الذى يكشف أسرار بناء الأهرام !

للأب والعالم الأثرى "ت . مورو"

تلخيص : أنطون العبيدي

العمالقة الذين بهروا العالم !

◆ اتجهت بعض الأفلام الأمريكية أخيرا ، الى استغلال سحر التاريخ الفرعونى فى ترويج بضاعتها ٠٠ ولكنها تجاوزت مجرد الاستغلال الى تعمد التشويه والنيل من أمجاد الفراعنة ٠ ومن ذلك أن أحد هذه الأفلام صور الهرم الأكبر كرمز للسخرة وللاسراف والترف ، اذ أقيم ليضم رفات ملك من ملوك الفراعنة ! ٠٠ ولكن كيف يكون الهرم مجرد مقبرة لملك جبار ، فى حين أن أبعاده وخطوطه صممت بحيث تكشف عن حقائق علمية خطيرة ، لم يصل اليها العهد الحديث الا منذ عهد قريب ؟! ٠٠ ان بناء الهرم الأكبر يشهد بأدلة قاطعة على ان قدماء المصريين عرفوا كروية الأرض ، وابعادها ، وكثافتها ، وعلاقاتها بالكواكب ٠٠ بل ان فى هذا الهرم من الأدلة ما يثبت ان الفراعنة عرفوا أدق الوحدات الثابتة للقياس والوزن ٠٠ وكانوا يعرفون المكاييل التى يستعملها الانجليز اليوم ، وقدروا المسافة بين الأرض والشمس أدق تقدير !

كل هذه حقائق راسخة ، ساق الأب « ت ٠ مورو » ـ مدير مرصد (بورج) بفرنسا ـ البراهين على صحتها ، فى كتاب « خفايا العلوم الفرعونية » الذى يقدمه لك « كتابى » فيما يلى ٠٠ فتعال نقرأ الفصول الاولى منه ، ونرفع رؤوسنا شامخة فى زهو !

تاريخ الأرض ٠٠ وتاريخ السماء !

◆ قد يكون تطفلا من فلكى مثلى ان يقحم نفسه على ميدان خصص لعلماء الآثار القديمة ، والباحثين عنها ! ٠٠ ولكن الوقت الذى كان المرء يقنع فيه بقدر محدود من المعرفة والعلم انقضى ، وأصبحت ثمار العلم ـ على الأقل ـ مباحة للجميع ٠ كما أن علم الفلك هو أقدم العلوم ، دون منازع ٠ فقد عرفته جميع الشعوب والحضارات ، اذ اجتذبت السماء ـ بنجومها المنثورة ـ انتباه الناس منذ القدم ، وأثارت فضولهم حركة الأفلاك والظواهر المتصلة بالشمس وبالقمر ٠٠ وقدر لتاريخ السماء ان يدون جنبا الى جنب مع تاريخ الأرض ! ٠٠ ومن ثم فان

أبحاثنا الحديثة ، فيما يتعلق بالعصور القديمة ، يجب ان ترجع الى علم الفلك كلما أريد تحديد تاريخ أحد أحداث الماضى السحيق · ومن أمثلة هذا ان الأساطير الهندية والصينية تتضمن حوادث وقعت منذ آلاف عديدة من السنين ، تسبق مولد المسيح · ولكنا بفضل ظواهر الكسوف الشمسى التى سجلها علماء الصين ، نجد ان هذه الآلاف العديدة من السنين لا يمكن ان تتجاوز ٤٧٠٠ سنة

أصل الفراعنة وعلومهم

◆ **ولم** يعد اليوم ثمة نزاع فى أن الباحث عن أقدم أثر للفكرة المكتوبة ، يجب ان يتجه صوب مصر ، حيث يجد هذا الأثر منقوشا على الحجر · ولقد أغارت على هذا الجزء من العالم القديم ـ حوالى سنة ٤٠٠٠ قبل المسيح ـ قبائل رحل استقرت فى النهاية على ضفاف النيل · ويرى كثير من المؤرخين ان هذه القبائل ترجع الى أصل أفريقى ، ولكن الأبحاث التى أجراها « ماسبيرو » ـ عالم الآثار الشهير بأبحاثه فى التاريخ المصرى ، والذى يطلق اسمه على أحد شوارع القاهرة ـ أثبتت ان تلك القبائل تنحدر من أصل سامى · ويتفق هذا مع رواية التوراة التى تقول ان هذه القبائل انحدرت من آسيا ، مهد الشعوب البدائية · والواقع أن فريقا من أحفاد سام كانوا قد استوطنوا (آشور) ، ويغلب على الظن انهم نزحوا من تلك البلاد الى بلاد الكلدانيين ومنها الى مصر · وهذا يفسر لنا كيف ان بعض التقاليد الفلكية ـ التى سنتناولها فى فصل آخر ـ استطاعت ان تصل الى امبراطورية الفراعنة

ولقد أدت الأبحاث الأثرية والحفائر التى أجريت فى وادى الملوك ـ فى العقد الثانى من هذا القرن ـ الى اثارة اهتمام العالم بمصر وتاريخها ، وان كان الكثيرون لا يزالون يجهلون كيف تعاقبت أسرات الفراعنة خلال خمس وثلاثين قرنا قبل الميلاد !

٠٠ ومهما يقال ، فلا مراء فى ان الاهتمام بالحضارة الفرعونية لا يبدأ بشكل ملحوظ ، وعام ــ لدى الجمهور ــ الا ببداية حكم الاسرة الرابعة ، لا سيما فى عهود الملوك الثلاثة : « خوفو » ، و « خفرع » ، و « منقرع » ، الذين يرجع حكمهم الى سنة ٢٥٠٠ قبل الميلاد ، والذين بنيت فى عهودهم الأهرام الكبرى الثلاثة ٠٠

هل الأهرام مجرد مقابر ملكية ؟!

◆ **ويحظى** أكبر هذه الأهرام ــ وهو هـــرم « خوفو » ــ بالنصيب الأكبر من الاهتمام ، نظرا لضخامته ، ولعظم أبعاده٠ **وان العقل ليقف أمام هــذا الصرح الهائل وجلا ، مبهــورا ، يتساءل : ترى ما الغرض الذى كان الفراعنة والكهنة المصريون يرجونه من وراء تكديس تلك الصخور الهـائلة ، التى نحتت بعناية فائقة، ودقة بالغة، والتى نسقت على شكل هندسى معين ؟!**

ان الجواب الشـــائع ، هو أن الهـــرم ليس ســوى صرح جنائزى أثرى ، أو بالأحرى ، مقبرة ضخمة لملك جبار ! ٠٠ فأى ترف هذا ، وأى بذخ ؟! ٠٠ وهل بذلت كل تلك الجهود ، وحشد كل أولئك الرجال الذين سخروا لبناء الهرم ، لمجرد انشاء صرح يخلد ذكرى ملك ، أو أسرة مالكـة ؟ ! ٠٠ لو أن الأهرام كانت معابد ، لوجدنا ما يبرر اقامتها ، أما أن يقال لنا أن قدماء المصريين كدسوا آلاف الأمتار المكعبة من الأحجار، وهذبوها ، وصقلوا جوانبها بتلك العناية الفنية الفائقـــة ، ورتبوها على هذا الشكل الهندسى الرائع ، لا لشىء الا لايــواء رفات ملك أرادوا تكريمه ، فهذا ما ينكره العقل ، اذ ينطــوى على غلو فى تقدير حب الانسان للأبهة والزهو !

والواقع أن الظواهر تؤيد فكرة أن الهرم كان مجرد ضريح لتخليد ذكرى ملك ٠ اذ نجد فى داخله ممرات وردهـــات وغرفا للدفن افتن المهندسون فى اخفائها حتى تصان المقبرة

من أى عبث ٠ ثم ان كل هرم يجب أن يقوم بحيث تتجه أركانه وفقا لاتجاه الجهات الأصلية الأربع ـ الشرق والغرب والشمال والجنوب ـ ولكن الملاحظ أن هذا الوضع لم يراع هنا بدقة تامة !

ومع ذلك ٠٠٠

ومع ذلك ، فان علماء الآثار الذين رأوا فى الاهرام مجرد صروح للدفن وأضرحة ، انما يقعون فى الخطأ الذى يقع فيه علماء يجيئون بعد ستين قرنا ، فيأخذون فى فحص أطلال كاتدرائياتنا الحالية ، حتى اذا كشفوا فيها عن قبور لأساقفة أو ملوك ، زعموا أن الكاتدرائيات كانت أضرحة تذكارية !

جوانب الهرم تكشف أسرار العلوم !

◆ **لهذا** اتجه رأيى الى أن ثمة فكرة أسمى من مجرد انشاء المقابر ، هى التى أوحت ببناء الأهرام ٠ فالهرم الأكبر ـ مثلا ـ أنشىء فى نحو عام ٢٥٠٠ قبل الميلاد ٠ ومع أنه بنى بعناية فائقة ، الا أنه لم تكتشف فيه نقوش تذكر ٠ وكان يبدو ـ حتى عهد الفتح العربى ـ مجرد جسم من أحجار متباينة الألوان ، نسقت معا بحيث تبدو كأنها كتلة واحدة من الصخر الأصم ٠ وقد استغرق الكشف عن المداخل المؤدية الى جوفه زمنا طويلا ٠٠ واذ ذاك ، اكتشفت الغرف الثلاث التى بداخله ، وأطلقت عليها أسماء من وحى الخيال : فثمة غرفة الملك ، وغرفة الملكة ، وغرفة الدفن ٠ وليس بأية غرفة منها ما يوحى بالغرض الذى أنشئت من أجله ٠ بل لقد وجد فى الغرفة التى سميت بغرفة الملك ، حوض من الحجر المنحوت ببراعة ، ولم يعثر فيها على تابوت !

فلماذا بنى هذا الهرم آذن ؟ ٠٠ هذا هو اللغز المستعصى على الأفهام ٠ **فهل كان الكهنة المصريون ـ وهم من العلماء المتبحرين ـ يريدون أن يسجلوا ، ويخلدوا ذخيرتهم من علم**

الفلك والعلوم الأخرى ، فى أثر يبقى على مر الزمن ؟ .. أم لا ؟!

وهذا يفتح أبوابا للتساؤل : هل عرف أولئك العلماء ما توصل اليه زملاؤهم فى عصرنا الحاضر ؟ .. ولو صح أنهم برزوا فى الفلك ، فكيف استطاعوا أن يعرفوا شكل الأرض ، وأن يقيسوا أبعادها ويقدروا وزنها ، وما الطرق التى توصلوا بها الى تقدير بعد السماء ، وتقدير المسافة بين الأرض والشمس ؟

لسوف نرى بعد قليل أن هذه المسائل العلمية تستخلص من قياس جوانب الهرم الأكبر . ولعل التوصل الى أسرار الهرم يوحى الينا بالأمل فى أن يتاح لنا يوما أن ندرك أسرار صمت أبى الهول .. ذلك الأثر الهائل ، الرابض فى تلك البقعة من أرض الفراعنة ، مطبقا شفتيه ، مرسلا بصره نحو الآفاق البعيدة ، وكأنه حارس أمين على أسرار أولئك الكهنة الأقدمين !

المعجزة التى حيرت الألباب !

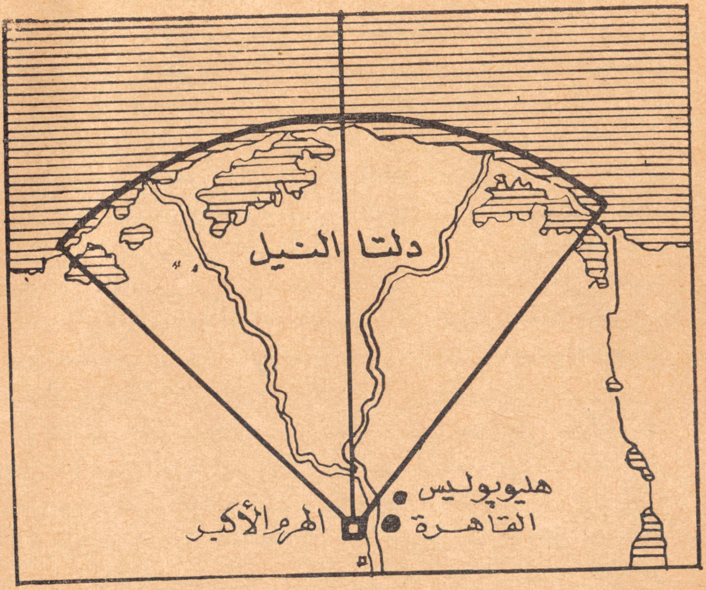
◆ **يبلغ** ارتفاع الهرم الأكبر حوالى ١٥٠ مترا ، ومساحة قاعدته تزيد على ٥٠ ألف متر مربع . ولا شك فى أنه لا سبيل للمقارنة بينه وبين أى بناء آخر شيدته يد بشرية . ولا يزال المهندسون المعماريون ـ حتى عصرنا هذا ـ يحارون فى تصور الوسائل التى استخدمت فى تكديس هذا القدر الهائل من الأحجار . والراجح حتى الآن ، أن القوم كانوا ينشئون طرقا صاعدة تؤدى الى مكان العمل ، وتزداد امتدادا وصعودا ، كلما ارتفع البناء . ويقول « هيرودوت » ـ العالم الأثرى الكبير ـ ان المصريين ظلوا عشر سنوات يشقون ويمهدون طريقا لنقل الأحجار الى موقع الهرم . وهذا الطريق عمل لا يقل ضخامة عن الهرم الأكبر ذاته ، اذ يبلغ طوله ٩٢٥ مترا ، وعرضه ١٩

مترا ، ويصل ارتفاعه ــ فى أعلى نقطـة منه ــ الى ١٥ مترا ٠ وكانت الكتل الحجرية تنقل الى موقع الهرم بعد نحتها ، وقدبلغ من ضخامتها أن بعض الكتل كانت تناهز عشرة أمتار طولا !٠٠ ومن الحقائق الثابتة ــ والتى لا تزال قائمة ــ أن الأحجـار ملتحم بعضها ببعض باحكام بالغ الدقة ، حتى أنك لا تستطيع أن تكتشف مواقع اللحام ٠ ومع ذلك فلم تستخدم عجينة ــ ملاط أو « مونة » ــ للوصل بين الحجر والآخر ! ٠٠ ويقول أحد كبار الحجارين المقاولين فى الولايات المتحدة ، أن الفنيين فى العصر الحاضر لا يملكون أية أداة أو أى جهاز من الدقة بحيث يمكن من لصق سطحين ، طول كل منهما عشرة أمتار ، لصــقا يعادل التصاق أحجار هذا الهرم احكاما !

ولقد ظل الهرم الأكبر على حاله ، فلم يطرأ على سطحه أى تغيير الا بعد الفتح العربى ٠ وكانت قاعدته فى الأصل على شكل مربع طول ضلعه ٢٣٢ مترا و٥ر٨٠ سنتيمترا ، وارتفاعه ١٤٨ مترا و ٨ر٢٠ سنتيمترا ٠ ولا ينبغى أن ندهش لذكـر الكسور الى واحد من ألف من المتر ، اذ يرجع هذا الى أن مهندسى ذلك العصر حددوا جميع الأطوال والأبعاد بوحـدتى القياس الشائعتين اذ ذاك ، وهما البوصة والذراع

وفى أواخر القرن الثامن عشر ، ظهر أول ما فطن اليه العلماء من دلالات الهرم ، عند ما رغب علماء الحملة الفرنسية فى قياس الأراضى المصرية ومسحها ، فاتخذوا الهرم الأكبر نقطة ابتداء لخط طول رئيسى ، تقسم المنطقة بخطوط طــول موازية له ٠

ولشد ما كانت دهشتهم حين تبينوا أن قطرى الهرم الأكبر ، اذا مدا على استقامتيهما بعد تقاطعهما ، فانهما يحصران دلتـا النيل بينهما تماما ٠ يضاف الى هذا ، أن خط الطول الذى يمتد بين الشمال والجنوب ، مارا بقمة الهرم ، يقسم دلتا النيل الى قطاعين متساويين !



خريطة تبين كيف يحصر قطرا قاعدة الهرم دلتا النيل فيما بينهما

وليس من شك في أن هذا لا يمكن أن يكون مجرد مصادفة ، وانما هو تصميم مقصود لهدف معين !

أدق اتجاه للرصد فى العالم !

◆ **ولقد** أشرنا من قبل الى أن وضع الهرم يجب أن يكون بحيث يواجه كل جانب منه احدى الجهات الأصلية الأربع . ولكن هذه القاعدة لم تطبق بدقة تامة الا فى هرم « خوفو » ، بسبب معضلة مستعصية على المهندسين فى كافة العصور . ذلك لأننا نعتمد على البوصلة فى تعيين الجهات الأصلية ، ولكنا

جميعا نعرف أن ابرة البوصلة لا تتجه الى القطب الشمالى بالضبط ، وانما هى تتجه الى الشمال المغناطيسى .. فاذا لجأنا الى الاستعانة فى تعيين الجهات الأربع بالنجم القطبى ، وجدنا ان الشمال الذى يحدده هذا النجم ليس الشمال القطبى تماما، لأن النجم القطبى لا يحتل موقع القطب من السماء على الاطلاق وانما هو يدور - على امتداد محور الأرض - حول موقع القطب بانحراف بسيط . وبايجاز ، يوجد بين النجم القطبى والقطب الحقيقى حيز لدورتين قمريتين كاملتين . وبمعنى آخر ، ان النجم الذى نسميه « القطبى » ، لم يعد يستحق هذا الاسم منذ ٤٠٠٠ سنة ! .. ذلك لأن محور الكرة الأرضية يتجه على التوالى - خلال دوران الأرض - الى مواقع مختلفة ، أى أنه ينحرف عن اتجاهه الأصلى شيئا فشيئا .. ولابد من انقضاء ٢٥٫٨٠٠ عام قبل أن يعود الى وضعه الأصلى .

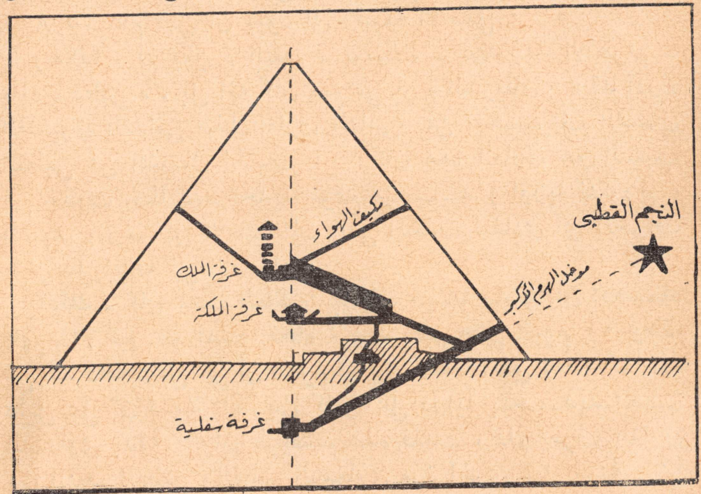
وهكذا ، لم يكن « النجم » يوصف - عند بناء الأهرام - بأنه « قطبى » ، بل انه كان يقع فى برج السرطان . وقد أدرك الفلكيون القدامى هذا الفارق الناشىء عن انحراف الشمال القطبى عن الشمال الحقيقى .. وكان هذا الفارق هو السبب فى حدوث خطأ عند تحديد موقع مرصد (اوريا نبورج) الشهير ، رغم كل الاحتياطات التى اتخذت لتفادى أى انحراف يؤثر على الدقة فى الارصاد .

لذلك ، كان عجب الفلكيين بالغا ، حينما تبينوا أن اتجاه الهرم الأكبر هو أصح اتجاه لمرصد أقيم حتى اليوم .. وهذا فى حد ذاته دليل على أن الهرم لم يبن كيفما اتفق ! .. كما أنه دليل على أن قدماء المصريين كانوا على دراية بتحديد القطب السماوى بدقة . وان طريقتهم هذه فقدت ، فلم يعرف الفارق بين النجم القطبى والقطب السماوى مرة أخرى قبل سنة ٣٣٩ قبل الميلاد .

ولقد أجريت محاولات عديدة - على مر العصور - لتحديد

خط طول أساسى للكرة الأرضية ، فوقع الاختيار فى البداية على خط الطول المار بباريس ، ثم اختير خط (جرينتش) ٠ **ولكن الواقع أن خط الطول المثالى هو ذلك الذى يمر بالهرم الأكبر ٠ وذلك لأنه ـ أولا ـ يمر بقارات أكثر ، وبحار أقل مما يمر بها غيره من خطوط الطول ٠ ثم اننا اذا حسبنا مساحة الأراضى القابلة لسكنى الانسان ، نجدها واحدة على كل من جانبى الخط ، أى أن الخط يقسم الأراضى الصالحة للسكنى فى الكرة الأرضية الى قسمين متساويين ٠**

وهناك ناحية أخرى ٠٠ تلك هى أن الهرم الأكبر يقع على نقطة تقاطع خط الطول ٣٠ وخط العرض ٣٠ ٠ وهذه مسألة لا يمكن أن تكون من قبيل المصادفات ٠ ويجادل بعض من تعوزهم سعة الأفق ، فيقولون ان الهرم يقع بالضبط على



خريطة تمثل أحد قطاعات الهرم الأكبر ، وقد بدا موقع النجم القطبى من الهرم

انحراف قدره دقيقة واحدة و ٥١ ثانية من خط الطول ٣٠ ، وينسون الحقيقة العلمية التالية : ان المهندس اذا كان قد حدد موقع الهرم بحيث أن من يقف على سطح المبنى ويتطلع الى قطب السماء ، يجده على ارتفاع ٣٠ درجة تماما .. اذا كان المهندس قد فعل هذا ، فهو ولا بد قد حسب حساب انحراف الضوء وهو ينساب الى عالمنا خلال طبقات الهواء ، فرأى أن القطب لا يبدو على ارتفاع ٣٠ درجة ، الا اذا كان المرصد على ٢٩ درجة و ٥٨ دقيقة و ٥١ر٢٢ ثانية ! .. **وقد كان لدى قدماء المصريين من العلم ما مكنهم من هذا التقدير السليم !**

اللغز الذى حير العالم .. حله بناة الهرم !

• **ويقول** « هيرودوت » ان الكهنة المصريين ذكروا فى دراساتهم أن النسب التى وضعت للهرم الأكبر ـ النسب بين أبعاده ـ انما وضعت بحيث يكون المربع المقام على الارتفاع العمودى للهرم ، مساويا تماما لمسطح كل جانب من جوانبه المثلثة الشكل . وقد أثبتت عمليات القياس الحديثة صدق هذا القول . **ومن ثم فان الهرم الأكبر لم يكن مجرد مقبرة ، وانما هو صرح حسبت أبعاده وأطواله ، بحيث تمثل حقائق عددية ، ونسبا رياضية جديرة بأن تصان عبر الأجيال !** .. فكل شىء فى هذا الأثر التاريخى ينبىء بنسب بين أعداد : قاعدته ذات أربعة أضلاع ، وله أربعة وجوه ، ولكتلته خمسة جوانب بحساب القاعدة .. ويتميز النظام العشرى فى أرقام الهرم بتكرار الرقمين ٢ و ٥ ، ومن ثم يلعب الرقمان ٣ (٥ ناقص ٢) و ٧ (٥زائد اثنين) دورا ذا دلالة بالغة فى تلك الأبعاد !

ولعل الكثيرين قد سمعوا عن مشكلة « تربيع الدائرة » التى لا يزال بعض العلماء يعالجونها حتى الآن . وقدم هذه الفكرة يدعونا الى أن نوجز تاريخها وتطورها :

فلقد تعلمنا فى الهندسة كيف توجد مسطحات متساوية ،

كأن نحول مثلثا متساوى الأضلاع ، الى مثلث من شكل آخر مكافىء له فى المساحة . وكأن نرسم مربعا يساوى فى مساحته مساحة شكل معين . ونحن فى هذه الحالة نوجد مساحة الشكل المعين ، ونستخرج الجذر التربيعي منها ، فيكون هو طول ضلع المربع المطلوب . ولكن المشكلة الكبرى منذ القدم ، هى : كيف نرسم مربعا تساوى مساحته مساحة دائرة معينة ؟ .. أو بمعنى آخر ، كيف نوجد « تربيع دائرة » ، كما كان الأقدمون يقولون ؟ .. ان حل هذه المسألة يقوم على افتراض معرفتنا بكيفية استخراج مساحة الدائرة . وهذا يتوقف على محيطها ، وارتباط هذا المحيط بقطر الدائرة . فما هى النسبة بين هذين الطولين ؟ .. قد تبدو هذه المسألة سهلة اذا ما قسنا محيط الدائرة بخيط ، اذ نجده أكبر من ثلاثة أمثال قطرها ، وأقل من أربعة أمثاله . غير أن الصعوبة تتمثل فى تحديد النسبة بالضبط بين الثلاثة والأربعة الأمثال هذه ؟ .. وهذه مشكلة استعصت على الأجيال منذ أقدم عصور التاريخ . وقد خطا « أرشميدس » خطوة كبيرة يوم أثبت أن النسبة بين محيط الدائرةوقطرها تعادل ٣ و(١٠ على ٧٠) أو ٣و(١٠ على ٧١) ، والأول يعادل ٣ر١٤٢٨ .. وعلى مر الأجيال، أمكن ايجاد هذا الرقم متبوعا بما نشاء اثباته من اعداد عشرية . وكان أقرب تحديد الى الصحة ، هو ٣ر١٤١٥٩٢٦ ، وهو يقرب فى الحياة العملية عادة الى ٣ر١٤١٦ . ومما لا شك فيه أن تأخر الوصول الى ذلك الرقم حتى العصور الحديثة دليل على أن الوسائل التى استخدمت للوصول الى هذه النتيجة لم تكن موجودة فى العصور القديمة .

ومع هذا ، نجد أن الهرم الأكبر يقوم دليلا على أن الفراعنة توصلوا الى هذه النسبة منذ ٢٥٠٠ سنة ! .. فنحن اذا جمعنا أطوال الأضلاع الأربعة لقاعدة الهرم الأكبر (وكان طول الضلع عند ما بني الهرم ٢٣٢ر٨٠٥ من الأمتار) لوجدنا

المجموع ٩٣١ر٢٢٠ ٠ فاذا قسمنا هذا المجموع على ضعف ارتفاع الهرم (وقد كان عند بناء الهرم ١٤٨ر٢٠٨) لكان الناتج ٣ر١٤١٦ ٠٠ ترى أى نبع استقى منه بناة الهرم هذه الحقائق ؟ ٠٠ هذا لغز آخر !

ويلاحظ العالم « سانت فانسنت داى » أن نسبة القطاع الطولى للهرم ، الى مسطح القاعدة تعادل ٣ر١٤١٦١١ ٠٠

هذه النسب الرقمية تدعو الى الدهشة والعجب ٠ وقد لعب هذا الرقم دورا هاما فى تخطيط الفجوات التى استحدثت فى أماكن عديدة من التل الذى أقيم عليه الهرم الأكبر لضمان صحة اتجاهه

ومع ذلك ، فنحن لم نصل بعد الى كل ما هنالك !

وحدة القياس الحديثة ٠٠ فى الهرم الأكبر !

◆ هل كانت بعض الشعوب القديمة على درجة كبيرة من التقدم فى علم الفلك ؟ ٠٠ وهل كانت عند تلك الشعوب فكرة واضحة عن شكل الكرة الأرضية ؟ ٠٠ لا شك فى الجواب ، بالنسبة الى قدماء المصريين ٠ فان الكتابة الهيروغليفية تدلنا على أنهم لم يكونوا متقدمين فى هذه الناحية ، اللهم الا اذا كان كهنتهم ـ وهم طبقة ممتازة ـ قد احتفظوا بمعلوماتهم الفلكية ، وبالنتائج التى وصلوا اليها ، سرا مكتوما فى صدورهم ٠ على أن هذا الاحتمال يصطدم بصعوبات جمة ، فقياس الكرة الأرضية يتطلب أسفارا ورحلات ، فى حين أن المصريين لم يتركوا بلادهم ـ على ما يبدو ـ طوال عهود الأسرات الحاكمة القديمة ٠ والواقع أن المعرفة العميقة بكوكبنا ـ من حيث الشكل والأبعاد ـ غزوة من غزوات العصر الحديث ٠ وتفصيل ذلك يحتاج الى مجلدات ، ولكنا نوجز هنا المراحل الرئيسية فقط.

ما أن ذاع اليقين بأن الأرض تشبه كرة ألقى بها فى الفضاء ، كالكواكب الأخرى ، حتى جال بخاطر العلماء أن يقيسوا جزءا من سطح هذه الكرة ، بغية الوصول الى حقيقة أبعادها وكتلتها ٠ وكان «خط الطول» من أهم العناصر ، وهو دائرة كبيرة تمر بقطبى الكرة الأرضية ٠ فهى بذلك ٣٦٠ درجة ٠ فاذا عرفنا مقدار الدرجة الواحدة ، أمكن بعملية ضرب بسيطة أن نعرف طول محيط الدائرة كلها ٠ فكيف نحدد الدرجة ؟ ٠٠ كلما سرنا من الجنوب متجهين الى الشمال ، استطعنا بنظرة واحدة الى صفحة السماء ، أن نتبين أن القطب

السماوى يزداد ارتفاعا ، ففى المناطق الشمالية يكون النجم القطبى عموديا فوق رؤوسنا تقريبا · ومن الممكن حساب درجات هذا الارتفاع نحو التعامد ، فكلما ازداد درجة ، نكون قد قطعنا درجة على سطح الأرض

ومن هنا نبدأ ! ·· ففى القرن السادس عشر ، وجـد طبيب فرنسى يدعى « فرنل » تسلية فى أن يحصى عدد لفات عجلات عربته فى الطريق بين (باريس) و (اميان) · فهدته هـذه التسلية الى تحـديد مقدار الدرجة بما يعـادل ١١١٥٣٢ر٤٣ مترا · ولم ينقض وقت طويل ، حتى أخذ العلماء فى تطبيـق وسائل وطرق للقياس أكثر صلة بالعلم ، لقياس قوس خط طولى ، فى أمكنة متعددة ، ولكن القياس لم يأت واحدا فى كل الأمكنة ، مما حدا بأكاديميـة العلوم الفرنسية الى أن تعهد ـ فى القرن الثامن عشر ـ الى الأب « بيكارد » ـ وكان من المهندسين الأعلام ـ بأن يقيس ضلع مثلث يقع بين (مالفوازان) و (اميان) · واستخدم المهندس أدوات دقيقة فى مهمته ، فاذا النتيجة لاتبعد كثيرا عما توصل اليه « فرنل » عن طريق عجلات عربته ! ·· ولكن العلماء ما لبثوا أن اهتدوا الى حقيقة دعتهم الى نقض كل ما تقدم · فقد لوحظ أن الثقل الذى يسير بندولات ساعات الحائط ، لا يعمل بنفس القـوة فى جميع بقاع الأرض ، وان الساعة تؤخر الزمن كلما اقتربت من خط الاستواء ، وتقدمه كلما اقتربت من القطبين ، مما يدل على أن القطبين وخط الاستواء ليست على أبعاد متساوية من مركز الأرض ، الذى يجذب البندول نحوه ·· وبالتالى ، يدل هذا على أن الأرض منبسطة (مفرطحة) عند القطبين ، ومنبعجة عند خط الاستواء · فضلا عن أن للقوة المتولدة عن حركة دوران الأرض حول نفسها ، دخلا كبيرا فى خفض الثقل ـ أو بالأحرى تقليل الجاذبية ـ عند خط الاستواء

ومن ثم أوفدت بعثات الى أقطار مختلفة فى شتى بقاع الأرض ، أثبتت أن أقواس خطوط الطول مختلفة الأطوال فيما بينها · ولكن بعض العلماء أثبت أيضا أن الأرض منبسطة (مفرطحة) عند خط الاستواء ، وأزاء هذا التضارب، رؤى ترجيح الرأى النظرى القائل ان الأرض منبسطة عند القطبين ، منبعجـة عند خط الاستواء

وجاءت الثورة الفرنسية ، فقررت تغيير نظام المقاييس والمكاييل فى فرنسا · وعهدت الجمعية التأسيسية ـ فى سنة ١٧٩٠ ـ الى أكاديمية العلوم بالبحث عن وحدة طبيعية أساسية للمقاييس ، تكون ثابتة ، وسهلة الحسـاب · فانتهت الأكاديمية الى اتخاذ « المتر » وحدة للقياس ، على أنه يمثل جزءا من عشرة ملايين من ربع خط الطول · وفى سنة ١٨٤١ ، تبين أن « المتر » الفرنسى يقصر عما يجب بمقدار جزئين من عشرة أجزاء من المليمتر ·· وكان السبب راجعا الى أن شكل الكرة الأرضية ـ أى استدارتها ـ غير منتظم ، ومن ثم فلكل خط

من خطوط الطول شكل خاص ! .. وكذلك الحال بالنسبة لخطوط العرض ،فخط الاستواء نفسه غير منتظم . ولما كان علماء الفلك فى حاجة دائمة الى استخدام قطر الأرض فى عملياتهم ، فقد وضعت جداول للمتوسطات . ووجد أن المسافة بين القطب ومركز الكرة الأرضية هى ٧٠٠ر٣٥٦ر٦ متر ، فى حين أن المسافة بين خط الاستواء ومركز الأرض هى ٣٠٠ر٣٧٨ر٦ ، وليس هذا بالفرق الجسيم، ولكنه لا يمكننا من استنباط وحدة ثابتة ، دقيقة ، للقياس

والذى فات العلماء جميعا ، هو أن ثمة طريقة تمكن الشعوب جميعا من الحصول على وحدة طولية واحدة . تلك هى اتخاذ محور الأرض نفسه وحدة ، اذ أن طوله ثابت لا يتغير .. أو هو كذلك طوال ملايين عديدة من السنين ، على الأقل . وقد أمكن بحساب انبساط الأرض عند القطبين ، بالنسبة للانبعاج عند خط الاستواء - فى القرن التاسع عشر - تقدير طول نصف القطر القطبى للأرض بحوالى ٧٠٠ر٣٥٦ر٦ متر تقريبا . وبذلك استطعنا أن نحصل على وحدة ثابتة،دقيقة التحديد،للقياس الطولى، مستندة الى القطر القطبى ،وهى الكيلو متر

وهنا نكشف عن معجزة أخرى من معجزات الفراعنة .. اذ نجد هذه الوحدة ممثلة فى قاعدة الهرم الأكبر . واليك البيان :

كان الفراعنة يقيسون الأبعاد بالبوصة والذراع . وكان لديهم نوعان من المقاييس : مقياس عادى للشعب ، ومقياس مقدس يقتصر استعماله على الكهنة وحدهم . وكان «الذراع المقدس» هو الذى استعمل فى بناء هرم « خوفو » ، وكثيرا ما أطلق عليه اسم « الذراع الهرمى » . وكان هذا الذراع مقسما الى ٢٥ بوصة هرمية . ومن العجيب حقا أن هذه البوصة كانت جد قريبة من البوصة الانجليزية ، اذ أن كل ٩٩٩ بوصة هرمية تعادل ١٠٠٠ بوصة انجليزية. أى أن البوصة الهرمية تساوى ٤٢٦٤ر٢٥ من المليمترات ، فيكون الذراع المقدس الذى استخدم فى بناء الهرم ٦٦٠ر٦٣٥ من المليمترات . واذا ضربت هذا الرقم فى ١٠ ملايين ، كان الناتج ٦٠٠ر٣٥٦ر٦ متر . وهذا لا يختلف عن آخر رقم حدده العلم الحديث لطول نصف القطر القطبى للأرض ، بأكثر من مائة متر ، أى بجزء من عشرة من الكيلو متر !

واذن ، فالذراع الهرمى المقدس يمثل جزءا من عشرة ملايين من نصف قطر الكرة الأرضية الممتد من أى القطبين الى مركز الكرة ! .. أى أن الفراعنة سبقوا العلم الحديث بدراساته ، وتجاربه ، وأبحاثه ، وأدواته الفنية الدقيقة .. سبقوه بأربعة آلاف عام !

الفراعنة عرفوا وزن الأرض .. وعدد أيام السنة !

◆ والآن ، ننتقل الى المقررات العلمية المتصلة بالتقويم .

عرفنا من قياس خط الطول ، وحركة بندول الساعة ، أن الأرض منبسطة عند القطبين ، ومنبعجة عند خط الاستواء ٠ كما أننا نعرف أن للأرض محورا مائلا نحو الشمس ، وهذا الميل يجعل المنطقة الاستوائية مواجهة للشمس مع شيء من الانحراف ٠ أى أن الشمس تعمل دائبة على جذب انبعاج الأرض فى المنطقة الاستوائية الى ناحيتها ، ونتيجة لذلك يتذبذب محور الأرض جيئة وذهابا حول مركز وسط ، وقد حسب العالم « تيكوم » هذه الذبذبة بأحدث الأساليب العلمية ، فتبين أن هذه الحركة رغم بطئها ـ اذ تعادل ٢٥ر٥٠ ثانية ـ تتراكم على مر السنين ، بحيث ينقضى ٢٥٨٠٠ عام تقريبا ، قبل أن يعود المحور الى مكانه الأصلى بالنسبة للسماء ٠

ومن عجب أن هذه النتيجة تستفاد من الهرم الأكبر ٠ ويكفى لحسابها أن نجمع ما فى قطرى قاعدة الهرم من بوصات هرمية ، فنجده ٢٥٨٠٠ !

ولقد أظهرت الأبحاث العلمية منذ سنة ١٣٠ قبل الميلاد ، أن الشمس كانت فى ذلك العهد تظهر أثناء الاعتدال الربيعى فى برج الجدى ، وهى الآن تظهر فى برج الحوت ، واذن فقد تحول الاعتدال الربيعى بنحو ٢٧ درجة ٠٠ وهذا التحول يقصر أمد السنة ـ حسب التقويم الذى نتبعه ـ بعض الشيء ٠ وبمعنى آخر ، يختلف الزمن بين أى اعتدالين ربيعيين ـ أى السنة الاستوائية ـ عن زمن دوران الأرض حول نفسها ، أى السنة الشمسية ٠ وذلك لأن سنتنا تعيد الفصول فى مواعيد ثابتة ، بعكس الواقع حسب السنة الاستوائية ٠ فهل عرف الأقدمون طول السنة الاستوائية ؟ ٠٠ لو أننا ضربنا رقم ١٤١٦ر٣ فى طول الغرفة الملاصقة لغرفة الملك فى الهرم الأكبر ـ بعد تقويمه بالبوصة الهرمية ـ لوجدنا الناتج ٣٦٥و٢٤٢من ألف وهو عدد أيام السنة بالدقة ٠ أما السنة الكبيسة ، فيمثلها طول ضلع قاعدة الهرم مقوما بالبوصة الهرمية !

ولو أننا حسبنا حجم الهرم الأكبر ، وضربناه فى ٠٦ر٢ ، وهو متوسط كثافة الأحجار التى استخدمت فى بنائه ، لوجدنا أن الأعداد الثلاثة الأولى من الناتج تعطينا مقدار كثافة الأرض ٠ وهذه النتيجة تطابق تماما ما انتهت اليه التجارب الحديثة من أن كثافة الأرض تبلغ ٥٢ر٥ !

والآن ، خذ وزن ذراع هرمى مكعب من مادة تعادل كثافتها متوسط كثافة الكرة الأرضية ، واستخدم هذا كوحدة للوزن ، تجد أن وزن الهرم الأكبر بالنسبة للوزن الكلى للكرة الارضية ، يعادل ١الى ١٠ أس ١٥ ، أى ١٠ مضروبة فى نفسها ١٥ مرة ! ٠٠ وهكذا عرف الفراعنة وزن الأرض !

أصل الرطل الانجليزى ٠٠ فى غرفة الملك بالهرم !

◆ وهاك حقيقة أعجب : فى مركز كتلة الهرم الأكبر توجد غرفة عظيمة

الاتساع تسمى غرفة الملك ، يقوم فيها وعاء ظنه البعض تابوتا ، فى حين أنه أعمق من التابوت ٠ فهو حوض من الجرانيت الأحمر نحت بدقة وعناية ، بحيث جاءت زواياه قائمة ٠ وهو بدون غطاء ، ويبلغ تجويفه من الداخل ٠ر٨٥ من المتر عمقا ، و ١ر٩٧ من المتر طولا ، و ٠ر٦٨ من المتر عرضا ٠ ويبلغ مجموع السطح الخارجى له ضعف التجويف الداخلى تماما ٠٠ أى أن حجمه من الخارج ، ضعف الفراغ الذى بداخله ، وتدل كل الشواهد على أن له غرضا هندسيا !

وبعملية حسابية بسيطة ، نجد أن تجويفه الداخلى يقرب من ٦٩٠٠٠ بوصة هرمية مكعبة ٠ وهذه هى نفس النتيجة التى نخرج منهـا اذا ضربنا متوسط كثافة الأرض فى وحدة وزن تقدر بثقل ٥٠ بوصة هرمية مكعبة من الماء فى درجة حرارة ٢٠ مئوية ، وهى متوسط الدرجة داخل الهرم على مر السنة ٠ وعلى هذا ، فان حجم التجويف لم يقدر اعتباطا ، أو مصادفة ٠ وانما هو وحدة قياس مقصودة بالذات ٠ فنحن نجد أن رقم ٦٩٠٠٠ مضروبا فى متوسط كثافة الأرض ، يعادل وزن ١٢٥٠٠ بوصة مكعبة هرمية من الماء ٠ فاذا قسمنا هـذا الوزن على ٢٥٠٠ جزء ، كان الناتج ٤٥٣ر٥٩ ٠٠ بقى أن تعـرف أن الرطل الانجليزى يعادل ٤٥٣ر٥٩ جراما !

فهل هذا أيضا من قبل المصادفة ؟ ٠٠ الواقع أن الرطل الانجليزى انتقل خلال الأجيال الى عصرنا ، قياسا على وحدة القياس الكبرى للهرم !

واذا حسبنا ربع سعة هذا الحوض من الداخل ، نجده يعادل مكيالا آخر من المكاييل الانجليزية يسمى « الكوارتر » ، ويعادل ٢ر٩ هيكتومترا !

ولعل هذا قد يسر الانجليز ، ولكنه يلقى بنا فى بحار التأمل والتفكير !

(ومسألة تقدير المسافة بين الأرض والشمس تقديرا دقيقا، هى أم المسائل فى علم الفلك الحديث٠ فماذا ترى لدى المصريين عنها ؟

هذا ما تدور حوله الحلقة الثانية من هذا الكتاب ، وسنقدمها لك فى العدد القادم باذن الله)



تلخيص : فرج جبران

نابليون .. القائد العاشق !

◆ لا تزال حياة « نابليون بونابرت » - على كثرة ما كتب عنها - موردا فياضا للأقلام ، ولا تزال فى جنباتها وثناياها نواح محوطة بغموض يستهوى الباحثين والمؤرخين والكتاب . و « غراميات الامبراطور » ، التى أقدمها لك اليوم، ناحية من هذه النواحى ، امتزج فيها التاريخ الواقعى وحقائقه ، بالخيال الشاعرى وأحلامه !.. فلقد منحت الطبيعة ذلك الكورسيكى قلبا كبيرا ، لم تكف المطامع والآمال لشغل فراغه ، بل ظل فيه دائما متسع للحب والهوى !.. واذا كانت لهفته فى انجاب وريث لمجده قد أظهرت بعض غراميات نابليون فى شكل مادى ، الا انه فى غراميات أخرى كان شاعريا ، حتى لتعد خطاباته الى « جوزفين » و « مارى فالفسكا » نماذج لرسائل الحب الحالمة !

فتعال معى نتعرف على النساء اللاتى عشن فى حياة ذلك القائد الجبار !

لقاء .. مع فتاة من الطريق !

◆ « لقد منحته الطبيعة قلبا كبيرا ، مخلصا ، لا ينسى الجميل .. بل ان فى وسع المرء ان يقول انه قلب سريع التأثر والاحساس ! »

لعل هذا الوصف كان أصدق ما قيل فى « نابليون » .. ذلك العبقرى الذى جمع بين احساس الطالب الشاب وروح قيصر !

ومثل هذا القلب الكبير ، لا شك يحوى الكثير !

فى ذات مساء من عام ١٧٨٧ ، تعرف نابليون - وكان فى الثامنة عشرة من عمره - بفتاة ، على مقربة من (الباليه رويال) . وقد كانت هذه المقابلة أولى مغامراته الغرامية .. فلنتركه يصفها بنفسه :

« كنت قد تركت بوليفار الايطاليين وأخذت أسير بخطى

حثيثة فى شوارع (الباليه رويال) • وكانت حرارة روحى الوثابة قد جعلتنى أحتمل البرد القارص ، فلا أكاد أحس به • وفجأة ، وقع بصرى على فتاة حسناء • وكان الوقت الذى رأيتها فيه ، وقوامها النحيف ، وشبابها •• كل هذه جعلتنى أظنها فتاة ! •• ونظرت اليها ، فتوقفت عن المسير • ولكنها لم تقف فى خيلاء ، بل فى مظهر يتفق مع شكلها • وكان لونها بديعا ، ونظراتها رقيقة ، كما كان الجو عاطفيا ، شاعريا • وشجعنى ما بدا عليها من خجل ، فبدأ الحديث بيننا :

ــ ان شـــكلك يدل على الضعف •• وانى لأدهش كيف تحترفين مهنة كهذه ؟!

وقالت الفتاة : « **آه يا سيدى •• يجب ان أصنع شيئا على أية حال !** »

ــ ولكن ، أليست هناك مهنة أخرى يمكن ان تتفق مع حالتك الصحية ؟

ــ لا يا سيدى •• يجب ان أعيش !

« كان هذا هو منطق فتاة الطريق • وسيظل دائما منطقها • **فان فتاة الطريق لا تحترف تلك المهنة عن حب لها أو اقتناع بمزاياها ، ولكن لأنها يجب ان تعيش • وما ان تحترف هذه المهنة ، حتى يصعب عليها ان تجد مهنة أخرى تنتقل اليها !** »

واهتم بونابرت الشـاب بأمر هذه الفتـاة اهتماما كبيرا ، وخطر بباله أن يسـألها : « كيف انتهيت الى الشارع •• الى احتراف هذه المهنـة ؟! » ، فكان جوابها : « ان ضـابطا من الضباط هو السبب ! »

وسألها بونابرت : « وهل أنت غاضبة لهذا ؟ » •• فقالت الفتاة وقد بدا الاضطراب فى صوتها : « ان اختى تنعم بحياة مستقرة ، فلماذا أحرم أنا من مثل هذه الحياة ؟! »

وأحس بونابرت بالشفقة على الفتاة ، فصحبها معه ، تدفعه دماء الشباب الحارة التى كانت تجرى فى عروقه ، علاوة على

مظهر البساطة الذى كان يبدو على الفتاة الصغيرة السن ، مما جعلها تختلف اختلافا كبيرا عن أولئك المحترفات اللائى تزخر بهن شوارع باريس · ولعل هذا هو ما آثر فى نفس بونابرت أكثر من أى شىء آخر !!

« ديزيريه » تتعهد بعدم الزواج ·· ثم تتزوج !

◆ **وبعد** سنوات قليلة ، فتن نابليون – فى مدينة مارسيليا – بالحسناء « ديزيريه ايجينى كلارى » ، شقيقة زوجة أخيه « جوزيف بونابرت »

وظلت « ديزيريه » – خلال المدة التى أمضاها الضابط الشاب فى مارسيليا – تكتب له الخطابات الرقيقة ، حتى اذا رحل الى باريس ، أرسل اليها صورته · ولكنه ما لبث ان نسى كل ما يتعلق بهذه الفتاة ، فى غمار الحياة الباريسية الصاخبة ·

واتصل اذ ذاك ، وعلى التتابع ، بمدام « دى برتون » ، ومدام « دى بوكاردى » ، ومدام « دى ليباردا » · ثم فكر فى الزواج من احدى الارستقراطيات الأنيقات !

وعندما وصل الى مسامع «ديزيريه» ان صديقها «بونابرت» قد منح اسمه ولقبه الى مدام « بوهارنيه » – الامبراطورة « جوزفين » فيما بعد – كتبت اليه خطابا تتدفق عباراته حبا واخلاصا ، اذ قالت فيه :

« لقد تسببت فى شقائى مدى الحياة ·· ومع ذلك ، فمازلت أشعر بالضعف الذى يجعلنى أغفر لك كل ما ألحقته بى من أذى !·· لقد أصبحت الحياة عبئا ثقيلا بالنسبة لى ، ما دمت قد فشلت فى ان أقفها عليك · هل تزوجت حقيقة ؟! ليس فى مقدورى ان أروض نفسى على قبول هذه الفكرة ، فانها تكاد تقتلنى · وسوف ترى انى سأبقى وفية لعهودى ، وانى – على الرغم من انك قطعت كل ما كان يربط بينى وبينك – لن أتزوج مطلقا ! ·· وانى لأرجو ، وأنت تنعم بالسعادة فى

أوجها ، ان لا تنسى « ديزيريه » !

ومنذ ذلك اليوم ، لم يعد «بونابرت» يفكر الا فى شىء واحد، هو ان يصلح الضرر الذى سببه للفتاة ، بأن يرتب لها زيجة طيبة تتناسب مع اخلاصها له ! ٠٠ ولكن الأقدار كانت أبعد منه تدبيرا ، اذ شاءت للفتاة أن ترقى احد عروش أوربا ٠ ولو انها تزوجت من « نابليون » ، لما قدر لها ان تصبح امبراطورة على فرنســا ، بل لما قدر له هو أن يصبح امبراطورا ، لأن « جوزفين » هى التى وجهته ودفعته فى هذا الطريق !

وهكذا تزوجت « ديزيريه » من « برنادوت » ـ أحد قادة جيوش نابليون ـ رغم كل العهود التى أشارت اليها فى خطابها بأن تظل بلا زواج ! ٠٠ فلما ارتقى زوجها عرش السويد ، غدت ملكة على تلك البلاد !

الساحرة الحمراء !

◆ **والآن** ، يأتى دور جوزفين !

لكم تردد ان بونابرت، تزوج جوزفين سـعيا وراء مصلحته الخاصة ، وانه ساعد « باراس » ـ أحد أعضاء حكومة الادارة ـ على التخلص من عشيقته « جوزفين » ، بأن تزوج منها ، فكافأه « باراس » على ذلك بأن ولاه قيادة الحملة الايطالية !

على ان المؤرخ الفرنسى « بول ديشانيل » كتب يقول فى ذلك الأمر : « **ان هذا الشاب الطموح ، والذى لا يعبأ بشىء فى سبيل تحقيق مطامعه ، لا يمكن ان يكون قد تزوج من عشيقة باراس ـ التى تكبره بسبع سنوات ، والتى ساعدته على تحقيق أهدافه ، وشهدته يرقى سلم العظمة ـ الا لكى يرتفع فى نظرها ، بل وربما فى نظر نفسه أيضا ٠ ولا شك فى أنه قد أطاع بزواجه هذا عاطفة جامحة ، لم يكن فى مقدور أحد ان يقاومها ٠ فقد كانت جوزفين ساحرة حمراء ، وفاتنة لا نظير لها !**

ولا شك ان المصلحة الخاصة كان لها دخل فى زواج بونابرت

من جوزفين ، اذ ان كل زواج يقوم على مصلحة ما ٠ ولكن الثابت انه كان يحبها ، وان لم يكن ثابتا انها قد أحبته !

وعندما تم اللقاء الأول بين جوزفين وبونابرت ، كانت هى قد أصيبت بطائفة من النكبات : كان زوجها قد انتهى الى المقصلة وتركها بلا مال ٠ وكانت تقطن مسكنا صغيرا بشارع شانترين (وقد أطلق عليه فيما بعد اسم شارع الفيكتوار ـ أى النصر) ٠ ومع ان أثاث المسكن كان متواضعا ، الا انه كان كافيا للتأثير على نابليون !

على ان المقابلة الاولى تمت فى ظروف عجيبة ٠ فقد حدث ان أصدر نابليون أمرا ـ بوصفه قائدا لقوات الأمن الداخلى فى فرنسا ـ بنزع السلاح من جميع سكان باريس ٠ وفى ذات يوم ، جاءه صبى يافع يطلب منه ان يسمح له بالاحتفاظ بسيف والده !٠٠ وكان هذا الصبى هو « ايجين بوهارنيه » ، فأجابه بونابرت الى طلبه ٠ وفى اليوم التالى ، ذهبت أم الصبى الى القائد لتشكره على اجابة طلب ولدها ٠٠ وكانت هذه الأم هى ٠٠ جوزفين بوهارنيه !

وكان نابليون فى هذا الوقت قد بلغ السادسة والعشرين من عمره، ولم يكن قد عرف غير حياة الريف وحياة المعسكرات٠ ولذا استطاعت جوزفين ، بفضل ما أوتيت من جمال ورشاقة وأناقة ، ان توقع القائد الشاب فى شباك غرامها ٠ واستسلم نابليون فى الحال !

وذهب يرد الزيارة لجوزفين فى منزلها ، ثم أخذ يتردد عليها فى كل يوم ٠ وفى أقل من أسبوعين ، كان بونابرت قد أضحى عاشقا لا يملك ان يكبح جماح عاطفته المتقدة ٠ وأحست المرأة بالثورة التى تعتمل فى قلب العاشق ، فزادت تمنعا ، وبالتالى زادت سحرا فى نظره !

ولم يسعه فى النهاية الا ان يتقدم اليها ، يسألها ان تقبله زوجا لها ! ٠٠ وكان اذ ذاك قد أصبح قائدا عاما لقوات الأمن

الداخلى ، ورسم خطة الحملة الايطالية . فساعدته « جوزفين » بمساعيها على ان يتولى قيادة هذه الحملة .. وأكد كثير من المؤرخين ان ترقية « نابليون » كانت هدية من « باراس » الى « جوزفين » عندما قرر هجرها ، و « خلعها ! » على الضابط الشاب !

الامبراطور والامبراطورة .. مزوران !

◆ **وعقد** الزواج فى ٩ مارس سنة ١٧٩٦ . واستعانت « جوزفين » بمسجل للعقود لتزوير شهادة ميلادها ، حتى تقتطع من سنها الحقيقية أربع سنوات ! .. وقال لها المسجل وهو يسلمها الشهادة : « انك تتزوجين من رجل ليس له غير قبعته العسكرية وسيفه .. فأنت بهذا ترتكبين حماقة كبرى ! » .. **ومن دعابات القدر انه جمع بين « نابليون » ومسجل العقود هذا بعد بضع سنوات ، وفى ليلة تتويج « نابليون » بالذات ، فقال هذا للمسجل : « وبعد يا سيدى ! .. أليس لى الآن أكثر من قبعتى العسكرية وسيفى ؟! »**

ومن الطريف ان « نابليون » زور هو الآخر شهادة ميلاده - يوم زواجه - ليزعم انه ولد في (باريس) ، وليس فى (اجاكسيو) ، وليعدل من عمره الحقيقى .. تماما كما فعلت جوزفين ! .. وعندما خلا « العريس » الى عروسه فى مخدعهما ، اكتشف « نابليون » شاهدا أراد ان يفرض وجوده عليهما فرضا ! .. وعندما حاول « نابليون » ان يطرده من الحجرة ، أبى وترك فى ساق نابليون عضة مؤلمة ! .. فقد كان هذا الشاهد كلبا صغيرا اسمه « فورتينيه » ، أى « المحظوظ » ! .. وكأنما كانت هذه العضة عربون صداقة ، فقد كتب نابليون لجوزفين بعد ذلك من ايطاليا ، قائلا : « أبعث اليك بملايين من القبلات .. وكذلك لفورتينيه رغم شراسته ! » .. بيد انها - على ما يبدو - كانت صداقة مبنية على غش .. اذ أمر نابليون

طباخه - فيما بعد - بأن يبحث له عن كلب كبير يستطيع ان يقضى على كلب جوزفين المدلل !

ولم يدم شهر العسل أكثر من يومين ، ثم رحل بونابرت على رأس الحملة الايطالية • وكان يتناول قلمه فى كل مرحلة ، ليكتب الى جوزفين • وكانت رسائله حافلة بالعواطف المشبوبة ، والخيال المرهف •

كتب اليها فى ٣ ابريل يقول :

« يا وحيدتي جوزفين : انى لأرى العالم بأسره - وأنت بعيدة عني - كالصحراء المقفرة ، وأشعر بأننى فى عزلة ، فبأي فن تمكنت من ان تستحوذى على كل حواسى ، وان تركزى فى شخصك حياتي بأسرها ؟! •• فأنا أحيا من أجل جوزفين •• وهذه هى قصة حياتى كلها ! »

وأخذ يناشدها أن تلحق به ، ولكنها كانت تستمرىء الحياة فى باريس ، حيث الحفلات والمآدب التى شغلتها عن الكتابة اليه • وفى ١٥ يونيو ، كتب لها فى لهجة تقطر أسى ولوعة :

« ليست حياتى الا كابوسا متواصلا ، حتي ليستولى على شعور مقبض يكاد يحبس أنفاسى •• فكأننى لا أعيش مطلقا ! •• بل اننى فقدت ما هو أكثر من الحياة ، وأكثر من الهناءة ، وأكثر من الراحة • لذلك أوفد اليك هذا الرسول - الذى لن يبقى فى باريس لأكثر من أربع ساعات - ليعود الى برسالة منك • اكتبى لى عشر صفحات على الأقل ، عسى ان يخفف هذا من لوعتى •• ولو قليلا ! •• ان الحب الذى بعثته فى نفسى أفقدنى صوابى ، ولن أسترده بعد اليوم •• اذ ان المرء لا يبرأ من مرض كهذا الحب ! •• وانى لأرتضى ان أضحى بنظرى بعد ان أراك •• بل أهفو الى ان أضمك الى فؤادى ، ثم •• نموت معا ! •• اننى أعيش بلا اشتهاء لأى طعام ، وبلا نوم ، وبلا ميل لحب أو لصداقة ، أو لمجد ، أو لوطن ، على السواء ! •• انما

أتوق اليك ٠٠ أنت ٠٠ وأنت فقط ! ٠٠ وبغيرك لا أشعر للعالم كله بوجود ! »

فهل من قائد مظفر يملك ان يصف آلام الحب بأبلغ من هذه العبارات ؟ ٠٠ وهل قدر لقائد منتصر ان يكون أكثر من هذا شعورا بهوانه أمام الحب ؟ ٠٠ بل ان نابليون اعترف ـ فيما بعد ـ بأن اقدامه على غزو ايطاليا لم يكن الا عن رغبة فى ارضاء جوزفين ٠٠ وحدها !

وأشفقت عليه جوزفين أخيرا ، فقررت ان تلحق به فى ايطاليا ٠ فلما بلغت (ميلان) ، استقبلت استقبال الملكات ٠ ولكنها ـ مع ذلك ـ لم تلبث ان شعرت بالسأم والضجر ٠ وعندما عادت ، أخذ نابليون يشكو من صدها الذى تمثل فى فتور خطاباتها ، فى حين ان خطاباته هو كانت تشتعل حرارة، حتى لقد كتب اليها يوما يقول : « ان خطاباتك باردة ، وكأنها تصدر عن امرأة فى الخمسين من عمرها ٠٠ بل ما أشبهها برسائل امرأة انقضى على زواجها خمسة عشر عاما ! ٠٠ انها لتفصح عن عواطف المرء حين يكون فى شتاء الحياة ! » ٠٠ وكثيرا ما كان وجده يرقى به الى خيال الشعراء ٠ فقد كتب لها مرة قبل احدى المعارك يقول : « ها أنا ذا بعيد عنك ٠٠ شد ما يخيل الى اننى هويت فى ظلمات سحيقة ٠٠ ما أشد حاجتى الى الضوء ـ ضوء تلك النيران التى سنصبها على أعدائنا ـ لكى أخرج من الدياجير التى ألقانى فيها بعدى عنك ! » ٠ وهكذا كان وجده يدفعه الى الامعان فى الحرب !

الزوج ٠٠ آخر من يعلم !

◆ **وفى** خطابات أخرى ، يتجلى مدى ارهاف مشاعر نابليون ٠٠ ذلك الارهاف الذى كشف له عن خيانة جوزفين ٠ اذ حدث أثناء وجوده فى مصر، ان بدرت من أحد أعوانه ملاحظة سخيفة، أدرك منها بونابرت لفوره انه عاشق مخدوع ! ٠٠ **وأكد كثير**

من المؤرخين ان شريك جوزفين كان من ضباط زوجها ، وكان يمتاز بسمرة فتنتها !٠٠ وقيل انها لما لحقت بنابليون فى ايطاليا ، تبعها ذلك الضابط ٠٠ وكان الجميع يعرفون انه عشيقها ، الا ٠٠ الزوج ذاته ! ٠٠ على انه ما لبث ان عرف ، فكان - كما هى العادة - آخر من عرف ! ٠٠ ومع ذلك ، فقد غفر لها ، رغم ما كان يقاسيه من عذاب ٠ وكان من الغريب ان يقبل قائد عظيم ، مظفر ، مثل تلك الخيانات الوضيعة التى كانت جوزفين تتردى فيها !

وعندما اضطر الى الانفصال عنها - فيما بعد - لأنها لم تنجب له ولدا ، أغدق عليها ثروة كبيرة ، وحفظ لها لقبها الامبراطورى، وأمر لها بايراد سنوى يبلغ مليونين من الفرنكات!

وقدر لها ان لا تموت قبل ان تستقبل زوجها مع عروسه الجديدة ، فى سنة ١٨١٤ !

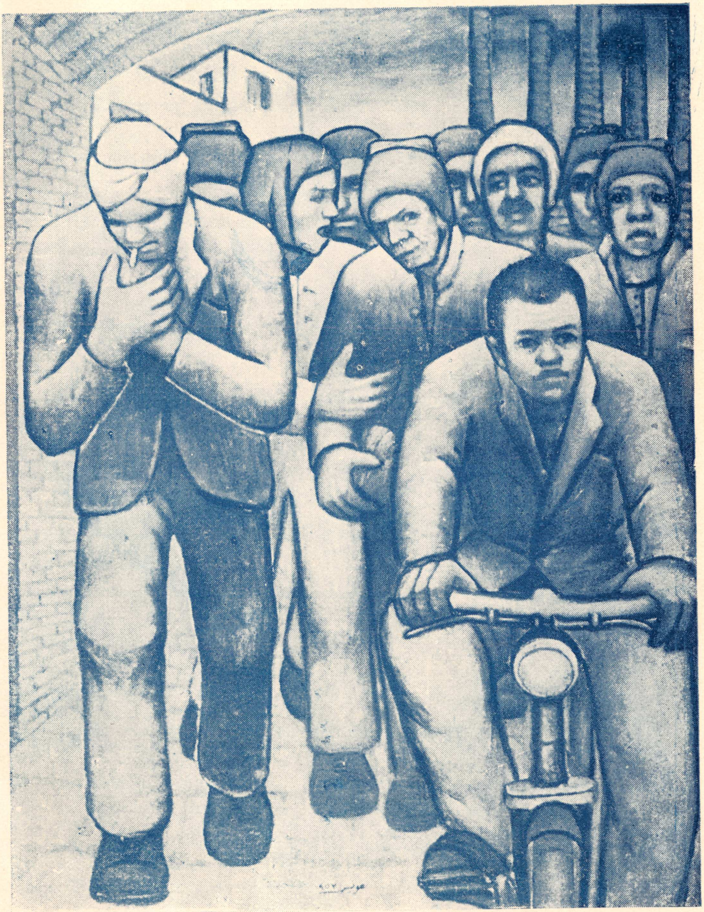
وكانت رغبة نابليون فى ان يكون له ابن يرث عرشه ومجده ، هى شغلة الشاغل ٠٠ وفى سبيل هذه الرغبة استباح لنفسه ما آمله من «جوزفين» ، فتعددت خياناته لها ، فى ظلال الاهرام ! ٠٠ وكانت شريكته فى هذه الخيانات امرأة ذات جمال باهر ، وقد خالجه أمل قوى فى ان ينجب منها طفلا ٠٠ تلك هى مدام «فوربيس» ، التى روى « بوريين » - السكرتير الخاص لنابليون - قصتها قائلا :

« شعر القائد بالضجر ذات ليلة ، فذهب الى منزل بشارع ألفى بك - بالقاهرة - حيث أحضروا له ست نساء من التركيات والشركسيات الجميلات ، قالوا عنهن انهن أجمل ست نساء فى مصر ٠٠ فتأملهن « نابليون » واستعرضهن ٠٠ ولاحظ انهن



« سودانية » من ريشة « مارب ـ بردا »

(من معروضات صالون القاهرة الثانى والثلاثين)



« الخروج من المصنع » للفنان محمد حامد عويس

(من معروضات صالون القاهرة الثانى والثلاثين)



جميعا بدينات، ثقيلات الأرداف، لا تتسق أجزاء أجسامهن مع قواعد الرشاقة ، فصاح فيمن جاءه بهن : « اننى أشمئز من منظرهن ، فما هن بنساء ، وانما هن أشبه بقرب الماء ! » ٠٠ ومن ثم بدىء فى البحث عن امرأة ترضى القائد الشاب !٠٠ وعثر الباحثون على زوجة ضابط من صغار ضباط الجيش ، تدعى مدام فوربيس ـ وكانت مشهورة بجمالها وخفة روحها ـ فأثث لها نابليون منزلا فى مصر ، وأوفد زوجها فى مهمة عسكرية الى باريس ليخلو له الجو معها !

« وكان من سخرية القدر ، ان وقع الزوج فى أيدى الانجليز ـ الذين كانوا يحاصرون شواطىء مصر ـ فلما استجوبوه وعرفوا سر رغبة نابليون فى اقصائه ، أطلقوا سراحه ، وساعدوه على العودة الى مصر ، عسى ان تثور دماء الغيرة فى عروقه ، فيحاول الانتقام من نابليون ٠ وهكذا عاد «فوربيس» الى مصر ، فى الوقت الذى كان قائد الحملة المصرية يعلن فيه لمن حوله تلهفه فى ان ينجب الابن المنشود من مدام «فوربيس» ! ٠٠ ولكن « الولد » لم يأت ! ٠٠ وقال نابليون للمرأة فى مرارة : « انك لا تصلحين لانجاب ولد ! » ، فأجابت وقد اشتد بها الخجل : « قد لا أكون المسئولة عن ذلك يا سيدى ! » ٠٠ وظل انجاب الولد مستوليا على تفكيره دائما »

عشيقتان من أهل الفن !

◆ لم تدخل حياة نابليون من أهل الفن سوى امرأتين : مغنية ، وممثلة ٠

وكانت الاولى هى مدام « جازانى » ، أما الثانية فكانت مدموازيل « جورج »
كان نابليون قد التقى بمدام جازانى - المغنية - فى (ميلان) ، فأعجب بجمالها وصوتها . وروى « فوشيه » فى مذكراته ان نابليون أغدق عليها الهدايا الثمينة ، وأمر أحد ضباطه بالاتفاق معها على الذهاب الى باريس . وهناك ، أقامت عدة حفلات على مسرح (التويلرى) ، حيث اشتد الاعجاب بصوتها . وكانت تتقاضى فى الشهر خمسة عشر ألفا من الفرنكات ! .. وعينت المرأة قارئة خاصة للامبراطورة ، كما عين زوجها فى منصب حكومى فى (ايفريه) . بيد ان المحظية الجديدة ما لبثت ان استغلت مركزها أسوأ استغلال .. فقد راحت تطالب بحقوق وامتيازات خاصة ، مما جعل نابليون يضيق بها ، ويفكر فى ابعادها الى ايطاليا . ولكن جوزفين قالت له ، حين أوعز اليها بأن تستغنى عن خدماتها : « لا يا سيدى .. يجب ان لا تبعث اليأس الى نفس شابة تخلت عن واجباتها بسببك . ومن يدرى ، فقد لا ألبث ان أجد نفسى فى مثل وضعها عما قريب ! .. سأجد اذ ذاك نفسى فى مثل بؤسها ، وسأبكى معها ، وستفهمنى كما أفهمها ! » .. والواقع ان جوزفين كانت قد بدأت - اذ ذاك - تسمع الهمس الذى أخذ يدور حول طلاقها بسبب لهفة نابليون على انجاب ابن !

على ان مدام « جازانى » حلت بنفسها الأزمة ، اذ تدلهت فى غرام شاب من العازفين على الكمان ، فهربت معه الى روسيا ، رغم ما حاول نابليون ان يغريها به من منح !

أما غرام نابليون بمدموازيل جورج - الممثلة - فيعتبر صفحة هامة فى تاريخ غرامياته ! .. فقد اختارتها نجمة المسرح الفرنسى - مدموازيل روكور - لتخلفها عندما تقدمت بها السن ، فأحيطت منذ البداية برعاية من جميع أفراد أسرة بونابرت ، ومن أعوان الامبراطور . وهى تقول فى مذكراتها : « كنت أظن أن بوسعى أن أعمل دون انقطاع ، نظرا لاقتراب اليوم المحدد لظهورى على المسرح للمرة الاولى ، ولكننى فوجئت بسيل لا ينقطع من الزائرين ، وفى مقدمتهم الوزراء ، وأسرة القنصل الاول « لوسيان » ، ومدام « باكيوتشى » ، وهى سيدة رفيعة المقام ، وثيقة الاتصال بالامبراطور . وكان القنصل لوسيان شديد الاهتمام بالتمثيل ، حتى لقد كان يصعد بنفسه الى المسرح ليبدى ملاحظاته ، أو ليمثل أمامى دورا بأكمله كى أسترشد بطريقته . كما كانت والدة الامبراطور تسر كثيرا بمشاهدة « البروفات » . والحق ان هذه الاسرة كانت تعمل على رعايتى ! »
وكانت الفتاة اذ ذاك فى الرابعة عشرة من عمرها ! .. سن لم تحظ ممثلة فى مثلها من قبل برعاية واهتمام كل هذا العدد من الشخصيات الكبيرة . وقد

هام نابليون بها ، فأرسل اليها خادمه الخاص يدعوها الى (سان كلو) لتتلقى تهانئه !

وتعترف مدموازيل « جورج » بأنها كانت ساذجة حين اجتمعت بنابليون اذ ذاك ، ولم تكن تعرف أسرار الحب والغرام ، فلما اعترفت للامبراطور بذلك ، تعفف ولم يمسها بسوء فى تلك المقابلة ! ٠٠ ولكنه لم يتعفف - ولا هى تمنعت - فى المقابلة الثانية ٠٠ واستمرت علاقاتهما خمس سنوات !

ويبدو ان روسيا كانت دائمة التفوق على نابليون ! ٠٠ فقد انتزعت منه مدام « جازانى » وما لبثت ان انتزعت مدموازيل « جورج » ، التى هربت اليها لتلحق براقص أحبته ٠ وفى روسيا أيضا ، لقيت جيوش نابليون أشنع هزيمة عرفتها !

وعادت مدموازيل «جورج» الى باريس بعد خمس سنوات ، فنسى الامبراطور خيانتها - على مألوف عادته - وعاد الى الاتصال بها ، ليعوض نفسه عما فاته فى السنوات الخمس ! ٠٠ وهكذا أثبت مرة أخرى ان تسامحه مع عشيقاته لم يكن يعرف حدودا !

« مارى » ٠٠ ذات الشعر الذهبى !

✦ لن نتعرض هنا لمارى لويز ، فقد تزوجها نابليون ، وكانت هى المرأة « الرسمية » فى حياته ، اذ أنجبت له أسرة امبراطورية ٠ ولكنا ننتقل الى الحديث عن المرأة التى أحبت نابليون أكثر مما أحبته أية امرأة أخرى ، وأحبها بدوره كما لم يحب سواها ٠٠ تلك هى « مارى فالفسكا » ٠ فقد قصد بونابرت فى أوائل سنة ١٨٠٧ الى (فارصوفيا) - عاصمة بولندا - فلما بلغ موكبه مدينة صغيرة اسمها (برونى) ، وجد حشدا كبيرا من الناس فى استقباله ٠ وهاجم القوم عربة الامبراطور لتحيته ، ولكن الحرس الامبراطورى صدهم ٠ وسمع نابليون - وهو فى العربة - حوارا بين امرأتين وبين الماريشال «ديرول» - أحد مرافقيه - وكانت احداهما تقول بالفرنسية : « أرجو ان تسمح لنا برؤيته يا سيدى ٠٠ ولو لثانية واحدة ! »

وتأثر الماريشال بجمال المتكلمة ، اذ كانت فتاة لا تتجاوز الثامنة عشرة ، ذهبية الشعر ، ذات فم دقيق ، وعينين فى زرقة السماء الصافية ! ٠٠ وقادها الى باب العربة ، فنظرت الى داخلها ٠ وصافح بصرها وجها شاحبا ، وعينين نافذتين ، فأحست بارتباك ، وتمتمت بعبارات عن ترحيب بلادها بالامبراطور العظيم ، فمد هذا يده للفتاة ، وقدم لها باقة من الزهور ، معربا عن أمله فى ان يراها مرة أخرى فى فارصوفيا ! ٠٠ وتحركت العربة ٠ وبقيت الفتاة جامدة فى مكانها ، شاردة ٠٠ تحلم !

تلك كانت « ماري فالفسكا » ٠٠ فتاة من أسرة عريقة ، ولكنها فقيرة ، تعلمت شيئا من اللغتين الفرنسية والالمانية ، ومن الموسيقى ، وقد شبت على كراهية المعتدين على استقلال وطنها ! ٠٠ وكان فقر أسرتها سببا فى ان زوجها أهلها من كهل بولندى ثرى ، وهى فى الخامسة عشرة !

بلادها وأهلها يدفعونها الى خيانة زوجها !

◆ وكان مقدم « نابليون » الى بولندا مناسبة أثارت البلاد كلها ، اذ كان قد غزا النمسا وبروسيا ـ عدوتى بولنـــدا ـ فرأى فيه البولنـــديون منقذا لوطنهم ٠ وما أن شاع نبأ مقابلة الضيف لمارى فالفسكا ، حتى ذهب الأمير البولندى « بونياتوسكى » الى الفتاة يدعوها الى حفلة راقصة لتكريم نابليون، ويطالبها باسم الوطن أن تتلطف الى الضيف حتى ينقذ الوطن المعذب !٠٠ وبهت الأمير حين رفضت « مارى » الدعوة ، واستنكرت ان تخون زوجها الشـــيخ بالتلطف الى الامبراطور ! ٠٠ ولكن البولنديين جميعا تحمسوا لذهاب «مارى» الى الحفلة ، وكان زوج مارى فى مقدمة من راحوا يلحون على الفتاة ، حتى انصاعت فى النهاية ، وذهبت فى ثوب أبيض بسيط ٠٠ ولكنها تسببت فى استياء الامبراطور ، حين رفضت ان تراقصه ! ٠٠ ثم ثارت غيرته حين رآها تتلطف الى اثنين من ضباطه كانا يحومان حولها ، فأقصاهما عن الحفلة ، وتحايل حتى غدا وجها لوجه مع الحسناء ، فقال لها : « ان اللون الأبيض لا يناسب الوجه الأبيض يا سيدتى ! » ، وأردف بصوت خافت : « ليس هذا باللقاء الذى كنت أرتقبه منك ، لا سيما بعد ٠٠٠ » ٠ واحمر وجه « مارى فالفسكا » ، وسرت فى جسدها رعدة ، ثم بادرت بالانسحاب عائدة الى دارها ، حيثاعتكفت فى مخدعها ٠ وان هى الا خمس دقائق، حتى حملت اليْها وصيفتها بطاقة بها : « لم أر فى الحفلة سواك ٠٠ ولا أريد سواك ! ٠٠ فبادرى بكلمة تهدىء روع الولهان ، نافد الصبر : ن ٠ » !

ورفضت الحسناء الشابة ان تجيب ، وأوصدت باب مخدعها ٠ وكان الأمير « بونياتوسكى » هو الذى حمل الرسالة ، فصعد اليها ٠ ومن وراء البـاب ، راح يلح عليها فى ان تجيب الامبراطور ٠٠ ولكن بابها ظل موصدا ! ٠٠ وفى الصباح التالى وجدت بطاقة ثانية من الامبراطور ٠ ومرة أخرى ، لم تجب !٠٠ ولكن بولندا بأسرها تآمرت عليها ، حتى الزوج الذى أبت ان تخونه ، أصر على ان تذهب للقاء الامبراطور وهى فى أجمل ثيابها ، فى دار محظية الأمير « بونياتوسكى » ٠ وبدأت « مارى فالفسكا » تلين ، استجابة لنداء الوطن !٠٠ لا سيما حين قدم اليها أشراف البلاد التماسا يحمل أسماءهم جميعا ، يهيبون بها فيه ان تسلم لنابليون ، قائلين : « لقد قال فينلون ان أصحاب السلطة من

الرجال لا يمكن ان يحققوا شيئا ذا قيمة ، مالم تساعدهم النساء ، فاستمعى الى هذا الصوت مع أصـواتنا ٠٠ انك بذلك تحققين سعادة ٢٠ مليـونا من البولنديين ! »

وهكذا انهارت مقاومة الفتاة التى لم تتجاوز الثامنة عشرة من عمـرها ٠٠ واستسلمت لالحاح الشعب ، والاسرة ، والوطن !

الامبراطور يماطل فى دفع الثمن !

◆ وكانت الساعة العاشرة والنصف مساء ، حين حملوها الى القصر الكبير ونفذت من باب خلفى ، والدموع المنهمرة من عينيها تسدل على نظرها حجابا كثيفا ٠ وهتف الامبراطور حين رآها : « تعالى ! ٠٠ فسوف تجاب كل رغباتك، ويصبح وطنك عزيزا على نفسى ! » ٠٠ وما ان خلا اليها ، حتى ارتمى جاثيا أمامها ، وقبل يدها قائلا : « ان زوجك الكهل ٠٠٠ » ٠ وردت الكلمات الثلاث ضميرها الى ثورته ، فأجهشت بالبكاء ، وحاولت الهرب ٠ واستطاع نابليون بمجهود جبار أن يهدىء روعها ، ثم جلس عند قدميها ينصت الى قصة حياتها : قصة أبيها ، وأسرتها المنكوبة ، والزواج الذى قسرت عليه ٠ وانطلقت فى الحديث ، فأطلعته على آرائها وأفكارها ٠ وفجأة ، انبعثت طرقات على الباب !٠٠ كانت الساعة قد بلغت الثانية صباحا ، وقد جاء قومها ليعودوابها الى بيتها ٠ وانقضى اللقاء كله فى حديث برىء !

وفى الصباح التالى ، تلقت مارى باقة من الزهور الجميلة ، وحلية ماسية ثمينة ، وخطابا كتبه نابليون بأسلوب الطالب العاشق ، وقد جاء فيه : « مارى ! يا عزيزتى اللطيفة مارى ! ٠٠ ان أول رغبة تتولانى هى ان أراك ! ٠٠ ستعودين الى ! ٠٠ ستعودين ! ٠٠ ألم تعدى بذلك ؟ ٠٠ سأراك وقت العشاء ، فلسوف تتقبلين دعوتى ٠ ولتكن لنا لغة سرية نتخاطب بها وسط القوم الذين يحيطون بنا ٠ فاذا ما وضعت يدى على قلبى ، فأرجو ان تضمى باقة الزهور التى بعثت بها اليك ، دليلا على الرضى ! »

ولكنها لم تجب على اشاراته ، حين أرغموها على ان تلبى دعوته الى العشاء ٠ فلماخلااليها،انفجر ثائرا،وهددها بأن يحطم بلادها كمايحطم ساعة كانت فى يده اذ ذاك٠ وأردف تهديده بأن طوح بالساعة الى الجدار فى عنف فتحطمت ! ٠٠ وأغمى على « مارى فالفسكا » ! ٠٠ فلما أفاقت ، وجدت «نابليون» راكعا الى جوارها ، يمسح دموعها !

وأخذت تتردد عليه فى كل مساء ، وقد ملأ نفسها الأمل فى ان تثمر تضحيتها ٠ ولكن نابليون راح يماطل فى تحرير بولندا ، وكأنما كان يخشى ان تعرض عنه الحسناء بعد ذلك ٠ على ان الأيام لم تلبث ان بثت فى قلب

« مارى » نوعا من الحب ، والعطف ، والاعجاب ، بذلك العاشق العظيم المفتون !

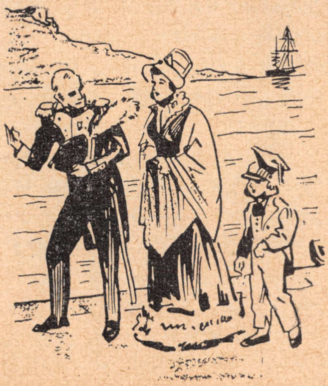
الغرام الأكبر ٠٠ فى حياة نابليون !

◆ واضطر « نابليون » فى النهاية الى أن يقرر الرحيل عن بولندا ، فجزعت « مارى » ، وتولاها القنوط ، اذ رأت أن تضحيتها لم تعد على وطنها بالاستقلال المنشود ٠ فراحت تذكر الامبراطور بوعوده ، ولكنه قال مراوغا : « لا بد من أن تتحرر بولندا يوما ، ما دام العالم كله سيصبح ملك يدى ! » ٠٠ وقالت الشابة منذرة : « لسوف أعتزل الحياة ! » ، فهتف ملتاعا : « اذا كان فى وسعك أن تعيشى بدونى ، فلست أملك أن أعيش بدونك ٠٠ اننى لا أستغنى عن اللحظات القصار التى أجلس فيها بقربك ! » ٠٠ ولكن العلاقات بينهما كانت قد توثقت الى درجة لم يكن فى وسع الشابة معها أن تعيش بعيدا عنه ، ومن ثم تبعته الى باريس فى أوائل عام ١٨٠٨

ويعتقد المؤرخ « فردريك ماسون » أن غرام « مارى فالفسكا » كان أكبر غرام فى حياة نابليون ! ٠٠ وما لبثت مارى أن أنجبت ولدا منحه نابليون لقب « كونت الامبراطورية » ، وخصص له معاشا كبيرا ٠ وقد وصل هذا الابن ـ خلال عهد نابليون الثالث ـ الى منصب رئيس الجمعية التشريعية !

واستقر المقام بمارى فى باريس بعد ذلك ، فكان الامبراطور يلبى جميع رغباتها ، ويتردد عليها ما سمح له وقته بذلك

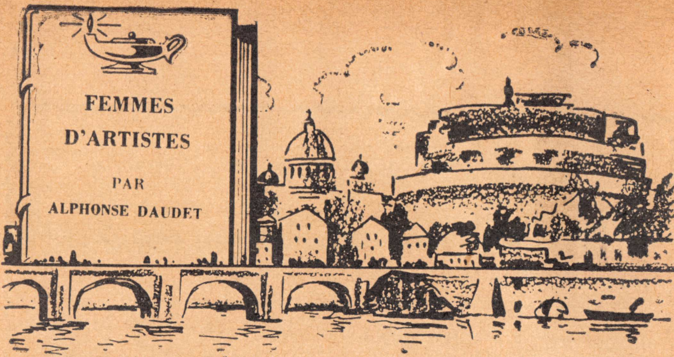
وتطورت الظروف ، وأعرض الحظ عن نابليون بعد أن واتاه طويلا ٠ وعند ما نفى الى جزيرة (البا) ، بادرت العاشقة النبيلة بالرحيل اليه مع ابنها ، لتحاول الترفيه عنه فى محنته ٠



ولكنه حين نفى للمرة الثانية ـ بعد هزيمة (وترلو) ـ لم تر ما يدعو الى أن تلحق به فى (سانت هيلانه) ٠ وكانت قد غدت أرملة ، فاعتبرت نفسها فى حل من رباطها بالامبراطور ، وتزوجت من قريب له يدعى « كونت أورنانو »

ويقال أن نابليون حزن أشد الحزن حين تناهى اليه نبأ هذا الزواج ، فى منفاه ، اذ كان يعتبر دائما أن « مارى فالفسكا » زوجة له ! ٠٠ وكان اذا ذكرها ، قال :

« زوجتى البولندية » ! .. ولعله لم يكن متجنيا ، فقد كان غرامه بها يختلف عن كل غرام فى حياته .. كان غراما ظفر به بعد صد وعناء ، فى الوقت الذى كانت أرفع النساء مقاما يتهالكن على قدميه ، وينشدن وده بأى ثمن ! .. ثم انه كان غراما أنجب له ولدا ! .. وفوق هذا وذاك ، كان الغرام الذى رافقه الى النهاية ، واختتم سفر غرامياته الحافل !



زوجات الفنانين

الزوجة الطاغية!

للكاتب الفرنسي الكبير الفونس دوديه



نور .. ونار !

◆ لماذا لا يسعد الفنان فى زواجه غالبا ؟! .. وهل تكون خيبة أمل الفنان فى زواجه راجعة الى «الاختيار» ، أو بالأحرى الى «سوءاختياره» لزوجته ؟ .. انه كفنان يعيش فى الأحلام ، بعيدا عن الواقع .. وهو كفنان - أيضا - ينشد الجمال بفطرته ، فاذا لاح له قبس من هذاالجمال ، ممثلا فى امرأة ، اندفع الى هذه المرأة وتزوج منها ، ثم لا تلبث عيناه أن تألفا الضوء الذى بهرهما ، فيكتشف فى صورة تلك التى ربط حياته بحياتها خطوطا لم يرها من قبل ! .. ويتبين - بعد فوات الأوان - أنه تسرع ، كما يتسرع المتخبط فى الظلام ، اذا ما لمح شعاعا ، فيندفع اليه توهما منه بأنه قد يهديه الى الضياء .. فى حين أن الشعاع قد يكون منبعثا عن نار تحرقه !

وفى الفصل الذى نقلته لك منذ شهرين عن كتاب « زوجات الفنانين » - الذى عالج فيه الأديب الفرنسى « الفونس دوديه » مشكلة زواج الفنانين - كانت النار ممثلة فى عدم فهم زوجة الفنان لزوجها ، وعدم تقديرها لطبيعته ورسالته . أما فى الفصل الذى أنقله لك اليوم ، فقد تمثلت النار فى .. طغيان شخصية الزوجة الجاهلة ، الشرسة بفطرتها ، على شخصية الزوج الرقيق ، الوديع ، الحالم !

فنان .. يئس !

◆ **كان** التمثيل قد انتهى . وبينما أخذ الجمهور يتزاحم فى طريقه الى باب الخروج ، وقد أضيئت الأنوار كلها ، اجتمع عدد من الأصدقاء - وكنت أحدهم - عند الباب الخاص بالممثلين ، وأخذوا يترقبون خروج الشاعر - مؤلف الرواية - حتى يتقدموا اليه بالتهنئة ، وان كانت روايته لم تلق نجاحا كبيرا ! .. فقد كانت أرقى من خيال الجمهور المتواضع ، البسيط ، الذى يتردد اليوم على المسارح .. كما كانت تطغى على ما قدم لها من مناظر ، ومن اطار التقاليد والحريات المسموح بها .

وكان أكبر نقد وجه لهذه القطعة هو : « انها لا تصلح

للمسرح ! » ٠٠ وأخذ المتسكعون فى المشارب يرددون : « انها لن تؤدى الى ربح ما » !

ولكننا مع هذا كله كنا نفخر بصديقنا المؤلف ، لأنه وضع هذه المسرحية وتمكن من تقديم شخصيات كبيرة كأبطالها ـ فى حجم الطبيعة نفسها ـ على خشـــبة المسرح ، دون أن يتقيد بالقواعد العصرية ، أو يهتم بما قد تدره الرواية من ربح !

وما لبث الشاعر أن ظهر لنا ، وهو يتقدم وسط جماعة من الميكانيكيين ، ورجال المطافىء ، وأفراد (الكومبارس) ، الذين يشتغلون على المسرح ٠٠ وكان الرجل محنى الظهر ، وقد أحاط عنقه بملفعة ، كما رفع ياقة سترته ، فأخفت جزءا من شعره الذى كان الشيب يدب فيه

وكان يبدو عليه الحزن والأسى ٠ فان التصفيق المحدود الذى سمعه يتردد من الركن الذى جلست فيه شلة أصدقائه وفريق من المثقفين ، جعله يدرك أن المسرحية لن تعرض الا عددا محدودا من المرات ، وانه لن يشهدها سوى النظارة القلائل الممتازين ، وان الاعلانات المنشورة عنها لن تستمر الا مدة قصيرة لا تكاد تسمح لاسمه بنيل الشهرة التى كان يرجوها !

وان الفنان الذى يجاهد عشرين عاما متواليـــة ، فلا يلقى النجاح ، ليحز فى نفسه اعراض الجمهور عنه ، هذا الاعراض الذى يترك فى قرارة نفسه شيئا من اليأس والحزن ، ويوحى اليه بالقنوط ، فلا يلبث أن يقول لنفســه : « ربما كان الجمهور على حق ! »

★ ★ ★

◆ **وكان** فى تصفيقنا للشاعر ، ومصافحتنا اياه ، وشدنا على يده بقوة ، بعض العزاء والسلوى ، فأخذ يقول متسائلا : «أحقا؟ هل تظنون أنها ناجحة ؟! ٠٠ هل هى جميلة الى هذا الحد ؟! ٠٠ الحق أننى بذلت فيها أقصى جهودى ! »

وأمسكت يده المحمومة بأيدينا فى شىء من القلق ٠ وأخذت

عيناه المغرورقتان بالدموع تبحثان عن نظرة مخلصة أمينة يطمئن اليها ٠٠ كان يضم بين جوانحه شيئا شبيها بألم المريض الذى يسأل طبيبه قائلا : « لن أموت ٠٠ أليس كذلك يا دكتور ؟! »

كلا! لن تموت أيها الشاعر ٠ سوف تنسى بعد حين «الأوبريت»، والروايات التمثيلية الخفيفة التى مثلت مئات المرات ، وشهدها آلاف النظارة ، وسوف تطوى اعلاناتها ٠٠ ولكن روايتك ستبقى دائما حية !

وبينما نحن ننتظر على الافريز ، اذا بصوت حاد يرتفع بيننا ـ وكان يتميز باللهجة الايطالية ـ قائلا : « هيا أيها الفنان ! كفى تسكعا ٠٠ هيا لتأكل (الاستفاتو) ! »

وظهرت فى الحال امرأة بدينة ، تضع على كتفيها شالا تناثرت فيه المربعات الحمراء ٠ وأقبلت على صديقنا فوضعت يدها على ذراعه بحركة قاسية تدل على السلطة والتحكم ، حتى لقد ظهر على وجهه التأثر فى الحال ٠ والتفت الينا قائلا : «**هذه زوجتى !**» ٠٠ ثم التفت اليها ، وقال لها فى ابتسـامة تدل على التردد والخوف : « ما رأيك فى أن ندعو هؤلاء الأصـدقاء ليتذوقوا (الاستفاتو) كما تصنعينه ! »

وطربت المرأة لهذه التحية التى وجهت الى مقدرتها فى الطهو ، فقبلت أن تدعونا الى منزلها ٠ وكنا خمسة أو ستة ، فسرنا مع الزوجين فى الطريق الى منزلهما القائم فى حى مونمارتر ٠

وانى أعترف بأننى كنت أشعر برغبة فى زيارة منزل هـذا الفنان ٠ فقد كان صديقنا ـ منذ زواجه ـ يعيش فى عزلة عنا ، وكأنه من سكان الريف ٠ وكان القدر الذى أعرفه عن حياته كفيلا باثارة غريزة حب الاستطلاع فى نفسى !

★ ★ ★

◆ **منذ** خمسة عشر عاما ، كان صديقنا يعيش فى جو من الخيال ، حتى صادفته ذات يوم ، فى احدى ضواحى روما ، فتاة حسناء ما لبث الفنان أن هام بها حبا !

كانت « ماريا أسونتا » تعيش مع والديها ، ومع عدد من الاشقاء والشقيقات ، فى منزل من المنازل الصغيرة بترانزتيفيرى • وكان المنزل يقع على حافة نهر (التيبر) ، وقد شد الى جواره قارب من قوارب الصيد • وفى ذات يوم ، رأى الفنان الايطالية الحسناء وهى عارية القدمين ، وقد ارتدت فستانا أحمر اللون قصير الأكمام • وكانت منهمكة فى اصلاح شبكة من شباك الصيد • وقد كان لمظهرها هذا أكبر تأثير فى نفس الفنان • وشاءت المصادفات أن يكون قلب الفتاة خاليا ، اذ أنها لم تكن قد أحبت غير قط كبير كان شعره كله ينتصب اذا رأى أحدا يقترب من سيدته !

وكان الفنان يحب هذا العالم كله بمن فيه من انسان وحيوان ، فما لبث أن عقد زواجه على الحسناء الايطالية ، وعاد الى فرنسا تصحبه « ماريا أسونتا » الجميلة •• وقطها !

يا للمسكين ! يبدو أنه كان يجب أن يصحب أيضا ـ عند عودته من ايطاليا ـ شعاعا من أشعة الشمس المشرقة ، وجزءا من سماء ايطاليا الزرقاء ، وقطعة من شباك الصيد •• وبالاختصار جزءا من الاطار الذى كان يحيط بالصورة ! لو أنه فعل هذا لوفر على نفسه ذلك اليأس المطبق الذى أحاط به ، بعد أن استقر فى مسكن بالطابق الرابع فى أعلى حى مونمارتر • فما كاد الباب يغلق خلفهما فى ذلك المسكن ، حتى فوجىء بالايطالية الحسناء وقد وضعت على رأسها قبعة باريسية لا تتفق مع حجم رأسها ، ولا مع تصفيف شعرها ، مما جعل شكلها يبدو مضحكا • كما أنها أخذت تقلد الباريسيات فى أساليبهن فى الحديث والسير ، ومن ثم أصبحت موضع سخرية الناس !

وما لبث المسكين ـ تحت سماء باريس الباردة ـ أن أدرك أن زوجته غبية ، بل شديدة الغباء ، وان هاتين العينين السوداوين تهيمان فى عوالم بعيدة لا نهاية لها ، دون أن تنعكس عليهما فكرة جدية واحدة ! •• كان الضوء ينبعث منهما كما ينبعث من

أعين الحيوانات بعد أن تتناول طعامها وتشرع فى تمثيله وهضمه بسكون !

وفضلا عن ذلك ، كانت السيدة ثقيلة الظل . ثم انها اعتادت أن تسير كل شيء فى العالم الصغير الذى كانت تعيش فيه بإشارة من يدها .. وكانت أية معارضة لرغبة من رغباتها كفيلة بأن تبعث غضبها فى ثورة جامحة .

من الذى كان يستطيع أن يتخيل أن هذا الفم الصغير ، الذى يخيم عليه السكون ، فى أنقى صوره ، قد ينفتح فجأة ليطلق سيلا من الشتائم فى سرعة عجيبة ، وقوة شديدة ؟!

لقد كانت تسعى دائما الى التشاجر مع زوجها ، وفى أى وقت ، وفى أى مكان ، وبصوت مرتفع ، سواء كان ذلك فى الطريق أم فى المسرح ! .. وكثيرا ما كانت الغيرة تستبد بها فتفضح أسراره على مسمع من الناس !

ولم يكن لديها أى تقدير أو ميل للفن ، كما كانت على جهل تام بعمل زوجها الفنى أو مجهوده ، وبلغته ، وتقاليده ، وكل شيء يتعلق به . وحتى ذلك القدر القليل الذى تعلمته من اللغة الفرنسية ، لم يكن له من أثر الا فى أن تنسى الايطالية ! .. وهكذا ابتكرت لنفسها لغة جديدة ليست هى بالفرنسية ولا هى بالايطالية .. كانت لغة مضحكة ، تبعث على السخرية !

وعلى هذا ، فان قصة الغرام الذى بدأ فى شكل قصيدة للشاعر الفرنسى العظيم «لامارتين» ، انتهى على شكل مغامرة من مغامرات « شانفليرى » . وأخذ شاعرنا يجاهد بعض الوقت حتى يرقى بهذه « المتوحشة » ، الا أن اليأس ما لبث أن تسرب الى نفسه ، فعرف أن لا بد له من أن يفقد الأمل فى النجاح . ومع ذلك ، كان له من أمانته ـ وربما من حبه ـ ما جعله يبقى الى جانبها فلا يهجرها ، وان لم يسعه الا أن يعتزل الناس ، ليلازم مسكنه ، وينهمك فى العمل . ولم يعد يستقبل فى داره الا عددا قليلا جدا من أخلص أصدقائه ، سرعان ما لاحظوا بدورهم أن الحرج كان

يبدو عليه اذا زاروه ، فما لبثوا أن انقطعوا نهائيا عن زيارته !

٠٠ هكذا ظل يعيش قرابة خمسةعشر عاما ،داخل مسكنه ، وكأنه محبوس فى منزل مخصص لمرضى البرص !

★ ★ ★

◆ **كنت** أفكر فى هذه الحياة التعسة وأنا أرى الزوجين الغريبين يسيران أمامى ٠ كان هو طويل القامة ، نحيف الجسم ٠ أما هى ، فكانت كالكتلة المربعة السميكة ، تخفى كتفيها تحت شالها ، وتسير بخطى ثابتة كما لو كانت رجلا !

وكانت مرحة ، تتكلم بصوت مرتفع ، وتنظر ـ من وقت لآخر ـ الى الخلف ، كى تتأكد من أننا نتبعهما ، وتنادى الذين تعرفهم منا بأسمائهم المجردة ، بصوت مرتفع ، وهى تلوح بيديها كما لو كانت تلوح لقارب من قوارب الصيد فى نهر (التيبر) !

ولما وصلنا الى المنزل ، اعترضنا حارس الباب ، ورفض أن يسمح لنا بالصعود فى هذه الساعة المتأخرة من الليل ٠ وقامت بينه وبين الايطالية مشاجرة عنيفة على السلم ٠٠ ووقفنا على درجات السلم ـ فى الظلام ـ ننتظر نتيجة المشاجرة ، وقد تملكنا الحرج واستولت علينا التعاسة ٠٠ فلا نكاد نعرف هل نصعد أم ننصرف الى منازلنا !

وما لبث الشاعر أن قال لنا بصوت ضعيف : « اصعدوا بسرعة ! »

وتبعناه على عجل ، فى حين استندت الايطالية الى الحاجز وأخذت تصب على حارس الباب وابلا من شتائمها ، بلغة امتزجت بها التعبيرات الايطالية بالألفاظ الفرنسية التى تسمع فى الشوارع !

وهكذا كانت عودة الشاعر الى منزله ٠٠ الشاعر الذى هز مشاعر « الجمهور الفنى » فى باريس فى تلك الليلة ، بالقطعة الرائعة التى قدمها للمسرح ٠ وكان لا يزال يحتفظ فى عينيه

ببريق ذكرى الليلة الأولى لتمثيل روايته · لكم كان نداءالحياة مذلا له كل الاذلال !

ولم تفارقه نوبة البرد التى اقشعر لها جسمه الا عندما جلس على مقربة من النار ، فى صالونه الصغير · وكدنا ننسى ما حدث، لولا رنين صوت (السنيورا) ، وضحكاتها العالية التى كانت تصل الى أسماعنا ، وهى تقص على خادمتها كيف نكلت بحارس الباب ! ·· ولما أعدت المائدة ، جاءت لتجلس معنا ، بعـــد أن تخلصت من الشال والنقاب ، وخلعت القبعة · وفى ذلك الوقت استطعت أن أراها بوضوح وأن أتأملها عن كثب ·

لم تعد جميلة ·· فقد كان وجهها مربعا ، سمينا ، كما كان شعرها كثيفا ، وذقنها عريضا · واسترعى نظرى بوجه خاص ذلك التعبير الذى كان يرتسم على فمها ، وهو يبدو كثيرالاختلاف عن نظرات عينيها الحالمتين

جلست هذه المرأة وقد أسندت منكبيها الى المائدة ، وأخذت تشترك فى المناقشة دون أن يفارق نظرها طبق الطعام الموضوع أمامها · وعلى الحائط ــ فوقرأسها مباشرة ــ علقت صورة كبيرة لها ، كان عليها اسم الفنان الذى رسمها بريشته · كانت صورة « ماريا أسونتا » وهى في سن العشرين ، ترتدى ملابس زاهية اللون ، وتتحلى بمجموعة من الحلى الزائفـــة ، وقد بدت آثار الشمس على وجهها ، كما كان شعرها الاسود الفاحم ينسدل على ظهرها ، وقد اتصل حاجباها فوق وجهها الدقيق !

وسألت نفسى : كيف أمكن لهذا الجمال الرائع الذى كان ينبض بالحياة أن ينحدر الى هذه الدرجة من الانحطاط ؟! ·· ولقد كانت مصادفة عجيبة أن تتكلم الايطالية بلهجتها الشاذة ، فى الوقت الذى كنت منشغلا فيه بفحص صورتها الكبيرة ، والتأمل فى نظرتها العميقة الدافئة !

وكانت حرارة الحجرة قد أعادت اليها روح المرح ، فأرادت أن تنقل بعض هذا المرح الى الشاعر الذى كان نجاحه المحدود

الممتزج بالمجد يحز فى النفوس ويحزنها ، ومن ثم أخذت تضرب بيدها على ظهره ، وهى تضحك بملء فمها ، وتردد أن المسألة لا تستحق كل هذا العناء ! ثم تستدير الى القط المسن الذى ارتفع صوت شخيره ، وهو قابع بجوار النار ، لتقول له : «أليس كذلك يا قطى ؟ »

ولكن صوتها ما يلبث أن يرتفع ، فى وسط المناقشة الادبية الهامة التى تدور بيننا ، كى تصيح فى زوجها بلهجة حادةقاسية:

ـ أيها الفنان ! ان المصباح على وشك أن ينطفىء !

ويقطع البائس التعس حديثه ، ويغادر مكانه كى يتجـه الى المصباح بكل خضوع ، ويحاول أن يصلح من شأنه حتى لاينطفىء ٠٠ وذلك كله حتى يتحاشى « منظرا » من مناظر المشاجرات التى اشتهرت بها المرأة ٠٠ ولكن أنى له ذلك ! ان ذلك كله ما كان ليقيه شر هذا « المنظر » !

وكنا قبل وصـولنا الى مسكن صديقنا ، قد مررنا بالمنزل الذهبى لشراء زجاجة من النبيذ تقدم كشراب مع اللحم البقرى ٠ وكانت « ماريا أسونتا» قد حملت هذه الزجاجة بكل عنـاية ، طوال الطريق ، وقد أخفتها تحت شالها ٠ ولما وصلت الى المنزل وضعتها على المائدة وأخذت توجه اليها ، بين حين وآخر ، نظرات الوله والاعجاب ٠٠ فقد اشتهرت بنات روما بحب النبيذ الجيد٠ وكانت قد كررت لزوجها التحـذير مرتين أو ثلاثا ، اذ كانت تخشى على الزجاجة من حركات ذراعيه الكثيرة :

ـ « حاسب » على الزجاجة ٠٠ والا كسرتها !

وقبل أن تذهب الى المطبخ ـ للمرة الاخيرة ـ لتحمل الينا طبق (الاستفاتو) صاحت فى زوجها : « حذار والا كسرت الزجاجة ! »

ولكن لسوء الحظ ، وبمجرد أن خرجت زوجته من الحجرة ، انتهز الفنان هذه الفرصة ليتحدث عن الفن والمسرح والنجاح ، بحرية تامة ، وبحيوية وطلاقة



وأخذت حماسته تزداد فى أثناء الحديث . وفيما هو يلوح باحدى يديه ، طارت زجاجة النبيذ فى الهواء ، وسقطت على الأرض ، فتهشمت وتحولت الى قطع صغيرة ، وسال ما فيها من نبيذ !

ولم أر فى حياتى موقفا من مواقف الذعر المماثلة لهـذا الموقف ! فقد توقف الشاعر عن الحديث وشحب وجهه !

وفى الوقت نفسه ، أسرعت «ماريا» قادمة من المطبخ، ووقفت على باب الحجرة والشرر يتطاير من عينيها ، وقد تضخمت شفتاها من شدة الغضب ، واحمر وجهها من حرارة الفرن ، وصاحت بصوت فظيع :

ــ الزجاجة ! (لا بوتيليا) !!

وهمس الشاعر فى أذنى بصوت مرتعش :

ــ قل انك أنت الذى كسرتها !

واستولى على المسكين ذعر شديد ، حتى لقد شعرت بساقيه وهما ترتعدان تحت المائدة !

وهكذا كان زواج صديقنا الشـاعر محطما لأحلامه .. ولشخصيته قبل كل شىء !


MEMOIRES
DE
CASANOVA
مغامرات فى الحب والسياسة !
مذكرات
كازانوفا
الكتاب الكلاسيكى الخالد
فى أدب العشق
والمغامرة

مع « كازانوفا » ٠٠ فى مغامرته الجديدة !

◆ روى لنا « كازانوفا » فى الحلقة الماضية قصة لقائه بالضابط « ب ٠ ك » ٠٠ وقد كان هذا الضابط متداعى الأخلاق ، حاول ان يبتز نقود أمير العشاق بالغش والنصب ، فلما أعيته الحيل ، دعاه الى داره ، وعرفه بأمه ـ وكانت عجوزا طيبة ، نقية ـ وبأخته ، وكانت فتاة فى الخامسة عشرة من عمرها ، رائعة الفتنة ٠ وكان الابن على شقاق مع أبيه الذى تخلى عنه وعن أمه وأخته !٠٠ على انه كان الى جانب ذلك على علاقة بعشيقة كثيرة المطالب ، لذلك لم يخف عن « كازانوفا » استعداده لأن يبيعه أخته بالمال ، ومن ثم بدأ يدبر له الخلوات معها !

والآن ، تعال نتابع المغامرة الجديدة مع العاشق الأعظم !

سباق ٠٠ مع الجمال !

◆ واتفقنا يوما على أن نخرج للنزهة : الضابط « ب ٠ ك » وعشيقته ، وأنا وأخته ٠ وبادرت فابتعت بعض الهدايا لفاتنتى ، ثم خففت الى مكان اللقاء فى الموعد المتفق عليه تماما ، واذا بى أجد رفاقى قد سبقونى ، فخيل الى أن هـذا السبق مجاملة لطيفة من الشاب ، ولم يخامرنى أى ارتياب فى نواياه ٠ على أنه لم يلبث بعد برهة ان زعم أنه وعشيقته منطلقان لبعض مهام خاصة ، ومن ثم فانه يكل أخته لرعايتى ، على أن نلتقى جميعا فى المسرح فى ذلك المساء ٠ وما أن بارحنا الشاب وعشيقته ، حتى عرضت على الفتاة أن نستأجر « جندولا » ، ونقضى اليوم فى نزهة على سطح الماء ٠ ولكنها أبدت رغبتها فى الذهاب الى حديقة (زويكا) ، وهى حديقة بديعة ، صغيرة ، لم أتردد فى أن أستأجرها بأسرها فى ذلك اليوم ، حتى لا يعكر دخيل صفو هناءتى بقرب فاتنتى ! ٠٠ ثم طلبت غداء دسما شهيا ، وأوينا الى غرفة تخففنا فيها من معطفينا ، ثم جلسنا بعد ذلك فى الحديقة ٠ ولم تكن « ك ٠ » ترتدى سوى « جونلة » من الحرير الخفيف ، و « بلوزة » من قماش مشابه ، ولكن هذا الزى البسيط لم يزدها الا سحرا ! ٠٠ وكانت نظراتى الولهانة تخترق هذا القماش الحريرى الخفيف ، فأكاد أرى الفتاة عارية ! ٠٠ ورحت أزفر فى وجد !

وحلا للفاتنة الصغيرة أن تجرى فى الحديقة ، وقد استهواها جمال الطبيعة ٠ واذ لمحتنى أنظر اليها مشدوها ، ومنتشيا فى الوقت ذاته ، تحدتنى أن أسابقها، فقلت لها : « حسنا ٠٠ ولكن لا بد من رهان ! ٠٠ ليكن رهاننا أن يصدع الخاسر بما يطلبه منه الفائز ! »

أين الخاتم ؟!



◆ وتعمدت فى المرة الاولى أن أخسر، لأرى ما قد تأمرنى بعمله ٠ وكان العقاب الذى ابتكرته ، أن اختفت وراء شجرة وأخفت خاتما كان يحيط باصبعها ، ثم سألتنى أن أبحث عنه ، قائلة ان مخبأه غير بعيد عنها ٠ وكان معنى ذلك أن أتحسس جسمها ، وأن أقلب أطـراف ثوبها ٠ حتى عثرت فى النهاية على الخاتم ٠٠ بين نهديها! ٠٠ ومددت أصابعى المرتجفة أنتشله ، وأنا موزع بين الدهشة والحرج والرغبة والتورع ٠٠ فى آن واحد ! ٠٠ ولكنى استطعت أن أتبين أخيرا أن الفتاة - التى لم تتجاوز الخامســة عشرة من عمـــرها - كانت مبرأة عن الخبث والخداع ، وما اختارت هذا المخبأ الا عن سذاجة طائشة !

وقضينا يومنا فى قبلات ودعابات ٠٠ كنت أقبلها مشفقا عليها من حـــرارة وجدى ، وكانت هى تقبلنى كما تقبل الطفلة أباها !

والتقينا فى المساء بأخيها وعشيقته فى المسرح ٠ وكانا قد أفرطا فى الشراب بعض الشىء ، اذ أخذ الشاب يطلق نكاتا وفكاهات لم تكن تفهمها وتضحك لها سوى عشيقته ! ٠٠ وأصر « ب ٠ ك » على أن نتناول العشاء فى « كازينو » اشتهر بأنه يتألف من غرف تبيح العزلة للجماعات ٠ وقد كان ، واحتلت جماعتنا غرفة ٠ وكان الطعام شهيا ، والشراب معتقا ، فلم يلبث « ك » أن خرج عن وقاره واحترامه لطهر أخته ، فراح يقبل عشيقته فى شبق ! ٠٠ وتمادى فانتهز فرصة وقوفى مع أخته لدى النافذة ، واحتضن عشيقته فى وضع ناب ، وهو يظن أننا لا نفطن اليه ٠٠ ولكننى لاحظت أن الفتاة رأت المنظر منعكسا على زجاج النافذة، فاحتقن وجهها !

كازانوفا يكشف حبه للاسرة !

◆ واشتد حبى للفتاة اذ ذاك ، فعولت على أن أنقذها من المصير الرهيب الذى ينتظرها على يدى أخيها ، فى سبيل تحقيق أهدافه ! ٠٠ وكانت الايام لا تزيدنى الا يقينا من أنه لن يتورع عن أن يبيع أخته من أجل المال ! ٠٠ لذلك سعيت

اليه فى اليوم التالى - يحدونى الحب الخالص البرىء - وبعد أن بينت له مدى ما فى اعجابى بأخته من شعور مجرد ، طاهر ، رحت ألومه على ما كان من مسلكه مع عشيقته أمامها . واعتذر فى تأثر ، ملقيا الذنب على الخمر التى أفرط فى تناولها . وما لبثت أمه وأخته أن أقبلتا ، فشكرتنى الأم على ما تجشمت فى سبيل رعاية ابنتها . ووجدتنى أندفع قائلا اننى انما أحب الفتاة ، وأتمنى لو ظفرت بها زوجة لى . ثم قبلت يد الأم ، وقد استبد بى الوجد والتأثر حتى أجريا دمعى على خدى ! .. وسرعان ما بكت العجوز الطيبة حنانا . ثم تركتنى مع ابنتها وابنها - الذى مكث جامدا مشدوها - وغادرت الحجرة

ودهشت الفتاة لما سمعته من قولى لأمها ، ولكنها ازدادت دهشة حين صارحها شقيقها بما انحيت به عليه من لوم على مسلكه خلال ليلة أمس ، فى حضورها !

يتقلب على لهب مستعر !

◆ ولكن أثر هذا اللوم لم يبق فى نفس الوغد طويلا .. اذ ما لبث بعد فترة أن دعانى الى أن أوافيه فى موعد جديد ، فيحضر لى أخته ويتركها معى لينصرف الى عشيقته . وزاد على ذلك بأن أسلمنى مفتاح المسكن لأعود بأخته بعد العشاء ، دون حاجة الى أن نلتقى به !

ووافيتهما فى الموعد - فى الصباح التالى - وأنا أشد ما أكون قلقا وانفعالا . فقد كنت أعرف مدى وجدى واستعاره ، ولذا كنت أخشى عواقب البقاء مع الفتاة دون رقيب ! .. وقضيت مع « ك . » اليوم فى حديقة « زويكا » كما فعلنا فى المرة السابقة . وقبل أن نذهب الى المسرح فى المساء ، تناولنا العشاء فى مقصورة منعزلة بالحديقة . وتخلت الفتاة عن حذرها ، فجلست على ركبتى ، وراحت تبادلنى قبلات أخذت تشتد حرارة بين قبلة وأخرى ! .. ووجدتها تناقشنى فيما حدث بين أخيها وعشيقته عقب العشاء فى المرة السالفة ! .. فقلت لها : « ألست تخشين أن أفعل بك شيئا كهذا ؟ » ، فقالت : « لا ياحبيبى ، فانى أدرك مدى حبك لى .. وعلى كل ، ففى وسعنا أن نعجل بزواجنا . وانى لعلى استعداد لأن أتزوجك غدا لو أردت . وما أرى أن أبى قد يرفض ! »

وأدركت ما كانت ترمى اليه .. ان أباها سيضطر الى القبول - انقاذا لشرفه - اذا هى كانت لى ، وأسلمتنى نفسها ! .. وكنت أتقلب على لهب مستعر ، فلم أعد أقوى على المقاومة . فقلت لها : « أواه ، يا حبيبتى ! .. أواثقة أنت من أنك لن تندمى اذا ما أصبحت زوجتى ؟ » . قالت : « لن أندم بكل تأكيد يا حبيبى ، فان ما ألمسه من حبك لى ، لا يمكن أن يسمح لك بأن تفعل ما يشقينى ! »

عابدان ٠٠ فى محراب اله الهوى !

◆ وهتفت فى شوق وحماس : « اذن ، لنبدأ زواجنا منذ الآن ٠٠ ليكن الله وحده شاهدا على مواثيقنا وايماننا ، فلن يكون البشر خير من الله فى الشهادة ٠ انه الوحيد الذى يعلم براءة نوايانا ٠ فلنربط مصيرينا معا ، ولنهنأ باتحادنا ! » ٠٠ فقالت : « افعل بى ما شئت يا حبيبى ، وأعاهد الله على أن أكون زوجتك الوفية منذ هذه اللحظة الى الأبد ! » ٠٠ وبادلتها هذا القسم ، ثم أسلمنا نفسينا الى عبادة اله الحب والهوى ٠ وكانت بشرتها كالحرير ملمسا ، وبياضها ناصعا ، وشعرها ليلا يطبق على منكبين من عاج !! ٠٠ أى قوام رشيق أوتيته ! ٠٠ وما كان أبدع نحرها ، وتكور نهديها الفاتنين ، وجمال عينيها اذ أومضت فيهما شرارة الرغبة !

رياضتنا الغرامية !!

◆ جاءنى « ب ٠ ك ٠ » فى الصباح التالى ، متهلل الوجه ، وقال : « اننى متأكد من أنك نلت من أختى وطرا ، وانى لجد مغتبط بهذا ٠ وسأحضرها لك اليوم ! » ٠٠ فرحبت بما عرض ، وقلت له اننى سأدبر طريقة لا تدع لأبيه سبيلا الى الرفض ، اذا ما تقدمت لطلب يد الفتاة ٠ ولكن الشاب النذل لم يكن ليفلت الفرصة دون أن يفوز لنفسه بنفع ٠ لذلك لم يلبث أن سألنى أن أوقع ـ كضامن ـ على سند حرره لجوهرى مقابل خاتم ثمنه مائتا جنيه ذهبى ٠ فقلت له : « اننى على استعداد للتوقيع ، ولكنك تسىء الى حبى لأختك بهذا التصرف ! » ٠٠ وضمنته لدى التاجر ٠ فلم يحن ظهر ذلك اليوم ، حتى أحضر لى أخته ٠٠ فكانت لهفة كل منا الى صاحبه فى هذه المرة أقوى منها فى سابقتها ٠ وبدا لى ان الفتاة كانت تواقة لأن تثمر « عبادتنا » هذه ـ فى « محراب الهوى ! » ـ ثمرة تجبر أباها على أن يوافق لفوره على زواجنا ! ٠٠ وانغمسنا فى نشوتنا ، فلم نفطن الا والفجر يغزو الكون !

وجددنا استمتاعنا باللقاء فى يوم الجمعة التالى ، ثم افترقنا على أن نلتقى فى يوم الاثنين ، وكان آخر أيام « الكرنفال » ٠ وما كان ليعوقنى عن هذا اللقاء سوى الموت ، اذ كانت هذه المناسبة آخر فرصة تسنح لنا كى نمارس رياضتنا الغرامية !

كازانوفا ٠٠ يطلب الزواج من « الضحية » !

◆ والتقيت بشقيق حبيبتى ـ فى صباح يوم الاثنين ـ فأكد لى أن أخته تذكر موعدنا ٠ وأخذت أنتظرها ٠ وانقضت الساعة الأولى ، وكانت الثانية أثقل وطأة، وأوشك صبرى أن ينفد بمرور الثالثة ٠ فلما انقضت الساعة الرابعة ، ولم يظهر



اثر لمعبودتى ، تولانى قلق رهيب ، ورحت اتصور أبشع النكبات .

وجاءت أخيرا ، وقد أسدلت على وجهها قناعا ، متلهفة على أن نسرع الى معبد هوانا ، ذاكرة أنها لم تر أخاها فى ذلك اليوم ، على عكس ما زعم لى . وكان علينا أن نستقل «جندولا» لنصل الى حديقتنا ، فاذا بالرياح تهب – ونحن فى عرض الماء – قوية ، فتتلاعب بالجندول ، وتجعلنا تحت رحمة الاقدار . على أننا بلغنا البر بسلام . وقضينا ست ساعات كاملة فى صومعتنا ، لم يعكر هناءتنا خلالها سوى أن أعياد « الكرنفال » كانت قد انتهت ، ولم نكن ندرى كيف ندبر اجتماعاتنا بعدها ، اذ لم تكن أم فتاتى قد سمحت لها بالخروج فى الايام السالفة الا للاحتفال بهذه الاعياد . على أننا اتفقنا على أن أذهب الى دارهم فى الصباح التالى ، فألزم غرفة أخيها ، وتوافينى هى هناك !

وكان الهوى قد جرفنى ، فخلوت فى تلك الليلة الى أبى الروحى – السيد « براجادان » – وزميليه ، وصارحتهم بقصة غرامى ، وقلت ان المشكلة هى أن لا بد لى من مركز محترم ، يليق بصداق الفتاة ، وكان يبلغ عشرة آلاف درهم ذهبى . وطلبوا الى أن أتصل بالأرواح – التى كنت أزعم أننى على اتصال بها – وأواتيهم بمشورتها . وتظاهرت بالغيبوبة ، ورحت أتكلم ، فلما صحوت ثانية ، كانت النتيجة أن على السيد « براجادان » أن يطلب يد الفتاة لى ، لأن الأرواح اختارته لهذه المهمة . فقرر زميلاه أن يصحباه لهذه الغاية ، اذا ما جاء والد الفتاة الى البندقية

والد «المعبودة» .. يرفض عرض العاشق !

◆ وذهبت فى اليوم التالى الى دار معبودتى ، وأنا أكاد أطير فرحا ، ولكننى فوجئت بها وبأمها حزينتين ، اذ سجن « ب.ك. » لأنه عجز عن سداد دين باهظ لا سبيل الى تدبير قيمته . ووفقت بعد لأى الى اقناع الأم بأن تقبل منى مبلغ خمسة وعشرين جنيها ذهبيا ، تستعين به فى تلك الظروف ، ثم رويت لهما ما

تقرر من طلب يد الفتاة رسميا ، ولكن الأم قالت اننى يجب أن لا أنساق للآمال ، لأن والد الفتاة كان مصرا على أن لا يزوجها الا لتاجر ، وبعد أن تبلغ الثامنة عشرة ! ٠٠ وذكرت لى أن الأب قد يفد فى تلك الليلة ، لأنها أرسلت تدعوه ٠ وفيما كنت منصرفا ، دست حبيبتى رسالة فى يدى تدعونى فيها لأن أوافيها فى منتصف الليل ، مستخدما المفتاح الذى كان أخوها قد أعطانيه !

وما أن علم السيد « براجادان » بأن والد حبيبتى كان مرتقبا فى تلك الليلة ، حتى بادر بالكتابة اليه يسأله موعدا لمقابلته ٠ ولست بحاجة الى أن أذكر أننى ذهبت للفتاة فى الموعد المتفق عليه ، فقضينا ساعتين من أسعد ساعات العمر ٠٠ ثم عدت الى دارنا ٠ وقضيت صباح اليوم التالى ، أرتقب فى قلق ٠ حتى اذا كان الظهر ، أخبرنى أبى الروحى بأن والد الفتاة رد على رسالته بأنه سيزوره فى اليوم التالى بنفسه ٠ فلما انتصف الليل ، وافيت حبيبتى ، فأخبرتنى بأن رسالة عضو مجلس الشيوخ شغلت بال أبيها

وأقبل السيد « ش٠ك٠ » بعد أن فرغنا من الغـــداء فى اليوم التالى ، فظل ساعتين كاملتين مع أصدقائى الثلاثة ، وأنا معتكف فى غرفتى ٠ وما أن انصرف ، حتى علمت أنه أجاب بنفس ما سبق أن ذكرته لى زوجته ، وان أضاف الى ذلك نبأ كان له على نفسى وقع الصاعقة ٠ اذ قال انه رأى من الخير لابنته أن تقضى السنوات الاربع التالية - والسابقة على السن التى قرر أن يزوجها فيها - فى مدرسة داخلية بأحد الاديرة ، ليحسن اعدادها للزواج ٠ وكان العزاء الوحيد الذى ساقه ، هو أنه لن يمانع فى أن يزوجنى من الفتاة ، اذا كان قد قدر لى - بعد السنوات الاربع - أن أوطد مركزى فى الحياة !

ومكثت أربعا وعشرين ساعة فى هم وحيرة ، وقد أخذت الأفكار المتشائمة تعذبنى وتضنى فؤادى ٠ وانتهيت أخيرا الى أن أسعى لزيارة مدام « ك٠ » - أم معبودتى - ولكننى حين ذهبت ، تبينت أنها قد رحلت مع ابنتها الى الريف ٠ وبلغ بى الخبل مبلغه ، حتى أننى سعيت لزيارة « ب٠ك٠ » - شقيق الفتاة - فى سجنه ، على أمل أن أجد لديه أية معلومات أفيد منها ، ولكننى لم أظفر منه بشىء ذى بال ٠ ورحت أعتصر ذهنى بحثا عن خطة لما ينبغى أن أعمله ، وأنا أنحى على نفسى باللائمة ، وأتصور ما قد تكون فيه حبيبتى من تعاسة وشقاء ٠ وزاد من همى أن السيد « براجادان » وزميلاه سافروا بعد يومين الى (بادوا) ، وتركونى وحيدا ، فأقبلت على الخمر والميسر حتى فقدت كل ما كنت أملك ! ٠٠ ولكننى لم أجزع ، فقد طاب لى أن أقود نفسى الى الدمار ، لولا أن فوجئت بالخادم يقود الى سيدة حملت رسالة لى ٠ وما أن ألقيت نظرة على الرسالة ، حتى أيقنت أنها من فتاتى ، فكدت أجن لهفة ، وأسرعت أفضها بأصابع مرتجفة ، فاذا بها تتضمن سطورا قلائل ، أعلنت خلالها « ك٠ك٠ » أنها ألحقت بمدرسة أحد الأديرة ، وان

أباها أمر بأن لا يسمح لها بتسلم رسائل أو استقبال زائرين ، ولكنها رغم ذلك استطاعت أن تهتدي الى المرأة التى حملت لى هذه الرقعة • ثم وعدتنى بالكتابة الى مرة أخرى • وبادرت بالكتابة الى حبيبتى ردا موجزا ، اختبارا لأمانة المرأة التى قررنا أن نتخذها بيننا رسولا !

وكانت رسالة حبيبتى مبعث انعاش قضى على ما استولى على من هم واكتئاب ، فبادرت الى اعداد حقائبى ، ولحقت بأبى وصديقيه فى (بادوا) •• وهناك ، تعرفت بشاب من (ميلانو) يدعى « دون أنتونيو كروشى » ، عرض على أن أشاركه فى مشروع لادارة حلقة للمقامرة فى داره • ولم تكن زوجته فوق الشبهات ، ومن ثم كان المفهوم أن الغرض الأول لهذه الحلقة هو •• ابتزاز أموال أعضائها !

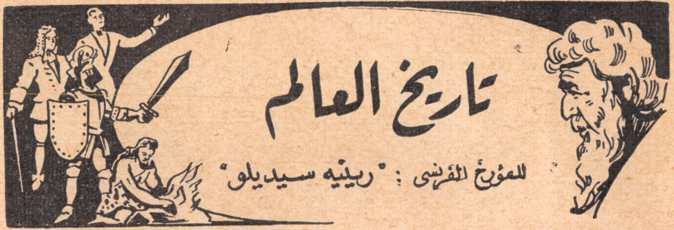
الغاية •• تبرر الوسيلة !!

◆ وهكذا شاءت الظروف أن أكون شريكا فى مؤامرة للنهب ، ولكننى كنت مضطرا الى ذلك ، اذ خيل الى أننى اذا حصلت على مبلغ كبير من المال ، استطعت أن أدبر طريقة لاختطاف فتاتى والهرب بها بعيدا ، الى حيث نحظى معا بالسعادة التى كنا نحلم بها

وكان لا بد لى من أن أقدم ثلاثمائة دينار بندقى ، للاشتراك فى المشروع • فأوقعنى هذا بين براثن مراب كان كالوحش المفترس ، اذ استغل حاجتى ليأخذ منى سندا بألف دينار بندقى ، خصم منها مقدما جميع فوائده ، فلم يكد يبقى أكثر من نصفها • وسار المشروع بنجاح كبير لأربع أو خمس ليال ، ثم أقبل « كروشى » فجأة ذات يوم ، يعلن أنه تلقى انذارا من السلطات بأن يبرح (بادوا) خلال أربع وعشرين ساعة ، لأنه يغرى الناس على القمار ! •• وبادرت لفورى الى حمل نصف الذهب الذى كان معنا ، ثم امتطيت جوادا ، وانطلقت الى خارج المدينة فى جنح الظلام ، وفى أسوأ الأحوال الجوية

واستطعت بعد عناء أن أصل الى البندقية • وكأنما كنت واحظ على موعد ، اذ لم أكد أستيقظ فى الصباح التالى ، حتى أقبلت « موران » ـ رسولة حبيبتى ـ تحمل لى رسالة منها ، وتسألنى أن أعد الرد خلال ساعتين • وبادرت الى فض الخطاب ، فاذا فيه :

(يتبع)



الطوفان .. بعد مقتل « قيصر » !

◆ روى لنا « رينيه سيديللو » ـ المؤرخ الفرنسى البارع ، الذى جعل من « تاريخ العالم » رواية ممتعة ـ أن اغتيال « قيصر » ، وتداعى نظام الحكم الجمهورى فى روما ، واستيلاء « أوكتافيوس » على الحكم ، كانت كلها نذرا بزوال العهد الذى مكن فيه قيصر للشعب من أن يشترك فى الحكم ، فجمع بين الفردية والاشتراكية فى نظام الدولة .. وهو الآن يستطرد مكملا حديثه المشوق عن الامبراطورية الرومانية

عهد مخضب بالدماء !

◆ أعقب « أوكتافيوس » نظام حكم فردى ، مطلق .. وتوالى الحكام المستبدون ، والحكومات المستبدة ، متنافسة فى القسوة والفساد .. فقتل « كلوديوس » زوجته « مسلينا » ، واغتال « نيرون » أمه « اجريبينا » ، وقضى « كراكلا » على شقيقه ! .. وهكذا كان الاغتيال هو « العاطفة ! » التى تربط بين أفراد الاسرات الامبراطورية . وبالايجاز ، تولى الحكم فى القرون الثلاثة الأولى خمسون امبراطورا ، لاقى سبعة وثلاثون منهم حتفهم بطريقة عنيفة : فمنهم من راح ضحية السم ، ومنهم من بتر رأسه ، ومنهم من انتحر .. وكانوا جميعا ضحايا أقارب لهم ، سواء أكان هؤلاء الأقارب زوجات ، أو عشيقات ، أو جنود وحراس .. أو أنفسهم ، اذ كان الواحد منهم ينتهى الى أن يؤثر الانتحار ، على عواصف الحكم !

ولكن ينبغى أن لا ننسى قط أن هذه الامبراطورية الرومانية ـ أو بالأحرى ـ أن الامبراطورية فى تلك الحقبة كانت أشبه ، فى شكلها ونظمها ، بحكم الشعب الديكتاتورى .. أى أن الحاكم كان ذا سلطان فردى ، ولكنه مع ذلك كان مؤيدا من الطبقات الدنيا والعاملة من الشعب ، وهى تؤلف الاغلبية . وكان « نيرون » أكثر من سواه اغراقا فى هذه الشعبية الدنيا . وأتاحت الشعبية فرصا لأبناء الشعب ـ بل لأصحاب أزرى المهن فى نظر الارستقراطية اذ ذاك ـ كى يصلوا الى أرقى المناصب . فكان بين كبار وزراء « هليوجابالوس » راقص ، وحوذى ،

وحلاق ! ٠٠ وكان معظم الاباطرة يسعون الى اكتساب تأييد الشعب ـ لاسيما عند الانتخابات ـ بتوزيع هبات من الخبز ، والنبيذ ، والزيت ، والمال ، على أبناء الطرقات ، دون أن يحفلوا بأثر ذلك على خزانة الدولة ٠٠ الخزانة التى زاد من ارهاقها أن الاباطرة كانوا يتبارون فى رفع مرتبات الجنود ، مما أدى الى تضخم النقد ٠ وكانت حال العبيد فى تحسن ورقى مطردين ، اذ أن انقطاع الغزوات والفتوحات جعل موارد الرقيق تنضب !

الشعبية تطارد الأرستقراطية !

◆ وفى الوقت الذى كانت حال أدنا الطبقات فى تقدم ، أخذت الطبقات العليا تفقد باطراد ما كان لها من امتيازات ومكانة ٠٠ بل لقد عمد « نيرون » الى نفى كثير من العائلات الارستقراطية ٠ وقتل « كراكلا » كثيرين من أبناء تلك الطبقة ، وانتزعت أسلحة مجلس الشيوخ العريق ، فأصبح أداة لا حول لها ولا قوة ، وغدا أعضاؤه عرضة للاضطهادات والمهانة ٠ أما من احتفظوا بمقاماتهم ، فان الضرائب الخاصة تحولت تقرض نفـــوذهم وتلتهم ثرواتهم ٠ ولم يحن حكم الامبراطور « كونستانتين » ، حتى كان « السينات » ـ مجلس الشيوخ ـ قد غدا قريب المكانة من المجالس البلدية العادية ٠٠ بل ان الاباطرة أنفسهم لم يسلموا من هـــذه الدوامة التى كانت تنخفض بكل شىء ، فقد كانوا فى الماضى يختارون من شيوخ القبائل ، أو أغنياء الطبقة الوسطى ، أو رجال الجيش والحــــروب ٠٠ أما فى السنوات الأخيرة من عمر الامبراطورية ، فقد كثر اختيار الأباطرة من عامـــة الشعب ، فكان كل من « مكسيميئوس » و « جاليريوس » ، من أبناء رعاة الغنم ٠ وكان الامبراطور « برتيناكس » عبدا معتوقا ! ٠٠ وكان « فيليب » ابن أحد زعماء العصابات ! ٠٠ والأنكى من هذا كله ، أن الاباطرة ـ فى العهود الاخيرة ـ لم يعودوا من الرومانيين الاصليين ، بل كان بينهم كثيرون ممن انتخبوا أو هاجروا من بلاد أخرى ٠ وكذلك أبيحت عضوية « السينات » ـ مجلس الشـــيوخ ـ لعدد من الاجانب الاغراب ، فى عهد « كلوديوس » ٠ ومن هؤلاء «سبتيموس» الافريقى ، و «هادريان» و «ماركس» الاسبانيان ، و «فيليب» العربى الاصل٠ومزج «كراكلا» بين رعوية الناس للامبراطورية ورعويتهم لروما ، فأصبحت الصبغة «الرومانية» تشمل الامبراطورية بأسرها ٠ بل ان روما ذاتها لم تعد ذات قيمة أو شـــأن كعاصمة ، حتى لقد جرؤ بعض الاباطرة على أن يهجروها الى عواصم أخرى !

تضخم الجهاز الحكومى !

◆ وكانت مأساة الامبراطورية الرومانية تتمثل فى افتقارها الى الاسترسال ، والتتابع ٠٠ بل كان نظام الحكم ينقصه كل ما يجعله وراثيا ٠ ولقد مرت بالبلاد

اذ ذاك أوقات لم تكن فيها السلطات قائمة ! ٠٠ ومرت بها أوقات أخرى كانت السلطات تقسم خلالها بين أربعة أو خمسة أباطرة متنافسين ، متناحرين ! ٠٠ وكان العنصر الوحيد الثابت فى هذه الظروف كلها ، هو « البيروقراطية » ٠ فكان الاباطرة يجيئون ويذهبون ، وموظفو الجهاز الحكومى (الوظائف العامة) فى مناصبهم مستقرين !

وازدادت الاعباء على ميزانية الدولة ، لا سيما وقد كانت المشروعات الخاصة بسيطة ، لا تستطيع أن تعوض الخزانة عن النفقات الباهظة ٠ ومن ثم كانت الضرائب فى ازدياد ، حتى بلغت حدا لم تكن تطاق معه ٠ وبينما ماتت المشروعات الخاصة ، كانت الوظائف الحكومية هى السبيل الى العمل والعيش ، فتضخم الجهاز الحكومى بشكل لا يمكن تصوره ٠ وكانت الدولة تفرض الضرائب ، وتصادر ثروات من لا يؤدونها ، فلم ينقض طويل وقت حتى كانت الدولة صاحبة رقعة هائلة من الارض والعقارات ! ٠٠ ولم تلبث الدولة ، بعد تأميم المناجم ، وبعد احتكارها صناعة الغزل والنسيج ، أن أصبحت مؤسسة للتجارة والصناعة ، أكثر منها هيئة للحكم !

وهكذا كانت كل العوامل تؤدى الى التضخم المالى وتدهور قيمة النقود ٠ ولم يخفف مما كان يحتمل أن يترتب على هذا من نتائج قاصمة ، سوى أن روما كانت تمتلك فى قبضتها كنوز وموارد الدول التى كانت خاضعة لها ٠٠ فكانت تستغل مناجم الفضة الاسبانية ، ومناجم القصدير البريطانية ، ومناجم الذهب فى بلاد الغال ٠ على أن الميزان التجارى لروما كان يدل على انحراف خطير مستمر ، فى غير صالح روما ، اذ كانت تستورد كل الأطعمة التى تلزم أهلها ، وكل المواد الاولية ٠ وكانت قوافل العرب هى الوسيط فى هذا ٠ فكانت روما تشترى — عن طريق العرب — المجوهرات ، والحرير ، والعطور ، ونفائس البلاد الأسيوية والشرق الأقصى

ولكن حياة الترف والاسراف لم تلبث أن أدت الى استنفاد كل الموارد ، والى افقار روما واضعافها ٠٠

درس للعالم ٠٠ فى النظام !

◆ ولقد استغرق تاريخ روما ، منذ انشائها حتى انهيار الامبراطورية ، ألف عام ٠ ولكن مدة عظمتها كانت أقل من هذه الأعوام الالف بكثير ٠ وكان عمر نفوذها الثقافى أقصر ٠ فقد ولدت الثقافة اللاتينية مبكرة ، وماتت مبكرة كذلك ! ٠٠ وكان أكبر عيوب روما ، أنها انصرفت الى النقل عن الاغريق ٠٠ كانت تنقل، ولم تكن تخلق ! ٠٠ على أنها كانت مبدعة فى النقل والاقتباس ! ٠٠ والواقع أن الميراث الذي خلفته روما كان ماديا أكثر منه أدبيا ٠٠ وكانت مخلفاتهم الفنية —من

تماثيل وتحف ولوحات - أكثر خلودا من مخلفاتهم الشعرية أو الفلسفية . وكان أبرز طابع فى روما ، حب النظام ، والتشابه والتناسق فى المنظر . وهذا هـو الدرس الوحيد الذى لقنته للأجيال التى أعقبتها . وتمثل هذا الطابع فى تنظيم القوانين وأساليب العمل الحكومى ، والتجارة ، والنقود ، والضرائب . وكانت الهندسة المعمارية من أعظم ما برزت فيه ، فكانت أساليبهـا فى شق الطرق ورصفها ، وشق القنوات ، دروسا لأوربا وموارد نفع لها !

وعلى الرغم مما أصاب الدولة فى العهود الأخيرة للامبراطورية ، الا أن (روما) لقنت جميع الشعوب التى استعبدتها ، أو الدول التى غزتها ، درسا فى نظام الدولة ونظام الحكومة . وضربت مثلا للحضارة المنظمة تنظيما دقيقا رائعا !

(وفى العدد القادم ، يقارن « سيديللو » بأسلوبه القصصى الرائع بين أثر فترات السلام على الامبراطورية الرومانية ، وأثر الفترات المقابلة على امبراطورية الصين)

تنويه

نشرنا فى عدد سابق خلاصة لكتاب « حوار العباقرة »، ترجمة الدكتور محمد بديع الشريف . وقد فاتنا أن ننوه أن الكتاب المذكور مطبوع فى دار المعارف بالقاهرة





« السيدة ع . د . »   للفنان صلاح طاهر

(من معروضات صالون القاهرة الثانى والثلاثين)



« فتاة »　　للفنان سند بسطا

(من معروضات صالون القاهرة الثانى والثلاثين)


أخيرًا .. يتاح لقارئ العربية
أن يطالع تحفة الأدب الأيطالى
فى عصر النهضة :
ديكاميرون
(الف ليلة وليلة الايطالية)
للأديب الخالد «جيوڤانى بوكاشيو»
النص الكامل لأكثر من عشرين قصة قصيرة
خالدة ترجمت منذ قرون الى جميع لغات العالم
الحية، ماعدا العربية !.. والآن تتحفك
بها فى منتصف مايو سلسلتك الشهرية المحبوبة :
مطبوعات كتابى
الترجمة الكاملة الأمينة
لشوامخ الكتب العالمية